بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أمدرمان الإسلامية
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

بحث بعنوان /

أبوبكر الخوارزمي

وآثاره الأدبية

(دراسة تحليلية نقدية)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إشراف الدكتور /
فاروق الطيب البشير

إعداد الطالب /
طلال أحمد العوض الحسن

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الفصل الأول

عصر الخوارزمي

مدخل الفصل

المبحث الأول: الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني

المبحث الثالث: الحياة الثقافية في العصر العباسي الثاني

مدخل الفصل
عصر الخوارزمي

البيئة وأثرها في الأديب:

يعيش الكائن الحي في بيئته متكيفاً اجتماعيا، يألف الناس وهم يألفونه ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعيش منعزلا عنهم لا يخالطهم.

وخلال هذه الفترة التي يعيشها تتطبع في تكوينه النفسي والاجتماعي نوازع ومعارف ودوافع وخبرات ومهارات وعادات وتقاليد، تؤكد شخصيته وثقافاته فملامح البيئة تؤثر على الإنسان سلبا وإيجاباً[1].

ويمكن كذلك أن يؤثر الأديب في بيئته إذا امتلك معينات هذا التأثير؛ كأن يكون ذا مكانة اجتماعية أو سياسية مرموقة.

ولكل عصر من العصور ظروفه السياسية واتجاهاته الحضارية، وهذه الظروف والاتجاهات تخضع لمؤثرات عديدة، فهناك خصائص وأحوال البيئة والمؤثرات الإقليمية، ثم هناك مستوى المعيشة ودرجة الرخاء الاقتصادي.

وهناك مقدار الحضارة ومدى الاستعداد الحضاري، كذا نوعية الحكومة واتجاهات الجهاز الحكومي...

لكل هذا وذاك كان لزاماً علي من يريد دراسة أديب من الأدباء وأدبه ، أن يتناول دراسة العصر الذي عاش فيه: من الجو السياسي الذي أحاط به ، وصولاً إلي الحياة الاجتماعية التي ننشأ في أكنافها، وحالة الفكرية التي تغذي بثمارها ، والمحيط الأدبي الذي استنشق عبيره ، لما لكل ذلك من أبين الأثر وأوضحه في حياته وإدراكه ، وخلقه وميوله ، وما إلي ذلك من الآثار التي يتردد صداها علي لسانه ومن خلال إنتاجه الأدبي.

ولعل الخوارزمي لم يكن لينفك عن عصره الذي عاش فيه ، فقد عاصر بيئات تحوي ثقافات متعددة ، ومشارب متباينة تركت آثاراً تمثلت فيما أنتجه من

---

[1] أبو الطيب المتنبي – د/ ريحيس بلاشير– ترجمة د / إبراهيم الكيلاني –ط دار الفكر – ص٥.

فنون أظهرت أبرز سمات عصره، وساعدت في تشكيله، وتركت أثرها في الساحة الأدبية بألوان من الأنواع التي استمرت زهاء (ستة عقود) وكان أن نال – وبجدارة – لقب "باقعة الدهر" ، كما أطلقه عليه الثعالبي في اليتيمة.

المبحث الأول
الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني

عاش أبو بكر محمد العباس الخوارزمي حياته كلها في القرن الرابع الهجري، فقد ولد في العقد الثاني من هذا القرن، وتوفى مع مغيب شمسه حوالي سنة ٣٨٣هـ أو ٣٩٣هـ[١].

ولقد كانت هذه الفترة بالنسبة للحالة السياسية في الدولة الإسلامية تمثل ما وصلت إليه وحدتها من تفكك وإنقسام.

ذلك أن الخلافة العباسية في بغداد كانت قد اعتراها الضعف على يد مواليها من الأتراك الذين إزداد تخوفهم منذ عهد المتوكل (٢٣٢هـ – ٢٤٧هـ) ووصل بهم الأمر إلى حد قتل الخليفة نفسه وتولية ابنه المنتصر، ولم تظفر الدولة بعد ذلك بالاستقرار بسبب عسف أولئك الأتراك وتسلطهم على شئون الحكم وتوليتهم من شاءوا من الخلفاء وعزل من شاءوا، حتى أنه في خلال مائة منذ تولية المتوكل حتى دخول بتي بويه بغداد سنة ٣٣٤هـ، تولى الخلافة أربعة عشر خليفة غير واحد تولى الخلافة، يوماً وليلة هو عبد الله بن المعتز[٢]، ولم يكن لهم جميعاً من الخلافة إلا اسمها. لهذا لم يكن عجيباً أن يتقلص نفوذ الدولة عن ولاياتها شرقا وغربا، وأن يمثل عام ٢٣٢هـ وهو العام الذي سبق دخول بني بويه بغداد نقطة التحول الكبرى فيما آل إليه أمر الخلافة من ضعف وتحلل، وقد وصف (متز) ما صارت إليه الأمور بقوله: (تغلَّب كل رئيس على ناحيته وانفرد بها، فصارت الأندلس بيد عبد الرحمن الناصر الأموي، والمغرب وأفريقيا في يد الفاطميين، ومصر والشام في يد محمد بن طغج الإخشيدي، والأهواز وواسط والبصرة في يد البريديين، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي، وديار ربيعة وديار بكر وديار

---

[١] العصر العباسي الثاني – د. شوقي ضيف – الطبعة الثانية – ط دار المعارف– ص١٣.

[٢] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع – آدم منز – ط دار الكتاب العربي بيروت – ١٣٨٧ــ ١٩٦٧م – ص ١٦٦.

مضر في أيدي بني حمدان، كما أصبحت فارس والري والجبل في أيدي بني بويه، وخراسان في يد نصر الدين الساماني، وكرمان في يد محمد بن الياس[1].

وإذا ما يممنا صوب الخلافة الإسلامية في الشرق ودويلاته حيث كان يعيش أبو بكر الخوارزمي لرأينا العجب العجاب، وذلك أن شرق الدولة الإسلامية بسطت فيه عدد من الدويلات نفوذها.

أما الأولى فهي الدولة البويهية، وقد شمل نفوذها فارس وأصبهان وبلاد الجبل ثم استولت على كرمان من يد ابن الياس عام ٣٥٧هـ ومن قبل توجت بالاستيلاء على مقعد الخلافة في بغداد عام ٣٣٤هـ.

وقد نبغ في هذه الدولة حكام عظام كعماد الدولة علي بن بويه مؤسس هذه الدولة ومن أعظم قواد ذلك العصر، وقد حكم فارس من سنة ٣٠١هـ إلى ٣٣٨هـ[2]، وأخيه ركن الدولة الحسن بن بويه الذي حكم الري وهمذان منه سنة ٣٢٠هـ إلى ٣٣٦هـ، وكان مشهورا بحسن الخلق وعفة اللسان والحلم[3]، ثم ابنه عضد الدولة أبي شجاع فنا خسرو أقوى ملوك هذه الأسرة على الإطلاق، وقد امتد نفوذه حتى شمل العراق وكرمان وفارس وعمان وخوزستان والموصل وديار بكر وحران ومنبج[4] كما وزر لهذه الدولة عدد من الوزراء الذين طاولوا ملوكهم عظمة منشؤها ثقافتهم الواسعة وسعة إطلاعهم كما سنلمس ذلك عندما نتحدث عنهم، وقد اشتهر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن العميد وزير ركن الدولة، والصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة، وأبي محمد المهلبي الذي وزر الدولة في بغداد.

---

[1] العصر العباسي الثاني- د. شوقي ضيف – ص٢٦.

[2] تاريخ الإسلام السياسي – ج٣ – د. حسن إبراهيم – ط دار المعارف- ص٤٩.

[3] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع – آدم منز ، ص٣٨٧.

[4] تاريخ الإسلام السياسي – د. حسن إبراهيم – ص٥٣.

أما الدولة الثانية فهي السامانية، وكان ملكها يشمل بلاد ما وراء النهر وإيران كلها إلى كرمان، بل أننا نجد ولايات تكاد تكون مستقلة وهي واقعة تحت سلطتها مثل سجستان التي كان يحكمها بنو الصفَّار، وقد اضطر السامانيون نظرا لسعة أرجاء دولتهم إلى إنشاء منصب "نائب الملك" فكانوا يقيمون في بخارى على حين كان صاحب جيشهم يقيم في نيسابور عاصمة خراسان[1].

وقد اشتهر الملوك السامانيون بأنهم من أحسن الملوك سيرة ونظرا وإجلالا للعلم وأهله، وكان من رسومهم التي انفردوا بها أنهم لا يكلفون أهل العلم تقبيل الأرض بين أيديهم[2].

وإلى جانب هاتين الدولتين الكبيرتين كانت بعض الإمارات الصغيرة التي كان يحكمها أبناء الأسر التي حكمت المنطقة من قبل ثم غلبت وبقي بيدها بعض الولايات الصغيرة هنا وهناك، ومن بين هذه الدويلات:

١- سجستان، وكانت شبه مستقلة في نطاق الدولة السامانية، يحكمها بقايا بني الصفار الذين حكموا خراسان واستولى على أملاكهم فيما بعد بنو سامان، ومن أشهر ملوكها خلف بن أحمد (٣٤٤-٣٩٣هـ) وكان ذو شخصية قوية، يميل إلى تشجيع العلم والحفاوة بالعلماء[3].

٢- طبرستان، وكان فيها بقايا الأسرة الزيارية التي قضى عليها البويهيون، ومن أشهر ملوكها في ذلك الوقت شمس المعالي قابوس بن وشمكير (٣٦٦ – ٤٠٣هـ)[4] الذي كان عالما أديبا جمعت

---

[1] الحضارة الإسلامية – لآدم منز – ص ٣١٨.

[2] المصدر السابق.

[3] الدويلات الإسلامية في المشرق – د. محمد علي حيدر– ط علم الكتب – ص٧٧.

[4] تاريخ الأدب الفارسي – محمد موسى هنداوي – ط دار الفكر العربي – ١٩٤٧م – ص٣٦.

أقواله ورسائله في الكتاب المعروف بـــ (كمال البلاغة) ومدحه كثير من الشعراء ومنهم أبو الفتح البستي.

٣- خوارزم، وكانت تحكمها الأسرة المعروفة باسم مأمون، وترجع نسبها إلى ملوك الفرس، ومن أعرق ملوكها مأمون (٣٩٠-٤٠٧هـ) وكان يعيش في رحابه جماعة من أعظم العلماء في ذلك الوقت كابن سينا وأبي سهل المسيحي وأبي الريحان وغيرهم[١].

وإلي جانب هذه الدول والإمارات التي كانت في الأصل تابعة للخلافة العباسية، كانت هناك (دولة الترك الإسلامية) التي اشتهر ملوكها باسم (بغراخان) وكانت تمتد من حدود الدولة السامانية شرقا إلى حدود الصين[٢]، ولم تكن هذه داخلة في نطاق الخلافة العباسية وإن كان ملوكها قد اعتنقوا الإسلام، وشاركوا أحيانا في الأحداث الجارية في الدولة الإسلامية.

هذه هي أهم الدويلات والولايات الإسلامية الشرقية في إيجاز شديد، بل هي معالم التشرذم الذي عانت منه الخلافة العباسية منذ أوائل القرن الرابع إلى ما بعد منتصفه بمدة. فمثل هذه المنطقة المليئة بالإمارات والولايات كانت بعيدة كل البعد عن الاستقرار واستتباب الأمن، فكانت الحروب لا تهدأ في مكان، فما تلبث أن تشتعل في مكان آخر، وسرعان ما تحل أسرة جديدة مكان الأسرة القديمة التي دائما ما يكون زوالها بسبب ركون ملوكها وأمرائها إلى الدعة والركون إلى الملك.

فكانت الدائرة هذه المرة على الأسرة السامانية، ونظرا لاتساع أملاك هذه الدولة فقد كان عليها أن تظل في حروب دائمة لرد غارات الطامعين من جيرانها وهكذا كانت الحروب شبه دائمة بينها وبين البويهين الذين اقتطعوا من أملاكها مساحات واسعة[٣]، ومما زاد الطين بلة أن

---

[١] تاريخ الإسلام السياسي – ص٣١٨.

[٢] المرجع السابق – ص٩٤.

[٣] الحضارة الإسلامية، ٣١/١.

الدولة ابتليت بتولية الصبيان الملك في هذا الوقت العصيب، فلقد تولى السعيد نصر بن أحمد حكم البلاد وهو في الخامسة من عمره، ومكث على العرش ثلاثين عاما، كانت حافلة بالفتن والاضطرابات وخروج أفراد أسرته عليه مما يطول تفصيله هنا.

وفي عهد نوح بن منصور (٣٦٦-٣٨٧هـ) وكان قد تولى الملك وهو في الثالثة عشر من عمره – كانت الدولة توشك على نهايتها، فقد اشتبك في حرب منهكة مع (عضد الدولة البويهي) الذي استولي على (جرجان) عام ٣٧١ [١] ثم خرج عليه أحد أفراد أسرته، وما أن فرغ من كليهما حتى خرج اثنان من أكبر قواده هما أبو علي الحسن بن سيمجور نائبه على (خراسان)، و(فائق) الخاصة قائد جيوشه[٢]، وقاما بالاتصال (بشهاب الدين بغراخان) ملك (بلاد الترك) وأغرياه بالاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، وبالفعل تحركت الجيوش التركية واستولت على العاصمة (بخارى) مما إضطر (نوح) إلى الفرار منها[٣]، وبدأ في هذه اللحظة أن الدولة السامانية قد انتهت، إلا أن (نوحاً) أسرع بالاستعانة بواليه على غزنه (أبي منصور سبكتكين) الذي كان قد علا شأنه منذ توليه أمر هذه الولاية واتجه بجيوشه صوب الهند ففتحها وغنم، ولم يخيب ظنه (سبكتكين) فقاد جيوشا جرارة حتى تسني له إرضاخ كل المتمردين والخارجين عن الدولة. وليست هذه الكوارث هي كل ما حاق بالخلافة في العصر العباسي الثاني ، فقد نشبت ثورات كثيرة استنزفت موارد الدولة ، وخاصة ثورتي الزنج والقرامطة ، أما الزنج فقد استطاع الموفق لعهد أخيه (المعتمد) أن يقضي بعد جهاد عنيف عليهم وعلي ثورتهم قضاءاً

---

[١] الكامل في التاريخ – لابن الأثير الجزري – الطبعة الخامسة ١٩٨٢م – ط دار صادر – بيروت – ٣٤/٩.

[٢] تاريخ الإسلام السياسي ، ص٨٦.

[٣] الكامل ٣٤/٩.

مبرماً ، وأما القرامطة فقد ظلوا حتى نهاية العصر ينازلون الدولة ويكبدونها خسائر فادحة في الرجال والأموال.

كانت هذه الفتن تمور وتستعر والخليفة في بغداد قد قنع كما يقولون (بالسكة والخطبة) وقد تميز هذا العصر بميزات قلما توجد في غيره وهي أنه شمل خلافه الراضي بالله الذي ولي الخلافة بعد أخيه (المقتدر) سنة ٣٢٢هـ وقد كان سمحاً جواداً مقرباً للعلماء والأدباء ولم يكن ينصرف عنه أحدُ من ندمائه إلا بخلعه أو صلة، ومن أهم أستاذته الصولي أبو بكر محمد بن يحي، وابن الانباري. ويعتبر آخر خليفة له شعر مدون ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجند ، وآخر خليفة خطب في صلاة الجمعة ، وآخر خليفة جالس الندماء[١] وفي عهده قتل (ابن مقلة) الأديب والخطاط المشهور بعد اعتلائه كرسي الوزارة مراراً. وفي عهده شن سيف الدولة الحمداني ، أول حرب علي (الدمستق) في (آمد)[٢] وتعالت بعد ذلك حروبه علي البيزنطيين.

وآخر من بويع من الخلفاء (المطيع) اخو (المتقي) الذي آل علي نفسه أن يدق آخر مسمار في نعش الدولة الإسلامية بتآمره علي آخيه المتقي لله وذلك بإيعازه قتل أخيه وسمل عينيه ، وبذلك انتهت وطويت صفحة من صفحات الماضي الأليم لدولة حكمت باسم الإسلام لها الشعوب والأمم مشرئبه إلى ظلال الإسلام الوارفة غير أن الأيام دول ، وتلك عبرة الزمان التي حكم بها رب العباد، هكذا كانت الحياة في عصر الخوارزمي سياسياً ، وهكذا كانت حال الدولة العباسية ... وعلي هذا المنوال سارت اللهم إلا إذا استثنينا فترات قصيرة من الهدوء والركود – كان يتاح فيها للدولة خليفة يواجه المحن ، فتسكن الفتن ويستقيم أمر الولاة والعمال بعض الاستقامة ، ويخشاه أعداء الدولة الخارج ، والمتآمرون الانتهازيون

---

[١] النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة – لابن تغربردي – ط دار الكتب المصرية – ٣/٣١١.

[٢] المصدر السابق – نفس الصفحة.

في الداخل ، حتى إذا قضي نحبه وانتهي أجله ، عادت الفتن فعاد الفساد أشد مما كان من قبل...

هكذا كان عصر الخوارزمي – الذين ولد ونشأ وعاش فيه– عصر اضطراب ومحن سياسية وحروب، وصراع داخلي من أجل السلطة ، ومحاولة للسيطرة علي مقاليد الحكم وأموال الدولة– مهما لحق الأمر في السعي الدؤوب لاستقطاع اجزاء منها لتكوين دويلات وإمارات سرعان ما تتحول إلي محاضن للإفساد والدس والإرهاب والقتل بين الخلفاء والوزراء والقواد وأمراء الإمارات والرقيق والخدم ، فساءت الأحكام والأحوال العامة ، وتكاثر الفساد بسبب الرشوة والمصادرة والفتك فأصبح الناس يخافون علي أرواحهم وممتلكاتهم ، وأصبحت البلاد في حالة من الفوضى ، ليس فيها من الأمن ، ولا طيب العيش ، ووجدت المنازعات والخصومات طريقها إلي الأفراد والجماعات.

أما أسباب انقسام العالم الإسلامي فنجملها في الأتي:

١. الاضطراب المالي: العجز في ميزانية الدولة ، بسبب المنصرفات البذخية للخلفاء وحاشيتهم.
٢. استيلاء الترك علي الحكم حيث جعلوا خزينة الدولة تنوء بما لهم فيها من رواتب ، وأصبحت فيما بعد ذريعة لتولية من شاءوا وعزل من شاءوا.
٣. فساد الجيش
٤. فراغ المشرق بعد ضعف الأسر التي كانت تحكمه.
٥. صعوبة المواصلات ، ذلك أن رقعة الدولة اتسعت فأصبحت السلطة لا مركزية فسعي كل إقليم للانفصال وتكوين دويلة[١]

[١] الدويلات الإسلامية في المشرق ، د. محمد علي حيدر – ط عالم الكتب – ص ٢١٥.

والسؤال الذي يجب أن نطرحه هو: ما موقف العلم والأدب بعد هذا الانقسام وهل اثر فيهما أثراً حسناً أو سيئاً ، وهل انحط العمل والأدب بانحطاط خلفاء بغداد أو رقياً باستقلال الأقاليم إلي دويلات وأمارات ؟!.

يقول أحمد أمين: ارتقي العلم والأدب رقياً كبيراً عما كان عليه من قبل وأن لم يؤثر فيهما كثيراً ضعف خلفاء بغداد ، ذلك أن حركة الترجمة التي نقلت ذخائر الأمم المختلفة وخصوصاً الأمة اليونانية ، وضعت أمام أعين المسلمين ثروة علمية هائلة باللسان العربي ، فكانت الخطوة الثانية أن تتوجه إليها الأفكار العربية تعضدها وتشرحها، وتبتكر فيها، وتزيد عليها. وهذا ما كان في عصرنا هذا كما سيأتي بيانه:

ذلك أن وضع السلطة في يد الخليفة في بغداد، يجعل بغداد هي المركز العلمي الوحيد ، أو علي الأقل المركز العلمي والأدبي العام وما عداه فأثره ضعيف ، فكان من لم ينل حظاً في علم أو أدب فلا أمل في شهرته ونبوغه ، وذيوع صيته وثروته ، إلا اذا رحل الي بغداد وتقرب بعمله وأدبه إلي خلفائها وأمرائها ، فلما استقلت الأقطار أصبحت عاصمة كل قطر مركزاً هاماً لحركة علمية أو أدبية فأمراء القطر يعطون عطاء خلفاء بغداد ، ويحلون عاصمتهم بالعلماء والأدباء ، ويفاخرون أمراء الأقطار الأخرى في الثروة العلمية والأدبية ، كما يفاخرون بعظمة الجند والمباني ، فبدل أن كان للعلم والأدب مركز واحد أصبحت لهما مراكز هامة متعددة وأصبح علماء مصر – مثلاً – يساجلون علماء بغداد ، وأدباء الشام يفخرون علي أدباء العراق ، وهذا من غير شك يشجع الحركة العلمية والأدبية ويطورها ، حتى أننا نرى الأمراء الأتراك الذين لا يحسنون العربية يحبون أن تزين قصورهم بالعلماء والأدباء[1].

غير أن هذا الكلام ليس علي إطلاقة فقد أحدث هذا الانقسام والتصدع في بنيان هذه الدولة إلى نشأة نوع من الأدب الرخيص –إن

---

[1] ظهر الإسلام – أحمد أمين ، ص ٩٥.

صح التعبير – الغرض منه ليس الإمتـــاع بـــل الكســـب المـــادي ، علـــي مـــا سنعرف عندما نتكلم عن أدب هذا العصر.

جدول يوضح أمراء الدولة السامانيّة (٢٦١-٣٨٩هـ)[١]

رقم	اسم الأمير	مدة حكمه
١.	نصر بن أحمد الساماني	٢٦١-٢٧٩هـ
٢.	إسماعيل بن أحمد الساماني	٢٧٩-٢٩٥هـ
٣.	احمد بن إسماعيل الساماني	٢٩٥-٣٠١هـ
٤.	نصر بن أحمد الساماني	٣٠١-٣٣١هـ
٥.	نوح بن نصر الساماني	٣٣١-٣٤٣هـ
٦.	عبد الملك بن نوح الساماني	٣٤٣-٣٥٠هـ
٧.	منصور بن نوح الساماني	٣٥٠-٣٦٦هـ
٨.	نوح بن منصور الساماني	٣٦٦-٣٨٧هـ
٩.	منصور بن نوح الساماني	٣٨٧-٣٨٩هـ
١٠.	عبد الملك بن نوح الساماني	ثمانية أشهر

[١] – الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ، الشيخ أحمد السكندري ، ط دار المعارف مصر ، ص ٢١٠ .

الدولة الديلميّة البويهية (٣٢٢-٤٨٨هـ)[١]

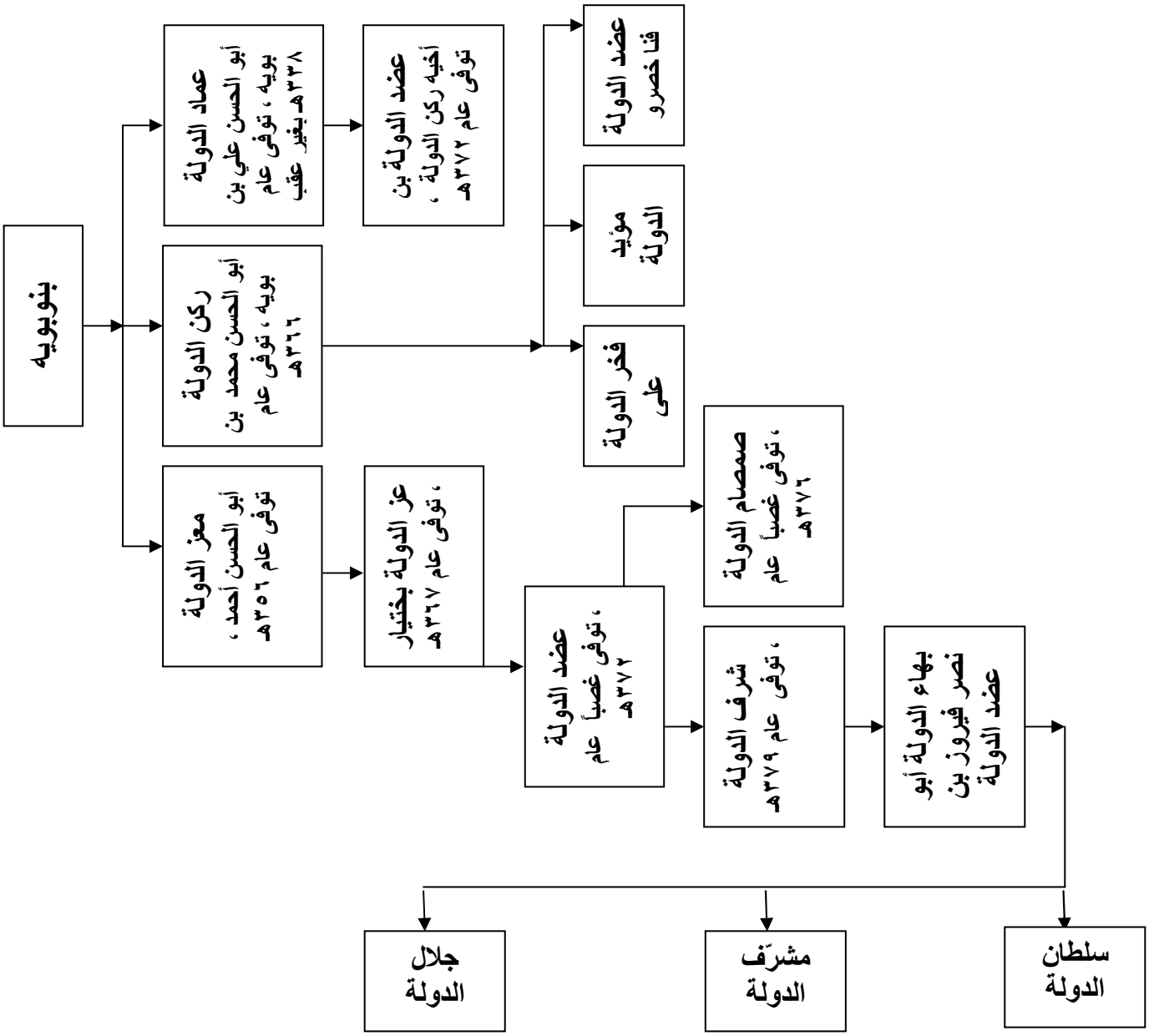

[١] – الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ، ص ١٩٨.

المبحث الثاني
الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني

يقصد بالحالة الاجتماعية في بلد من البلاد ، ذكر طبقات هذا البلد مجتمعاً من حيث الجنس والدين وعلاقة كل من هذه الطبقات مع بعضها بعضا ، ثم بحث نظام الأسرة وحياة ، أفرادها ، وما يتمتع به كل منهم من الحرية ، ثم وصف البلاط ومجالس الخلفاء ، والأعياد والمواسم والولائم والحفلات وأماكن النزهة ، ووصف المنازل وما فيها من أثاث و شراب ولباس ، وما إلي ذلك من مظاهر المجتمع[1].

وإذا نظرنا إلى هذا العصر وجدنا أن الزمان قد استدار كهيئته الأولي وصارت الأمور إلى الطبقات التي كان الإسلام قد قضي عليها قضاءاً مبرماً ، بإزالة الفوارق بين الأفراد والجماعات ونبذ الطبقية بل ومحاربة كل مظاهر الترفع والتعالي بالجنس أو العرق أو اللون ، بأوضح بيان وأصدق برهان: (إن أكرمكم عند الله اتقاكم ..)[2].

---

[1] تاريخ الإسلام السياسي ، ص ٤٣٠.

[2] الحجرات ، الآية (١٣)

إلا أننا نجد أنفسنا في مجتمع تغلب عليه ظاهرة التعلق بالدنيا وملذاتها ، والتمتع بها وإن كان عن طريق الحرام والموبقات وعلي ما سنعرف في ثنايا هذا البحث.

كان عدم الاستقرار الذي تميزت به هذه الحقبة من تاريخ الإسلام ، هي الطابع المميز لجميع نواحي الحياة فيه ، ذلك أن في هذا العصر نشأت الفتن والاضطرابات ، وضعفت إلى حد كبير الروابط الاجتماعية بين الناس ، وفقدت الثقة بينهم أيضاً نتيجة لضعف الوازع الديني أو الأخلاقي في نفوسهم التي لم يبق فيها مكان إلا للانتهازية والجشع وكيف لا يكون فيها شيء من هذا ، والملوك والأمراء يسلكون سبلاً من الوحشية للاحتفاظ بممتلكاتهم أو توسيعها علي حساب الآخرين ، ولعل من أغرب الأمثلة علي ذلك ما نقل عن خلف بن احمد الصفَّار ملك سجستان الذي قتل ابنه بيده ثم غسله وكفنه وصلي عليه ، وذلك لأنه فشل في تحقيق طمع والده في الاستيلاء علي احدي الإمارات[1].

ثم ما كان من أمر عضد الدولة حيث قتل ابن عمه بختيار بن معز الدولة واستولى علي ملكه في بغداد ، استشرافاً إلى العظمة بتولي الملك في حاضرة الخلافة[2] وهكذا كانت العلاقة بين الحكام بعضهم ببعض ، أما عن علاقتهم بالمحكومين فحدث ولا حرج فمن الحبس والمصادرة إلى القتل والعزل وهو أخفها ، ولقد كثر العمال المعزولون في الحواضر الإسلامية كثرة بالغة ، ويحكي في هذا الصدد أنه قدم مرة علي صاحب أصفهان شيخ من الكُتاب يطلب التصرف ، ويحمل كتباً من إخوان لصاحب أصفهان يوصونه به ، فقرأ الحاكم أول كتاب ولم يقرأ باقي الكتب ، وضجر وتغيط وقال: قد والله بلينا بكم معاشر المتعطلين ، كل

---

[1] أبو الفتح البسي – حياته وشعر – د محمد مرسي الخولي – ط دار الاندس – ت ١٩٨٤م – ص ٢٠.

[2] الكامل ٢٩/٩

يوم يفد إلينا منكم واحد يطلب تصرفاً أو براً ، لو كانت خزائن الأرض لي لكانت قد نفدت[1] .

ثمة تسمية شائعة في ذلك العصر للعزل ويسمونه الحيض بمعني أنه يأتي العمال دائماً وفي فترات منتظمة ، وقد أشار إلى هذه التسمية أبو الفتح البستي وهو يداعب أبا علي الدامغاني وزير السامانيين بقوله:

وقالوا لعزل للعمال حيض لحاه الله من حيض بغيض

فإن يك هكذا فأبو علي من اللائي يئسن من المحيض

وذلك لأنه أقام مدة متربعاً في دست الوزارة ولطول مكوثه فيها قيل فيه ذلك[2].

بيد انه كما أسلفنا كان لنشوء النظام الطبقي في مجتمع العصر العباسي أثر كبير فيما دارت فيه من أحداث حيث أننا نجده وقد توزع إلى ثلاث طبقات رئيسة وهي: طبقة عليها تشتمل علي الخلفاء والوزراء والولاة ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجالات الدولة ورؤوس التجار وأصحاب الإقطاع من الأعيان وذوي اليسار، وكان الشعراء والكتاب يراوحون بين الطبقتين الوسطى والعليا، بحسب قربهم وبعدهم عن الخلفاء والأمراء، أما الطبقة الوسطى تشمل رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين ، ثم طبقة دنيا تشتمل علي العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق والجواري ، ويأتي في اثر ذلك طبقة أهل الذمة[3].

وكان الخلفاء يعيشون في رغد من العيش ، لا يعالجون بؤس عيش ، لاينصرفوا عن لذة إلا وانتقلوا إلى ملذات أخر ، وعليه فإنهم كانوا في شغل عن أمر الخلافة وتصريف أمور العباد وليس بعيداً أنهم كانوا (قد

---

[1] الحضارة الاسلامية – ١٤٠/١.

[2] البستي حياته وشعره – ص٢١.

[3] العصر العباسي الثاني –شوقي ضيف – ص ٣.

خسروا نفوذهم كله منذ الثلث الثاني من القرن الثالث ، ثم أصبحت الخلافة اسماً لغير مسمي ، مع أن نفراً من الخلفاء حكموا مدداً طوالاً كالمطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ) و القادر (٣٦٣-٣٨١هـ) والقائم بأمر الله (٣٨١-٤٢٢ه،) في فترة متصلة ويبدوا أنهم كانوا مترفين متنعمين ، وكان مما روي عن المقتدر أنه خلّف (٢٩٥-٣٣٩هـ) أحد عشر ألف خادم من الروم والسُودان ، وكانت خزانه الجواهر مترعة بالجواهر النفسية ... ففرق كله هذا في مدة قليلة[١].

إلا أن الحالة النفسية كانت سيئة ذلك أن المقتدر خلع وأعيد إلى الخلافة عدة مرات ومن ذلك مثلاً أن عبد الله بن المعتز بويع في أيام المقتدر يوماً واحداً (٢٩٦هـ) ثم خلع وقطع رأسه وأسند الأمر للمقتدر[٢].

وكان المال هو الغرض الأول في هذا العصر ، فالخليفة يُصفِّي أموال وزرائه ويقتلهم أو يصلبهم أما قال أحمد بن الخطيب وزير المنتصر لما خلعت عليه الوزارة: (مثلي مثل الناقة التي تزين للنحر)[٣].

أهمل الخلفاء شئون الدولة ، ومن ثم صار الأمر في القصور للخدم والنسوان ، وللجواري والغلمان.

قال بشار:

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الرق والعود

فقتل بهذا البيت[٤].

ولعل هذا البيت يصور لنا ما آل إليه الأمر ، من ترف في الدور والقصور وذلك ان الدخل من سواد العراق لسنة ٢٤٠ للهجرة بلغ ثمانية وسبعين مليوناً من الدراهم ، وبلغ دخل جزء منه في عهد المعتضد لسنة ٢٨٠هـ مليونين وخمسمائة وعشرين الفاً من الدنانير.

---

[١] الفخري في الأداب السلطانية – ابن الطقطقا – ط دار صادر بيروت –ت ١٩٦٦- ص١٩.

[٢] تاريخ الأدبي العربي – د. عمر فروخ – الطبعة الأولى – ط دار العلم للملايين – ٣٩٨/٢.

[٣] بديع الزمان الهنداتي مارون عبود – ط دار المعارف – بيروت – ص ١٠.

[٤] ديوان بشار – الطبعة الأولى – ط دار العلم للملايين – ص ٣٨.

وكانت هذه القناطير المقنطرة من الدراهم والدنانير تنفق سنوياً ، وقلما كان يتبقى منها شيء ويقال انه لما ولي المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) أدخر من كل سنة من سني خلافته مليون دينار ، وبلغ ما أدخره تسعة ملايين دينار حتى إذا وصلنا عصر المتوكل ، الذي يقال أن النفقات في عصره بلغت ما لم تبلغه في عصر من عصور الخلفاء وخاصة في بناء القصور وقد أحدث بها البناء الموسوم باسم البناء الخيري ، وكان يجعل فيه دون القصر ثلاثة أبواب عظام ، وكان في الرواق مجلس الخليفة وأمامه بابان بهما خواصه وعلي اليمين خزانة الكسوة وعلي اليسار ما يحتاج إليه من الشراب .... وقد بلغ ما بناه من قصور نحو العشرين وهي: بركوار (دار الهناءة) والشاة والعروس والبركة والجوسق والمختار والجعفري والغريب والبديع ... الخ[١]

وكذلك كان الوزراء يعيشون في نعيم مقيم وذلك بسبب ما يتقاضونه من رواتب ضخمة ، ويروي المؤرخون عن ابن الفرات وزير المقتدر أنه كان يملك من الفضة والضياع والأثاث ما يزيد علي عشرة ملايين من الدنانير.

وكانت لسليمان بن وهب دار كبيرة جعلته الدولة بعده لكل وزير في سنة ٣٢٠هـ كانت تسمي دار المخرم ، وكانت مساحتها تربو علي ثلاثمائة ألف ذراع[٢].

وعلي نحو ما كان يعيش الوزراء نجد القواد ، وكان بيدهم مصير الخلفاء. وكانوا يضعون أنفسهم منهم بكل ما يطلبون من أموال. وكانوا يقطعونهم إقطاعات كثيرة علي نحو ما كانوا يقطعون الوزراء ، فكانت لهم ضياع واسعة تغل عليهم أموالاً وفيرة، ولعل خليفة لم يكثر من الإقطاع كما كان المقتدر. ويقال أن اقطاعات (يانس الموفقي) في عهده

---

[١] كتاب الوزراء للهلال بن المحسن الصابي – ص١٠.

[٢] كتاب الوزراء – ص ٢٨٤

كانت تغل سنوياً ثلاثين ألف دينار ، وبلغ حينئذ من مكانه القواد أن خلع المقتدر علي مؤنس لقب (المظهر).[1]

وكان أبناء البيت العباسي يتقاضون من الدولة رواتب عالية، ومثلهم العلويون والهاشميون بصفه عامة ، وكثيرٌ منهم كانوا يتولون مناصب ... أعان ذلك كله علي اتساع الطبقة الاستقراطية وأن تنشأ أجيال من أبناءها غارقة في الدعة والنعيم[2].

وإذا تركنا الطبقة العليا إلى الطبقة الوسطي وجدنا كثيرا منهم قد أندمج في الطبقة العليا ، وفي مقدمتهم علماء العربية والفقه والتفسير والحديث وكان كثير منهم يأخذ رواتب من الدولة ، وكان منهم معلمون يختلف إليهم الناشئة ، وكانوا يدفعون إليهم أجوراً قليلة وحتى أنها قد تكون أرغفة من الخبز أحياناً.

ويدخل في عداد هذه الطبقة المغنون والشعراء وكان كثير منهم تتدفق عليهم الأموال تدفقاً. وقد رأينا كبار الكتاب في الدواوين ينتظمون في الطبقة العليا ، ولكن كان وراءهم عشرات إن لم يكن مئات يعملون في الدواوين ويأخذون رواتب متوسطة ، وخاصة في دواوين الخراج والجيش وفي أعمال الحسبة ورقابة الأسواق وفي البريد ودواوين الأخبار وفي المكوس الضرائب الجمركية ، ويضم إلى كتاب الدواوين وعمالها رؤساء الجند من يلون القادة فلم تكن لهم رواتبهم الرفيعة ولكن كانت لهم رواتب متوسطة تكفل لهم رزقاً حسناً[3].

ومن هذه الطبقة أوساط الصناع وخاصة من كانوا يقومون علي أثاث المساكن والأزياء والطعام ، وإذا عرفنا أنه كان يسكن بغداد بضعة ملايين في تقدير بعض المؤرخين عرفنا كثيراً ممن كان بها من التجار

---

[1] النجوم الزاهرة ٢٣/٣

[2] العصر العباسي الثاني – د. شوقي ضيف – ص ٥٩.

[3] العباسي الثاني – د. شوقي ضيف–ص ٦١.

والصناع ، وبعض التجار من كان يربح في صفقة واحدة ، ألوف الدنانير[1].

وقد لا يصور ذلك حياة الطبقة الوسطي تماماً ، ولكنه يشير إلى أن نفقاتها لم تكن كبيرة ، وكان يُعد من يقتني سبعمائة دينار صاحب ثروة كبيرة ، وكثيراً من الصناع والتجار لم تكن ثرواتهم تزيد علي ذلك ، وهم الذين كانوا يندمجون في الطبقة الوسطي من الأمة.

وتأتي نتيجة طبيعية للفتوحات كثرة الأموال وانتشار الرقيق انتشاراً مفرطاً، واستكثر المترفون والمنعمون منهم ، فامتلأت بهم قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد وعلية القوم ، وكان الرقيق يباع ويشتري ، وكانت بغداد أعظم سوق في الشرق لتجارته وكان يجلب من بلاد الزنج وأفريقيا والهند إلى جانب ما يجلب نتيجة للأسر في الحروب.

وشاعت فنون الخلاعة والمجون ، وأصبح لكل ضرب من ضروب اللهو علم يعرف علماؤه والمتفنون فيه ، ويقرب أهله إلى الخلفاء وذوي الرياسة حتى الرقص والغناء فكان لكل خليفة في قصرة مغنون ومغنيات و وقيان وراقصات ، جعلوا من ليلهم نهاراً وجعلوا حياتهم وحفلاتهم السهر عامة بالعديد من ألوان اللهو والطرب بالإضافة إلى ألوان المأكل والمشرب. وكانت حفلات الطرب واللهو هذه يغشاها الأدباء وأرباب الفنون والعديد من الشعراء وكانت ينبوعاً رائقاً للشعر وما يتبعه من لطيف الملح والنوادر وليس هذا فحسب ، بل كان الملحنون من أمثال الطنبوريين وغيرهم يلحنون ما تجود به قرائح الشعراء والخلفاء في المناسبات المختلفة.

وبعث التأنق في الحياة إلى استحداث آداب المجالس ، وآداب السمر ، وآداب المائدة وأصبح للقوم في هذه الآداب ما لم تتحدث بمثله المصادر عن ملوك روما وبيزنطة وفارس فكان من الرؤساء والوزراء من لا يأكل

---

[1] الوزراء والكتاب للجهشياري – ط الحلبي ص ١٨٥.

لقمتين بملعقة واحدة كما قيل عن الوزير المهلبي- (انه كان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله أنه إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثالها وقف في جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين بمعلقة زجاجاً مجروداً ، وكان يستعمله كثيراً ، فيأخذ منه بملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة ، ثم يدفعها إلى غلام آخر قائم في الجانب الأيسر ، ثم يأخذ أخرى يفعل بها كالأولي، حتى نال الكفاية، لئلا يعيد الملعقة إلى فمه دفعة ثانية[1].

وتفنن القوم في الطهو في أصناف الحلوى ، وكان الخلفاء لا يتناولنها إلا بعد أن يصفها لهم الجلساء والندماء ويبالغون في حلاوتها وصناعتها ويتذكرون كل ما قاله الشعراء فيها ، فوصفوا الخبيصة* والقطائف والفطائر وأطايب الطعام الأخرى وقد ذكر الصولي مقطعان حول الأطعمة والحلوى وأنواعها وطرق صناعتها.

كما تواضعوا علي تصميم الملابس وزركشتها وتطريزها بالمذهبات وتنويعها حسب المناسبات والاحتفالات ولقد احتفل الخلفاء في هذا العصر – لا بالأعياد الإسلامية فقط – بل أيضاً بالأعياد والفارسية كعيد النيروز أو النوروز، وأعياد الأتراك وأكثر الشعراء في مديحهم في هذه المناسبات وشارك الصولي في هذا أيضاً ، فله قصيدة زائية يمدح فيها الراضي بالله ، ويهنئه بعيد النيروز والتي مطلعها:

بارك الله للأمير أبي الـ ـعباس خير الملوك في النيروز
وأراه أولاد الغر أجدا ر اُ بملك نامٍ وعز عزيز[2]

---

[1] اخيار الراضي بالله والمتقي لله – لابي بكر محمد بن يحي الصولي – عني بنشره ج هيورت –دن – دار المسيرة – بيروت – ص٣١.

[2] أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الأوراق – لأبي بكر محمد بن يحي الصولي(ت٣٣٥هـ) نشر (ج – هيورث –دن) – الطبعة الثانية – ط دار المسيرة –بيروت– ت (١٣٩٩هـ–١٩٧٩مـ) – ص ٣١.

* الخبيصة: حلوى تصنع من السمن والعسل.

* النيروز: عبد الربيع عند المجوس وأصبح شعاراً للفرس، وهم يحتفلون به حتى الآن.

وإذا كانت هذه حياة الطبقتين العليا والوسطي وما كانت ترفل فيه من دعة وخمول وترف، فإننا نجد طبقة مسحوقة مغلوبة علي أمرها لاهمّ لها سوى تحصيل ما تسد به الرمق ، وهي الطبقة التي كانت يقع عليها العبء الأكبر في العمل بالزراعة والصناعات الصغيرة وخدمة أرباب القصور ، فهي التي تعمل في الاقطاعات والضياع وهي التي تقوم علي تقديم أسباب الحياة للطبقتين العلياء والوسطي عاملة تارة أو صانعة ، أو خادمة تارة أخري.

فكان النتاج الطبيعي أن تحصل الثورات التي استغلت قضية العدالة الاجتماعية لتسويق ، أفكارها ، فما تكاد تخمد ثورة حتى يشتد أوار ثورة أخرى فمن ثورة الزنج إلى ثورة القرامطة ، التي رفعت شعار المساواة وإزالة الفساد والمفسدين إلا أنها استغلت من آمنوا بها وبأفكارها أبشع استغلال.

وقد تمثل استغلال الطبقة الكادحة من الابتزاز إلى أعمال السخرة ، ومما يدل على هذا البؤس ما كان يحدث بين الفينة والأخرى من غلاء فاحش في أسعار ضرورات المعيشة حتى أنهم ليجأروا بالشكوى إلى الخليفة ، علي نحو ما صنع أهل البصرة في زمن المعتضد إذا أرسلوا إليه وفداً كبيراً يشكو ما نزل بمدينتهم من غلاء فاحش آملين أن يمد لهم الخليفة يد المساعدة[1].

وكثرت المكائد والتحلل من الوعود والعهود ، ولم يكن هناك حرص من الخلفاء علي الوفاء بالعهود[2].

أما الطبقة الأخيرة فهم أهل الذمة من أصحاب الديانات السماوية وغير السماوية ، من النصارى واليهود والمجوس والصابئة ، ولفظة أهل الذمة إشارة إلي أنهم في ذمة الإسلام ، وعهده ورعايته وما وضعه من

---

[1] مروج الذهب – لأبي الحسن علي بن حسن المسعودي – الطبعة الرابعة – ط السعادة – مصر – ٣٢٨/٤.

[2] كتاب الأمامة والسياسة لأبن قتيبة – ط الهيئة المصرية للكتاب – ت ١٩٧٣م – ص٣.

قسم ومثل في المحافظة عليهم وعلي معتقداتهم أنهم عملاً بمبدأ قراني أصيل (لا إكراه في الدين) فلهم معابدهم وكياناتهم الخاصة بهم وليس عليهم للدولة سوي ضريبة مالية محدودة هي الجزية لم يكن يدفعها إلا القادر علي حمل السلاح، وكان أهل بغداد من المسلمين يعاملونهم معاملة حسنة ، وكانت العاصمة تأنس خاصة للمسيحيين منهم ، إذ كانوا يؤثرون علي المجوس ، ويرون أنهم اسلم صدراً من اليهود ، كما يقول الجاحظ في رسالته التي يرد فيها علي النصارى ، وفيها يذكر أن الخلفاء والولاة قربوهم منهم واستخدموهم في الدواوين وقاموا علي كثير من شئونهم وأنهم كانوا ينهضون بحرف جليلة مثل العطارة والصيرفة وكان منهم أطباء الخليفة والوزراء وعليه القوم وأطباء البيمارستانات ، حتى استقر في نفوسهم أن الطبيب الحاذق لا بد أن يكون مسيحياً ، أما اليهود فإنهم كانوا يعملون في أحقر المهن ، حتى ليقول الجاحظ في الرسالة آنفة الذكر. (لا تجد اليهودي إلا صباغاً أو دباغاً أو قصاباً أو شعاباً ويقول ابن قتيبة (إنهم أنتن خلق الله فناءاً[1]).

ويعظم أمر أهل الذمة في أواخر القرن الثالث ، إذ يكثر استخدامهم في الكتابة وفي أمور المسلمين فأمر المقتدر لسنته ٢٩٦هـ بألا يستخدم أحد منهم إلا في الطب والجهيزة وأن يطالبوا بلبس العسلين ولبس الرقاع المصبوغة علي أظهرهم[2].ومع ذلك نري وزيره ابن الفرات يتخذ منهم أربعة كتاب كان يدعوهم يومياً إلى طعامه مع خمسة آخرين اختص بهم جميعاً.

كما أن وجود الأديرة التي يرتادها المسلمون ، ومنهم الشعراء طلباً للخمر واللهو ، فتفشت ظاهرة عشق الغلمان ، وطارت قصصهم في كل

---

[1] العصر العباسي الثاني –شوقي صيف ص ٦.

[2] النجوم الزاهرة ١٦٥/٣.

ذلك إلى إصابة المحب بالغيبوبة والجنون ، ومعاشرة الوحوش في الفلوات، ثم من شدة العشق [1].

هذا لون من ألوان الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني، ومما لا شك فيه أن الحياة الاجتماعية تنعكس علي الإنتاج الأدبي والشعر خاصة ، وهذا ما نراه واضحاً جلياً في الحياة الثقافية في هذا العصر كان هكذا عصر الخوارزمي ترفاً وبذخاً أورث الدولة اضطراباً سياسياً وسرقات ورشاوى ومصادرات ونكبات أتت علي كل شيء... فكان عصر الترف والفوضي والحيرة والقلق والخوف ، تأهبت فيه النفوس لدعاوى الجماعات السرية وتعلقت الآمال بالمهدي المنتظر والمصلح الأكبر ، الذي سيملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً فكان عصره عصر داعية الزنج والقرامطة، كما أسلفنا والحلاج والشيعة العلويين وغيرهم من الثوار وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمازجون بين المقاصد الاجتماعية والدينية، ويعالجون الترفيه عن الفقراء المدقعين و العبيد المحرومين، بالدعوة إلى المساواة ومناهضة الحكام ، كل ذلك والقصور تعيش في غيها لا تحس فيها من احد ولا تسمع لها ركزا، وهي بمنأى عن هذه المشكلات الاجتماعية وبالتالي لا تبحث عن علاج لأسبابها الدفينة ، ودرجت الأحوال علي ذلك ، فلم يكن ليهونها أو يخفضها علي الناس إلا اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وسرعان ما تقطعت أوصال الدولة ، وطمع فيها أمراؤها وولاة الأقاليم واستقل الأمير تلو الأمير ، وتكونت الدويلة تلو الدويلة ، حتى سقطت بغداد في النهاية.

ولعل أصدق ما يصور الحياة الاجتماعية في تلك العصور هو النتاج الأدبي (حيث كان اللسان المعبر عما آلت إليه الأمور في هذه الأعصر ، يقول (أحمد أمين) كان النتاج الأدبي في هذا العصر من نظم ونثر صورة صحيحة للحياة الاجتماعية ، وفي حياة اللهو وحياة الجد ،

---

[1] معجم الأدباء – ياقوت الحموي ٢٣/٢.

وفي انحلال الأخلاق وانغماس الأدباء فيها ، ونعي بعضهم عليها وإلي غير ذلك من المظاهر ، ولعل خير ما يمثل أدب هذا العصر كتاب يتيمة الدهر للثعالبي.

وربما كان أكبر من يمثل كتّاب النثر ابن العميد[1] ، وابن عباد[2] ، والخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني[3] ، وأبو حيان التوحيدي ، كما كان أكبر من يمثل الشعر ، المتنبي[4] ، وأبن حجاج ، والشريف الرضي ، وأبو العلاء المعري ، والصنوبري وأبو فراس الحمداني[5] .

وسنعرض اليه عندما نتحدث عن الكتابة الاجتماعية والشعر الاجتماعي في مقبل الفصول وتأثر الأديب والكاتب والشاعر بمجتمعه وتأثيره عليه.

ولعل أصدق ما يدلل لنا علي ما ذكرنا من أن الأديب والشاعر هما اللسان المعبر عما يعتور في الأمة من وقائع ، هو أننا نجد أديباً كالخوارزمي يصف ما آل إليه الحال في ظل حكم قائم، يراه هو قاتم. لا هم له سوي خلع الرتب والألقاب جزافاً ، دون أن يعبر تعبيراً حقيقياً عن مضامين معينة وذلك عندما ذم احد خلفاء بني العباس قائلاً:

مالي أرى بني العباس قد فتحوا

من الكنى ومن الألقاب أبواباً

---

[1] – ابن العميد : هو محمد بن الحسن بن محمد ، صاحب الرسائل ولي الوزارة لركن الدولة البويهي بهمذان سنة ٣٦٠هـ . الأعلام (٩٨/٦) .

[2] – ابن عباد : هو إسماعيل بن عباد بن عباس أبو القاسم الطالقاني الوزير الشاعر ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥١١/١٦).

[3] – بديع الزمان الهمزاني : هو أحمد بن الحسين بن الحسين بن يحي الهمذاني أبو الفضل ، صاحب المقامات ، ومساجلته للخوارزمي مشهورة ، الأعلام (٢١٣/٢).

[4] – المتنبئ : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي الشاعر المشهور وَفَيَات الأعيان لإبن خِلِّكان (١٢٠/١)

[5] – أبو فراس الحمداني : هو الحارث بن سعيد بن حمدان ، بن عم سيف الدولة (٣٢٠هـ) ، وَفَيَات الأعيان لإبن خِلِّكان (١١٤/٢)

ولقبوا رجلاً لو عاش أولهم

ما كان يُرضى به للحش بوابا

قلَّ الدراهم في أيدي خليفتنا

هذا فأنفق في الأقوام ألقابا

فهو يصوِّر هذا العصر وكأن الخلفاء قد انشغلوا بالقشور وعزفوا عن اللباب، وعن الأسماء ، دون الرسوم ، وصاغوا هذا الموضوع في قالب ساخر استعمله في كثير من كتاباته كما سنري ثم يقول في أخرى راثياً احد خلفاء بني بويه وقد كانت له في قلبه مكانة كبيرة قال يرثي ركن الدولة البويهي[1]:

طوى الحسن بن بويه الردى أيدري الردى أي جيش هزم

فصيح اللسان بديع البيان رفيع السنان سريع القلم

إذا تم شئ بدأ نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم

ولعل هذين الشاهدين يبرهنان بالدليل القاطع أن الأدب هو المعبر عن حياة الأمم علي مر العصور.

وبالتالي العصر العباسي الثاني الذي عاش فيه أديبنا المرِّسل أبو بكر الخوارزمي.

[1] تاريخ الأدب العربي – أحمد حسن الزيات – دار مصر للطباعة – ص٢٤١.

المبحث الثالث
الحياة الثقافية في العصر العباسي الثاني

ساعد انتقال مركز الحضارة من دمشق أبان حكم بني أمية إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، علي امتزاج بين الثقافة العربية بالثقافات الأخرى التي كانت حاضرة من خلال ما عرف عن تعدد الأجناس والأعراق والمذاهب في بغداد.

حيث أن الحضارة السائدة في العراق قبل ظهور الإسلام كانت الحضارة الفارسية فأثرت الثقافة السائدة في الثقافة الوافدة وهي هنا المجتمع العباسي العربي المسلم.

يقول د. صالح أدم بيلو: (وكان لا بد للفرس وقد اتصلوا بالعرب هذا الاتصال ... أن يكون لهم تأثير علي الحياة الثقافية في هذا العصر وكان ذلك[1]).

أولاً: التأثير في اللغة ومفرداتها:

وجد المجتمع العباسي أمامه أشياء جديدة في كثير من مناحي الحياة ، في المأكل والمشرب ، وآلات الطرب والغناء ، وأدوات الزينة والزخرف ، وفي الدواوين ونظامها ، وما إلي ذلك من أشياء لم يكن للعرب بها عهد أو سابق معرفة ومن الطبعي ألا يكون في ألفاظ العربية ما يدل عليها وما يعبر عنها ، فسلكوا خير سبيل يسلك في مثل هذا الظرف وهو أن يتوسعوا في مدلولات الكلام لتؤدي المعني الجديد ، أو يأخذوا الكلمات الأجنبية كما هي أحياناً أخرى[2].

ولقد كانت الفارسية منبعاً كبيراً من المنابع التي استمدت منها العربية ، ووسعت مادتها.

ثانياً: إنها قليلة من حيث مادتها.

---

[1] الثقافات الأجنبية في العصر العباسي (١٣٢-٣٤٣هـ د. صالح آدم بيلو- مكة المكرمة – ط١- ١٤٠٨-١٩٨٨م.) ص ٥٠.

[2] المرجع السابق – نفس الصفحة.

ثالثاً: إن معظمها كان أسماء من نوع خاص لحيوان أو نبات لم يكن معروفاً عند العرب.

رابعاً: أن العربية حين تنقل ألفاظاً من غيرها ، تنقل عن شعوب عرفوا بالمهارة والاختصاص في استعمال مدلولاتها ، فقد اخذوا عن اليونان كلمات تدل علي معان فلسفية ، وعن الفرس كلمات تدل علي أنواع الطعام والشراب والملابس والزهور[1].

وكان أن امتزجت الثقافتين الفارسية والإسلامية التي لحمتها وسداها العروبة ، فنشأت حضارة فريدة من نوعها ، ودامت قروناً واستفادت وأفادت.

ومما يدل علي استفادة الثقافة العربية من الثقافة الفارسية ما أورده الجاحظ في معرض حديثه عن محاسن الكتابة والكتب: (كانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخلقة مركبة في النبات، إذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجي نفعها ، وأحياء شرف يريدون تخليد ذكره ... ويضعون الخط في أبعد المواضع عن الدثور وأمنعها من الدروس ... ولولا الحكم المحفوظة ، والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر[2].

وكانت هذه الكتب والحكم المأثورة أساساً لكتب تنقل إلى العربية منذ نهاية العصر الأموي ، كما ارتفع الفرس المسلمون الذين ينحدرون من أصل فارسي إلى السلطة والنفوذ في العصر العباسي ، وكان للأثر الذي أحدثه هؤلاء الفرس في الخلافة أعظم الخطر حتى إنه يعد من أهم مظاهر تاريخ الحضارة الإسلامية[3].

ومما يدل علي اهتمام الفرس وعنايتهم بالعلوم وحرصهم عليها ، أن أكثر حملة العلوم كانوا من الفرس ، يقول ابن خلدون في مقدمته في

---

[1] الثقافات الأجنبية في العصر العباسي – ص ٤٥.

[2] الحضارة الإسلامية لآدم متز – ص ١٨٩.

[3] المحاسن والأضداد – الجاحظ – مطبعة القاهرة – ص٣.

شيء من التعميم : (من غريب الواقع أن حملة العلوم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم ، وإن كان منهم العربي في نسبته ، فهو عجمي في لغته ومرباه وشيوخه ، مع ان الملة عربية ، وصاحب شريعتها عربي ، فكان صاحب صناعة النحو (سيبويه) و (الفارسي) و (الزَّجَّاج) من بعده ، كلهم عجم في أنسابهم وإنما ربوا في اللسان العربي ، ما كسبوه بالمربى ومخالطة العرب ، وصيروه قانوناً وفتاً لمن بعدهم ، وكذا حملة الحديث الذين حفظوه من أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون ، وكان علماء أصول الفقه كلهم من العجم وكذا حملة علم الكلام ، وكذا أكثر المفسرين[1].

ولعلني أجدني أميل لهذا القول وخصوصاً أن معظم أدباء هذا العصر كانوا من غير العرب بل كانوا من العجم كقابوس بن وشمكير وابن المقفع والخوارزمي وغيرهم من الأعلام من هذا العصر.

وقد ازدهرت حركة الترجمة إزدهاراً لم يسبق له مثيل ، فقد أنشأ المأمون مدرسة لتخريج المترجمين في بغداد[2]. وهي مكملة لدار الحكمة التي بناها الرشيد ، وعني بها المأمون و جعل سهل بن هارون أميناً عليها كما انتشرت في ذلك الوقت الحكم القصيرة لأنوشراون ، وغيرها مما ازدهي له هذا العصر من ترجمات كانت للغات سائدة كالفارسية (البهلوية) ، الهندية ، (السنسكريتية) – اليونانية – السيريانية والعبرانية وسميت الترجمة من السريانية والعبرانية خاصة بالاسرائيليات[3].

وقد ترجمت في هذا العصر كتب كثيرة منها: كتب رستم واسفنديار وهما بطلا (الشاهنامة) لأبي القاسم الفردوسي وغيرها...[4].

ومما ساعد كذلك علي ازدهار الثقافة في هذا العصر نشاط التعليم ، وإنشاء الكتاتيب للناشئة ، والمساجد التي كانت أشبه بجامعات حرة

---

[1] المقدمة – عبد الرحمن بن خلدون – ط دار الكشاف – ص٥٤٣-٥٤٤.

[2] الحياة الأدبية في العصر العباسي – عبد المنعم خفاجي ص ٢٣٠ القاهرة.

[3] تاريخ علم الأدب – لدوحي بك الخالد –ص٥٤ – القاهرة.

[4] الفهرست لابن النديم ص ١١٩-١٢٦

تدرس فيها العلوم الشرعية بجانب العلوم النظرية ، فكان الناشئة يتعلمون القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، من أهم ما عمل علي إشعال الجذوة العلمية وإمدادها بوقود جزل لا ينفذ ، مناظرات العلماء في المساجد وقصور الخلفاء في الكلام والفقه واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يشتد فيها الجدل. وغير بعيد مناظرة الخوارزمي مع بديع الزمان الهمذاني والتي سيعرض لها الباحث لاحقاً.

وكان استخدام الورق في الكتابة وتصنيف الكتب استخداماً عاماً منذ عصر الرشيد عاملاً في ازدهار الحركة العلمية آنذاك ، فقد كانوا يعتنون قبل عصره غالباً في الجلود والقراطيس المصنوعة بمصر من (ورق البردي)، وكانوا يكتبون في (ورق الكاغد) المستورد من الصين وكان مرتفع الثمن، فنقلوا صناعته إلى بغداد في عصر الرشيد ، إذ أنشأ الفضل بن يحي البرمكي وزيره مصنعاً للورق فرخص ثمنه ، وانتشرت الكتابة فيه لخفته وسرعان ما كثرت الكتب والمصنفات ، كما كثر الوراقون وانشأ كثير منهم دكاكين للاتجار فيها ، واختلف إليهم الشباب والعلماء لا لشراء الكتب فحسب ، بل ليقرءوا فيها وينهلوا من مصنفاتها ، وكانوا يكترونها لذلك ويبيتون فيها يقرءون علي المصابيح ويقيدون أو ينسخون ما شاءوا من الأفكار و الصحف والرسائل[1].

ولعل ذلك ما ساعد علي نشوء حركة التأليف وتطورها حيث أن وسائل الكتابة أصحبت متيسرة وفي متناول اليد ويستطيع كل من أراد التأليف أن يحصل علي وسائله بأيسر السبل مما يدل علي أن العلم لم يعد حكراً علي العلماء دون عامة الناس وذلك لمجهودات جبارة بذلها الأدباء لإيصال هذه العلوم إلى عامة الشعب وليس أدل علي ذلك ممن كتبوا كتباً سلسلة سهلة حتى يتسنى لعامة الشعب فهمها والإحاطة بما تحويه من علوم ، وأدل دليل ما ألفه الجاحظ في كتابه (البيان والتبين) و(الحيوان)

[1] العصر العباسي الثاني – د. شوقي ضيف – ص ١٢٣

وعند ابن قتية كتابه (عيون الأخيار)[1] و ذلك أوضح بيان بأن الكتاب كانوا يدركون حاجة العامة لثقافة تهذب نفوسهم وتولد فيهم ملكة الإبداع والتأليف كما سنراه.

وقد نشطت بقية العلوم نشاطاً لم يسبق له مثيل ، ويكفي محمد بن موسي الخوارزمي وابتكاره لعلم الجبر ، كما أن له شروحاً علي كتاب أقليدس في الهندسة وكتاب بطليموس في الجغرافيا وقد خلف فيها أول كتاب سماه (صورة الأرض) ، ومع افتتاح العصر العباسي الثاني يؤلف عبد الله بن خردذابة الفارسي الأصل ، كتابه (المسالك والممالك).

وقد راج الطلب وعلومه كثيراً في هذا العصر وخصوصاً وقد اخذ الخلفاء يجزلون العطاء للأطباء علي نحو ما نراه عند المتوكل وطبيبه: بختيشوع[2] ، حيث قيل انه كان من شدة ثرائه كان يضاهي الخليفة المتوكل. كما نبغ فلاسفة كبار في هذه العصر أمثال الفارابي وابن سينا وغيرهم.

أما في مجال علوم اللغة والنحو والبلاغة فإننا نجد ابن دريد الذي ألَّف كتابه (الجمهرة في اللغة) ، علي الرغم من نقد القدماء له ، وقامت في هذا العصر أيضاً المدرستان الكوفية والبصرية، وكان لكل من هاتين المدرستين أراؤهما النحوية التي قد تتفق أحياناً وكثيراً وقد تختلف أحيانا أخرى وعليه فإن عصر الخوارزمي كان من أزهي عصور الإسلام من الناحية العلمية، أما من ناحية العلوم الإسلامية ، فقد أينعت فيه ثمار تسر الناظرين وأهمها علوم القرآن فقد وضع ابن قتيبة كتباً في (غريب القرآن)، (ومشكل القرآن) وغير ذلك كما وضع محمد بن جرير الطبري تفسيره، ووضع الصولي في هذا المجال كتاب سماه (الشامل في علم القرآن) ووضعت كتب الحديث المعروفة بكتب الصحاح الستة ، فقد وضع البخاري المتوفى ٢٥٦هـ (الجامع الصحيح) ، وألف مسلم المتوفى

---

[1] العصر العباسي الثاني – د. شوقي ضيف – ص ١٢٣

[2] – بختيشوع : هو جبرائيل بن جرجس النصراني ، طبيب الخلفاء وجليسهم . الأعلام (١١١/٢).

سنة ٢٦١هـ (صحيح مسلم) وألف ابن ماجه المتوفى ٢٣٧هـ (سننه) وألف بن داود المتوفى ٢٧٥هـ ٢٧٥١هـ (سننه) وألف الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ (جامعه) وألف النسائي المتوفى ٣٠٣ (سننه) وهذه الكتب الستة التي تعد أصح كتب الحديث ، وألف كثير من العلماء كتباً في الحديث وشرحه وتأويله منهم (الصولي) ، ووضعت كتب الرجال جرحاً ، وتعديلاً، وغيرها من العلوم التي تتضل اتصالاً مباشراً بالشريعة الاسلامية وليس هنا فحسب ، بل اتضحت أثار الفرق الإسلامية علي اختلاف آرائها ومناهجها، فنجد منهج أهل السنة الذين تشددوا في إنكار البدع ومناهج الفرق الإسلامية المتعددة ، كالمتعزلة والمرجئة والشيعة والظاهرية... وكل فرقة من هذه الفرق منهج خاص تسير عليه ، كما لها تفسيراتها لنصوصها وكتبها وآرائها ونذكر هاهنا كذلك نمو الحركة العقلية ، وابتداع أنواع جديدة للأدب ، كالأدب الفلسفي ،الذي كان من أوضح الأنواع الأدبية إظهاراً له لزوميات المعرِّي ، وكأدب الزهد والطبيعة والتصوف وسوي ذلك ، ولا شك أن الأدب القصصي ومنه فن المضاهات قد ظهر فيه التأثر جلياً سواء كان الثقافة الأجنبية أو الأثر العقلاني.

وهذه العلوم قد فتحت مجالات واسعة أمام الكتاب والأدباء والشعراء للحديث عن مشكلات المجتمع والأخلاق والسياسة المدنية وتدبير الملك ، وسوى ذلك مسائل الحضارة والعلوم الجديدة التي نتجت من الممازجة بين الأدب والفلسفة ونشأ كما أسلفنا الشعر الفلسفي[١].

أما عن الأدب في هذا العصر – العصر العباسي الثاني –فقد بلغ شأواً عظيماً غير أننا يمكن أن نطلق عليه (أدب الدويلات) ذلك أن العالم الإسلامي كان قد تفرق إلى دويلات وإمارات كما أسلفنا وكان تأثير ذلك علي الأدب جلياً وواضحاً.

---

[١] تاريخ الأدب العربي – د. عبد المنعم خفاجي – ط مكتبة الكليات الأزهري – ص ٢٢.

حيث أصبح لكل إقليم أو دويلة أو إمارة أدبائها الذين يقفون على أمراؤها ينثرون النظم عقوداً من الجمان لأجل ما يجود به هؤلاء الأمراء والوزراء كما سنلمسه عندما نتحدث عن هذه الدويلات التي عاصرها الخوارزمي فقد عاصر البويهين والحمدانيين والسامانيين وغيرهم من الامراء الذين كانوا يعيشون في شبه استقلال عن الخليفة في بغداد على ما سنري.

أما عن الأدب في ظلال البويهيين فقد تأثر الأدب والأدباء في هذا العصر تأثراً كبيراً بالحياة السياسية والاجتماعية والعقلية كذلك كان للبيئة والطبيعة أثرهما الواضح في أدب هذا العصر وقد أثرت الروح الفارسية والحياة الدينية ، كذلك في الأدب... هذا بالإضافة إلى تشجيع ملوك بني بويه وزرائهم للأدب والأدباء... مما كان من أثره ازدهار النهضة الأدبية ازدهاراً عظيماً لم يصل إليه الأدب في أي عصر من عصوره[1].

وكان سبب هذا الأمر أن بعض ملوك (بني بويه) كانوا قد تفرغوا للأدب والشعر ، (فعز الدولة) و(أبو العباس ابن ركن الدولة) كانا شاعرين ، وتاج الدولة ابن عضد الدولة كان آدب آل بويه وأشعرهم، وكان يلي الأهواز ، و(عضد الدولة) كان شاعراً وأديباً وقد قصده فحول الشعراء من أطراف البلاد كالمتنبي وغيره وقال فيه الثعالبي (كان يتفرغ للأدب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء علي منادمة الأمراء ، ويقول شعرا كثيراً)[2]

واستوزر البوهيون أبرع الكتاب وأبرزهم ، مثل: ابن العميد والصاحب بن عباد ، وابن سعدان المهلبي وكان ابن العميد يميل إلى العمل وكان الصاحب والمهلبي يميلان إلى الأدب، وكان سابور بن أردشير يجب الكتب ويعني بها ، وقد انشأ مكتبة في بغداد عام ٣٨١هـ وقد اجتهد الأدباء في العهد البويهي في التأنق واستعمال المحسنات

---

[1] الاداب العربية في العصر العباسي الناني – د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢٨.

[2] المصدر السابق – ص ٢٢٢.

البديعية وكان علي رأسهم ابن العميد وقلده الأدباء والكتاب علي طريقته ، وكان الصاحب شديد الولع بالسجع إلى حد الإفراط، وكذلك كان الصابي، وكانت المبالغة والافتراض في المعاني واضحة في أدب هذا العصر[1].

وبذلك نفهم ما حدا بأن يكون كاتبنا كما سنعرف من الشغوفين باستعمال الأسجاع والكلف بالمحسنات البديعية ذلك أن العصر كان يتطلب هذا الأمر.

أما إذا عرجنا شطر (حلب بني حمدان) فإننا سنلمس حركة أدبية راقية ذلك أن إمارة الحمدانيين كانت إمارة عربية خالصة في بحر متلاطم من دويلات يغلب عليها الطابع الأجنبي فرساً كانوا أو تركاً.

يقول احمد أمين: لعل اكبر حركة في الشام وأعظمها في الأدب واللغة وعلومها ، كانت في ذلك العصر في بلاط الأمراء الحمدانيين في حلب – وخاصة في أيام سيف الدولة – فقد فاقت حركة الشعر واللغة والنحو وما إليه نظيرتها في مصر، وربما في العراق أيضاً يقول الثعالبي: (لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها ، أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والإسلام والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ منهم : العناني ، ومنصور النمري ، الأشجع السلمي ، ومحمد بن زرعة الدمشقي ، وربيعه الرقي ، علي أن الطائين يعني (أبي تمام والبحتري) للذين انتهت إليها الرئاسة في الصناعة كفاية، هماهما...) قد جمعوا بين آداب السيف والقلم وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينقد ويثيب علي الجيد منه فيجزل ويفضل ، انبعثت قرائحهم في الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأبدعوا وأحسنوا ما شاءوا ، وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب بن عبَّاد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلي التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة ، والفصاحة والسلاسة ويحرص علي تحصيل الجديد من أشعارهم ،

---

[1] الآداب العربية في العصر العباسي الثاني – ص٢٢٣.

ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف حتى كتب دفتراً ضخم الحجم عليها ، وكان لا يفارق مجلسه ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه علي طرف لسانه وفي سن قلمه ،فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته يحله أو يورده هو في رسائله[1].

وقد ذكر انه تخرج من هذه المدرسة الحلبية الحمدانية أبو بكر الخوارزمي، والقاضي أبو الحسن الجرجاني مؤلف (الوساطة بين المتنبي وخصومه) كانت ميزات سيف الدولة وإن شئت فقل وعيوبه أيضا مشجعة علي النهوض بالشعر الأدب والعلم إلي غاية بعيدة ، فهو عربي من تغلب يعتز بنسبه ومجد بيته ، وفيه الطباع العربية في البيوتات الكبيرة ، يطمح كل الطموح لحسن الأحدوثة ، ولذلك كان يهمه أن يكون حوله أعاظم الشعراء ، يشيدون بذكره ويسير شعرهم في الآفاق مدرجاً فيه ، ثم هو فارس فيه صفات الفروسية من إباء وفخر ونصرة للضعيف ، ومعونة للبائس والفقير ، يري المجد والمروءة في الزهادة في المال للاعتزاز بالمجد ، والإغراق علي الأصدقاء ... فهو يصوغ الدنانير للصلات وزن كل دينار عشرة مثاقيل ، عليها اسمه وصورته ، ويعطي منها الببغاء الشاعر المشهور فيقول:

نحن بجود الأمير في حرم نرتع بين السعود والنعم
أبدع من هذه الدنانير لم يحبر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدن باسمه وصورته في دهرنا عوذة من العدم

ولما عزم أبو اسحق الصابي علي الرحيل من حلب طلب إليه أن يقول شيئاً في سيف الدولة ، فقال ثلاثة أبيات ، فأعطاه كيساً مختوماً يختم سيف الدولة فيه ثلاثمائه دينار[2].

---

[1] الآداب العربية في العصر العباسي الثاني د. محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ٢٩.

[2] اليتيمة ٦/١

فلا عجب ان يكون بلاطه أزهي بلاط في عصره يقول الخوازرمي حنيناً لأيام قضاها فيه: (وقد رأيت في هذه الحضرة خضرة أبي محمد العلوي بأصبهان) أقواماً كنت شاهدتهم علي باب سيف الدولة ومنهل الصفاء عذب ، وعود الشباب رطب ، وذكرت بهم مآرب هنالك وأيام سلبتها سلباً ونزعت من يدي غصباً ، ودهراً كأني كنت أقطعه وثباً[1].

أما في العراق في ذلك العصر فقد نبغ كثير من الأدباء والشعراء ، من أشهرهم في بغداد آنذاك ابن نباتة السعدي ، مَداح الملوك والرؤساء والوزراء ، ثم أبو الحسن السلامي ، نسبه الي دار السلام ، وهو شاعر عربي أصيل ، واشتهر من علماء خراسان أحمد بن سهل البلخي ، وابن سينا، وقد كانت في هذا الإقليم حركة أدبية قوية من شعر ونثر فني. ففي الشعر جروا علي أساليب العراق وفارس من إكثارهم من المقطوعات في المناسبات والتفنن والإغراق والمبالغة ، والإمعان في التشبيه ، وشجع الملوك السامانيين الحركة الأدبية كما شجعها وزيران كبيران لهذه الدولة فكانا صورة مصغرة لابن العميد بن عباد وهما: الوزير البلعمي ، وأبو عبد الله الجيهاني.

وقد نبغ في الدولة السامانية من الشعراء كثيرون عدَّهم الثعالبي في اليتيمة ، ونقل طرفاً من أشعارهم ، ولعل من أخصهم بالذكر محمد بن موسى الحدادي البلخي[2].

وأنتج هذا العصر من أعلام النثر الأديبين الكبيرين الشهيرين أبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني.

أما محمد بن العباس أصله من خوارزم ، وطوف الشام ونزل ضيفاً علي سيف الدولة بحلب وعلي الصاحب بن عباد في الري ثم عاد إلى نيسابور.

كان يتعصب لبني بويه ، ويغض عن سلطان خراسان ، ونكل به مرة من اجل ذلك وقد خلف لنا رسائله الأدبية القيمة ، علي ما فيها من تكلف أحيانا جر إليه الغرام بالسجع والبديع.

---

[1] رسائل الخوارزمي – ١٧٧.

[2] اليتيمة ٣/٢١.

ومن الأمراء غير العباسيين الذين كانوا من الأدباء آل ميكال الذين اشتهر من بينهم ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي وأبو محمد عبد الله بن اسماعيل الميكالي وآل ميكال أسرة كبيرة من سادة خراسان وأولي الفضل والنبل والرياسة فيها ، جمعوا إلى إنشاء الأدب حماية الأدب.

وقد قصدهم أمثال ابن دريد مادحاً أبا الفضل الميكالي لينسابور ، ويؤلف له كتاب الجمهرة ، ثم تراه ينشيء له قصيدته المقصورة يا ظبية اشبه شئ بالمها – والتي يقول في مدح آل ميكال:

إن ابن ميكال الأمير انتاشني

من بعد ما قد كنت كالشيء اللقا

ونري مثلاً أبا منصور الثعالبي يؤلف كتابه (لطائف المعارف) للصاحب بن عبَّاد ، و(المبهج) لشمس المعالي قابوس بن وشمكير ، و(فقه اللغة)، و(سحر البلاغة) لأبي الفضل الميكالي و(النهاية في الكتابة) لمأمون بن مأمون صاحب خوارزم[1].

وعلي الجملة فهاتان الدولتان (البويهية) و(السامانية) مع فارسية ملوكها وأعجمية لغاتها الاصلية قد خدمت اللغة العربية والأدب العربي ، والعلوم الإسلامية والعربية والفلسفة خدمة كبيرة.

وخلاصة القول أن عصر الخوارزمي كان عصر الشمول ، عصر امتزاج الثقافات ، عصر الإلمام بكل العلوم والمعارف والفنون ولا شك ان مما ساعد علي هذه النهضة الثقافية والعلمية ، أن هذا العصر كان عصر الموالي من جميع الأجناس أولئك الذين كانت العصبية الجنسية تدفعهم دفعاً إلي دراسة العلوم الحديثة ، والتعمق فيها لأنها تنافس العلوم العربية ، فضلاً عن أنهم كانوا يبغون إلا ينفرد العرب بالدين والسياسة والعلم ، وألا يستأثروا دونهم بكل كمال وفضيلة ، وكان لهم ما أرادوا بل أنَّ بعضهم قد بزَّ العرب أنفسهم ، في فنون كانت حكراً علي العرب زماناً طويلاً إلا أنهم أمسكوا بزمامها وبالذات علوم الآلة كالنحو والبلاغة والأدب.وعلي هذا طويت صفحة من صفحات الحياة الثقافية في العصر العباسي الثاني.

---

[1] ظهر الإسلام / أحمد أمين – ج١ ص ٧٦.

الفصل الثاني
شخصية الخوارزمي

مدخل الفصل (الخوارزمي في عصره)

المبحث الأول: مولد الخوارزمي و نسبه

المبحث الثاني: تعلمه وثقافته

المبحث الثالث: رحلاته

المبحث الرابع: تلاميذه

المبحث الخامس: الذين كتبوا عن الخوارزمي

مدخل الفصل

الخوارزمي في عصره

لم يشغل عصر من العصور المؤرخون والأدباء كما شغلهم عصر الخوارزمي، ذلك أن ظهور طور جديد من أطوار الأدب نتيجة للتمازج والتلاقح الذي حدث والحضارة الفارسية مما أحدث تغييراً كبيراً في بنية الأدب ككل والكتابة وصناعتها على وجه الخصوص.

ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن من ألمع نجوم هذا العصر، وحملة لواء بنت عدنان في كل مصر، هو باقعة الدهر أبو بكر الخوارزمي.

وإذا ذهبنا نستقصي عمن كتب وترجم له، فلن نجد غير إشارات لا تعد أن تكون معاداً ولفظاً مكروراً وعيالاً على صاحب "اليتيمة" الذي ترجم له بقوله: "باقعة الدهر بحر الأدب وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والظرف... الخ"[1].

ثم استطرد صاحب اليتيمة وذكر شيئاً من أشعاره، وملح من نوادره، وأردفها بشيء من نثره وتحت عنوان "كلمات له تجري مجري الأمثال"[2].

ولولا الثعالبي وما جمعه في يتيمته لضاع شعر أبي بكر الخوارزمي إلا النذر اليسير.

---

[1] يتيمة الدهر الثعالبي – ج٤ – ط دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م – ص١٩٤ – الباقعة: الرجل الداهية والذي لا يفوته شيء– القاموس.

[2] المصدر السابق – نفس الصفحة.

وفي عصرنا الحديث لم يجد أبو بكر من الباحثين ما يلائم مكانته الأدبية، وربما يكون سبب ذلك قلة المصادر التي تكلمت عنه.

ورجع الباحث إلى ما كتبه الثعالبي في اليتيمة وغيرها من كتبه. كما رجع الباحث إلى مجموعة رسائله المطبوعة، ورجع كذلك إلى كتب التراجم، وجمع الباحث ما تناثر في كتب الثعالبي كاليتيمة وغيرها من كتبه كما ، وجمع ما تناثر في كتب الأدب عنه، ثم هناك ما كتبه في رسائله وأشعاره، رغم أن جُلَّ رسائله كانت عبارة عن ردود على تلاميذه أو رجالات عصره، غير أن بعضها يرسم لنا صورة من جوانب من حياته لم نجدها سوى فيما كتب هو، ولعلها تمثل صورة واضحة عنه في عصره كما سنري.

المبحث الأول
مولد الخوارزمي، ونسبه، ونشأته

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي. ولد عام ٣٢٣هـ. وأصله من طبرستان. ومولده ومنشؤه خوارزم. ولذلك عرف بالطبري، بالطبرخزمي[١].

وذكر ابن خِلِّكان أن أباه من خوارزم، وأن أمه من طبرستان[٢]. ويؤيد هذا النسب قول أبي بكر من رسالة إلى أبي القاسم الداودي "وتذممت أن أعارض بلسان خوارزمي وخاطر أعجمي من لسانه عربي وعقله قرشي"[٣].

وذكر أنه ابن أخت محمد جرير الطبري صاحب التاريخ المشهور. غير أن نسبته إلى الإمام محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ المشهور فيها نظر، ذلك أن ياقوتاً الحموي عندما تكلم عن موطن محمد بن جرير الطبري بآمُل، ذكر أن أبا بكر الخوارزمي يزعم أنه ابن أخت محمد بن جرير الطبري، وقد فند هذا الزعم بأن بيّن أن بن جرير لم يكن من الرافضة الذين يفخر بالانتساب إليهم أبو بكر الخوارزمي بقوله:

بآمل مُولدي، وبنو جريرٍ
فأخوالي، ويحكي المرءُ خاله
فها أنا رافضي عن تراثٍ
وغيري رافضي عن كلاله[١]

---

[١] اليتيمة ج٤ – ص٢٢٣.

[٢] وفيات الأعيان – لابن خلكان– ط دار صادر – بيروت – لبنان – ك١٤٠٣هـ/١٩٨٣م – ١٩٧/٥.

[٣] رسائل الخوارزمي – مطبعة عبد الرحمن رشدي – تحقيق/ محمد قطعة العدوي، ص ٤٨

وبَّين أن أبا بكر كان "سبَّابا رافضياً مجاهراً بذلك"[٢]. غير أن صاحب كتاب "أعيان الشيعة" في معرض ترجمته لـــ أبي بكر الخوارزمي لأن أمه من طبرستان فيركبون إلا سمين فيقولون الطبرخزمي، وكان ابن أخت محمد بن جرير الطبري ... إلى أن قال – وذكر كلام ياقوت الحموي الآنف الذكر قال: "خال أبي بكر هو محمد بن جرير بن رستم الطبري وهو غير صاحب التاريخ والتفسير المولود بآمل طبرستان، وأوقع ياقوت في الاشتباه إتحاد الكنية والاسم والنسبة"[٣].

وقد كانت (آمل)– مولد الخوارزمي – ذات شأن في تلك العصور المتأخرة، حيث أقام بها الطاهريون، في المائه الثالثة من هذا العصر – واتخذوا قصبتها مدينة سارية عاصمة لهم[٤].

ثم الدولة الصفارية التي استمرت خمسة وعشرين ومائة عام، ثم الدولة السامانية ثم البويهية، عايش الخوارزمي كل هذه الدول وكان له نصيب من قربهم مدحاً وذما كما سنعرف.

ثم كان للبيئة أثرها الكبير على تنشئة الخوارزمي، حيث تمتعت خوارزم أو "خيوة" بوقوعها على نهر جيحون، وهو واد كثير البساتين والفواكه.

---

[١] أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه– أحمد أمين مصطفي بالهيئة العامة للكتاب – مصر١٩٨٥ – ص١٣.

[٢] معجم البلدان – ص٥٧.

[٣] كتاب أعيان الشيعة – للسيد محسن الأمين– ط دار التعارف ١٩٠/١٤

[٤] الدويلات الإسلامية في المشرق – د. محمد علي حيدر – ط عالم الكتب – ص٧٧.

يقول د. علي الشابي: "تطلق خوارزم على الإقليم وعلى القصبتين الشمالية (كاث) والجنوبية الجرجانية (أوركنج) وهي المقصودة هنا من خوارزم"[١].

ويتكلم عن أثر هذا النماء والرخاء الاقتصادي في الحضارة: "خوارزم أو خيوة إقليم يقع على المجرى الأسفل من جيحون، وهو كثير البساتين والفواكه، ولابد أن خصوصيته كان لها أثر في تطور الحضارة في آسيا الوسطي"[٢].

وبرغم أن المذهب الغالب السُني إلا أننا نلمس وجوداً للتشيع والشيعة وربما ذلك يرجع إلى قربها من العراق الذي ينتشر فيه المذهب الشيعي بالإضافة إلى السُني[٣].

في هذا الجو عاش أديبنا الخوارزمي، ونشأ، واصطبغ فنه بكل ما يحتويه هذا العصر من أحوال سياسية واجتماعية واقتصادية متقلبة أثرت وأثَّرت في أدبه وفنه كما سنعرف.

ويؤيد ما ذهبنا إليه من نسبه ما أورده هو في أحد رسائله إلى أبي القاسم الداودي: :وتذممت من أن أعارض بلسان خوارزمي وعقل طبري وخاطر أعجمي من لسانه عربي وعقله قرشي"[٤].

---

[١] الأدب الفارسي في العصر الغزنوي – السباعي محمد – ط دار النشر – تونس ١٩٦٥م – ص٢٥٤.

[٢] المصدر السابق، ص٢٥٧.

[٣] المصدر السابق – ص٢٦١.

[٤] رسائل الخوارزمي – مطبعة عبد الرحمن رشدي – ص٤٨.

ثم أننا بعد هذا كله نجد أن الخوارزمي كان على الأرجح يموهّ نسبه بشكل أو آخر فهو ينسب نفسه إلى بني جرير، ما قد يوهم بأنه من أهل السنة، ثم يأتي ويبين ويظهر رافضيته "... رافضي عن تراث..."، وهكذا يعيش الخوارزمي مجموعة من التناقض بدءاً من نشأته وانتهاءاً بحياته، وانعكاس ذلك التناقض الصارخ في أدبه وسنعرف ذلك عند دراستنا لأدبه.

المبحث الثاني
تعلّمه وثقافته

قبل أن نتحدث عن تعلم أبي بكر الخوارزمي فلابد لنا أن نتعرف إلى منابع ثقافته، وعقيدته الدينية ومذهبه وبالذات ونحن قد عرفنا أن العصر الذي عاش فيه كان عصر قلاقل وفتن وأحوال مضطربة، وكانت الفرق الدينية في حروب مستعرة فيما بينها – كما عرفنا في الحياة السياسية – وقد توزعت الولاءات في أنحاء الخلافة العباسية مترامية الأطراف، فمن شيعة في العراق وخوارج ومعتزلة، إلى أهل سنة في الحجاز ومتصوفة ينتشرون في كل مصر من الأمصار الإسلامية، والدويلات التي كانت تتخذ من المذهب أو الطائفة شعاراً إما لأن الغالب هو الطائفة السائدة أو اتقاء مكر الإطماع التوسعية لبعض الدويلات.

وعلى هذا كان أبو بكر الخوارزمي من الشيعة، ذلك أن القارئ لأدب الخوارزمي يجد الإيمان بالله، ولكنه كسائر الناس يوزع وقته بين العبادة والعلم واللهو.

فهو يكثر من ذكر العبادة والعلم في رسائله، وربما يجاري أحيانا الأدباء فيما يذهبون إليه مجاراة تصل حد التماجن – كما سيأتي – وإذا نظرنا في أدبه نجده يكثر من ذكر الله والصلاة على نبيه ويستشهد بآيات الكتاب الكريم، وأحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم، ويكثر من الوعظ في رسائله وأشعاره.

وقد اشتهرت بلاد ما وراء النهر بالزيدية* وهي إحدى فرق الشيعة غير المغالية وأقربهم إلى أهل السنة[1].

يقول أحمد أمين مصطفي عنه: "ولكني أتوقف متأملاً في أشعار أبي بكر ورسائله فاستشف أن أبا بكر لم يكن متشيعا عن عقيدة راسخة، ونستطيع بعد التأمل أن نتبين مدى الصدق أو الزيف في هذا الاعتقاد عند أبي بكر. فقد كان نفوذ الشيعة دافعاً لكثير من الأدباء إلى تملقهم ليحظوا بالعطايا ولينالوا منهم التأييد كما فعل أبو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني، فقد كان كلاهما يظهر التشيع ويعلن عن ذلك في أدبه بقصد تأييد الشيعة له، ووصل الأمر إلى أن كليهما نظم القصائد على لسان الآخر يذم فيها الشيعة بقصد إثارة الناس ضده وضمان خذلانه، وقد حقق بديع الزمان هنا الهدف"[2].

نلمس أن الخوارزمي في رسائله قد نحا منحاً آخر، فأحياناً هو الشيعي الملتزم بمذهبه عنه ينافح، ولأجله يشنع بالخصوم يرميهم بأقذع الأوصاف، ويسمهم بأفحش النعوت ويتضح ذلك جليا في رسالته إلى جماعة من الشيعة بنسيابور لما قصدهم "محمد إبراهيم واليًّاً" يقول: ... بعد أن كال له القدح والذم: فإذا كنا شيعة أئمتنا في الفرائض والسنن، ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن، فينبغي أن نتبع آثارهم في المحن، غصبت سيدتنا فاطمة صلوات عليها وعلى آلها ميراث أبيها صلوات الله وعلى آله يوم السقيفة، وأُخر أمير

---

* الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين وكان زيدٌ تتلمذ على واصل بن عطاء ثم عاد وتركه فهم شيعة معتزلة (الملل والنحل ٨٧/١).

[1] أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه – ص٣٨

[2] نفس المصدر والصفحة.

المؤمنين عن الخلافة، وسم الحسن رضي الله عنه سراً... إلى أن قال: داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة، ونفي أباذر الغفاري إلى الربذة،... ثم يقول: ...-عامله الله بعدله - حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد وأراح من أخيه مصعب العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان (كذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)[1].

ولا يخفى التعريض بأبي بكر بإعتباره غاصبا لميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها، ولا نريد هنا الخوض في هذا الموضوع الذي أسهبت فيه كتب السير حيث فندت هذه المزاعم وبينت بطلانها مثل كتاب " العواصم من القواصم" لابن العربي وغيرها.

كما لا يخفى أيضا تعريضه بذي النورين وتلفيق التهم ورميه مما هو منه براء، ثم يمضي فيعرِّض بعبد الملك بن الزبير وأخيه مصعب ووصفهما بالظلم ويردفهما بعبد الملك بن مروان، وأنهم نكِّل بعضهم ببعض.

غير أننا نتعجب عندما نسمع إليه وهو يستهين بعقيدته ومذهبه وبأئمته أيضا مما يجعلنا نشك في حقيقة انتمائه إليها حين يقول في أبياته:

سقاني الوجه الحسن

كأسا فخليت الرسن

وصار عندي حسناً

قتل الحسين والحسن[2]

---

[1] كتاب رسائل الخوارزمي – تصحيح محمد قطعة العدوي

[2] يتيمة الدهر ج٤ – ص١٥٣

ولا يقال أن هذا مجون ينطق به الشاعر في لهوه وتحرره لو كان الشاعر يطوي جوانحه على عقيدة صادقة ما نطق بمثل هذه الترهات ولاتحفظ لعقيدته بقدسيتها وما تعرضت لمثل هذا التهتك والمجون.

أما عن شيوخه الذي تلَّقى عليهم علومه، فلم تذكر كتب التراجم سوى إشارات لا تغن شيئا. فقد نقل ابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء قوله عندما تكلم عن أبي عبد الله الحسين بن خالويه[1] – قال: وأخذ عنه أبو بكر الخوارزمي، وحكى عنه أنه قال: كل عطر مائع فهو الملاب، وكل عطر يابس فهو الكِباء، وكل عطر يدق فهو الألتجوج[2].

ولعل الخوارزمي لقي ابن خالوية بحلب، حين كان ابن خالويه نزيلاً بها على سيف الدولة بن حمدان معلماً لأولاده[3].

وقد كان الخوارزمي نفسه يقول: ما فتق تفكيري وشحذ فهمي، وصقل ذهني، وأرهف لساني، وبلغ هذا المبلغ بي، إلى تلك الطرائق الشامية، والطرائق الحلبية، التي علقت بحفظي، وامتزجت بأجزاء نفسي[4]. وذلك يدل دلالة بيِّنة على أنه تتلمذ على بن خالويه غير أن هذا التتلمذ جاء في وقت متأخر من حياة الخوارزمي، بعد وصوله حلب كما سنعرف.

---

[1] – ابن خالويه : هو أبو عبد الله الحسين ببن خالويه ، أصله من همذان ، اسطوطن حلب عند سيف الدولة بن حمدان وبها توفى سنة ٣٧٠هـ . وفيات الأعيان (٢٨١/١).

[2] نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ص٣١٢-٣١٣.

[3] بغية الوعاة – جلال الدين السيوطي – ج١ ، ص٥٢٩.

[4] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين – مصطفي الشكعة – ص١٧٢.

وممن سمع منهم "إسماعيل الصفَّار" يقول عنه ابن الأنباري: "أبو علي إسماعيل بن محمد بن صالح الصفَّار، كان ثقة عالماً بالنحو والغريب، أخذ عن أبي العباس المُبِّرد وصَحِبَهُ، وقال أبو الحسن الدارقطني: إسماعيل بن محمد ثقة[1]. وأبو بكر الخوارزمي ممن سمع منه الحديث ودرسه عليه.

يقول عنه د. أحمد أمين مصطفي: "كان قوي الذاكرة ذكي العقل يقرض الشعر ويكتب السير، كان إماما في اللغة والأنساب. فشب غزير المعرفة حسن الشعر جيد النثر"[2].

غير أنه لم يطب له المقام في بلده "خوارزم" كثيراً، فقد ظل يتقلب في البلاد ويدخل كور العراق والشام ويعاشر الرؤساء ويأخذ من العلماء ويستفيد من الفضلاء. وشرّق بعد أن غرّب. كما سنعرف عندما نتكلم عن رحلاته.

وممن تأثر بهم الخوارزمي ونسج على منوالهم كثيراً من أشعاره ونظمه أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الذي عاصره في حضرة سيف الدولة بن حمدان بحلب، وقد قرئ عليه ديوان المتنبي وقام بشرحه بنفسه إلى عدد من التلاميذ وقد أخذ الواحدي عن الخوارزمي شيئاً من شرح أبياته، وقد درس الخوارزمي ديوان المتنبي بإشرافه[3] ، وهناك ثمة روايات كثيرة تثبت أن الخوارزمي تأثر بالمتنبي، حيث درس عليه ديوانه كما أسلفنا، وكان الخوارزمي من أشد المعجبين به، يقول د. محمد مندور : (أخذت تتكون

---

[1] نزهة الألباء – لابن الأنباري – ص١٠٤.

[2] أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه – أحمد أمين مصطفي – ص١٤.

[3] أبو الطيب المتنبي – دراسة في التاريخ الأدبي – درريجنس بلاشير – ترجمة د. إبراهيم الكيلاني – ط٢ – ص٢٣.

حول المتنبي شيئاً فشيئاً حلقة من المعجبين بـــه... ويلـــوح أيضـــاً أن الخـــوارزمي كاتب الرسائل قد تأثر به أيضاً)[1].

وقد ذكر أيضاً صاحب الصبح المُنبـــي وعقـــد فصـــلاً قـــال فيـــه :(فصـــل للخوارزمي أخذ بعضه من المتنبي ، قال: وكيف أمـــدح الأميـــر بخلـــق ضـــن بـــه الهواء، وامتلأت مـــن ذكـــره الأرض والســـماء، وأبصـــره الأعمـــى بـــلا عـــين، وسمعه الأصم بلا أذن.

وهو من قول لأبي الطيب:

تنشد أثوابنـــا مـــــــدائحه

بألسنَ ما لهـــــن أفـــــواه

إذا مررنا على الأصم بها

أغنته عن مسمعيه عينـــــاه

وللخوارزمي من رسالة : (ولقـــد تســـاوت الألســـن حتـــى حســـد الأبكـــم، وأُفسِد الشعر حتى أحمد الصمم)[2].

إلـــى غيـــر ذلـــك مـــن الـــدلائل التـــي تشـــير إشـــارة واضـــحة إلـــى أن الخوارزمي كان يسير على نهـــج المتنبـــي. وســـنلاحظ عنـــدما نـــدرس الصـــور الفنية في شعره مدى التشابه الكبير بينهما، وحتى مـــن ناحيـــة نكـــران المعـــروف والهجاء المقذع بعد الفراق على ما سنلمســـه عنـــد مـــا نـــدرس رحلاتـــه، وكيـــف كان شأنه ممن مدحهم ثم عاد وهجاهم كما فعل أستاذه من قبل المتنبي.

---

[1] النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور، ص ١٦٠.

[2] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، عبده ذيادة – يسوف البديعي ، ص ٢٧٥.

ومن شيوخه الذين أشار إليهم في بعض رسائله: أبو عبد الله النحوي الخطيب بالري . قال : (أني تكلفت للشيخ ذكرها أسلمني فراقه من الهلع وإهداءه إلى من أنواع الهم والجزع، ... إلى أن يقول مادحاً:

وأشهد الله وحسبي به إني إلى وجهك مشتاق[1]

ولا نستغرب مثل هذا من الخوارزمي الذي عودنا بالمدح فيمن له عنده حاجة، ثم يكون مصيره القدح إذا انقضت الحاجة ويا لتعاسة من ينقلب عليه الخوارزمي.

[1] رسائل الخوارزمي – ص٧٤.

المبحث الثالث

رحلاته

لم يعرف الخوارزمي إلى الاستقرار سبيلاً ما. فقد شرَّق بعد أن غرَّب، ولم يطب له المقام عند أي من الأمراء أو الوزراء الذين زارهم وحط ركابه في دارهم، وأفاد من هذه الرحلات أموالاً طائلة وخبرة واسعة ، وشهرة ذائعة، ويبدوا أنّ الرؤساء والفضلاء كان يخطبون وده ويعجبون بأدبه، كيف لا وهو الأديب المترسل والشاعر الفذ الذي إن ضمه إليه أمير أو وزير ذاع صيته وسار الركبان بذكره وعديد مآثره ، لذلك نجد الرغبة والتنافس الشديدين من قبلهم لإغرائه بالإقامة عندهم وبذل الوسع حتى يظفروا بأديب في مكانة أبي بكر.

فقد سبقت شهرته إلى تلك الآفاق بعد أن احتل مكانه عالية في الدويلات الشرقية التي عاصرها، وعمت شهرته الآفاق، ولا يمارِي أحد في أنّ أبا بكر كان أحد الكتاب البارزين الذين تزعموا الكتابة في القرن الرابع الهجري.

عند سيف الدولة الحمداني:

ذكر صاحب اليتيمة، وهو ممن عاصروا الخوارزمي واتصل به عن قرب ، إن أبابكر شرق بعد أن غرب، وأنه لقي سيف الدولة بن حمدان وخدمه واستفاد من يمن حضرته[1].

[1] يتيمة الدهر ج٤، ص ٢٠٤.

وأكد ذلك ابن خِلِّكان في (وفيات الأعيان) وذكر أن أبابكر سكن بنواحي حلب[1].

ولكنا إذا قلبنا أشعاره ورسائله لن نجد شيئاً موجهاً لسيف الدولة لا مدحاً ولا ذماً، غير أنه في بعض إنشاده أنه نقل أن ابن خالويه – أستاذه– أنشد سيف الدولة [من الطويل]:

تجنَّي على الذنبِ والذنبُ ذنبه

وعاتبني ظلماً وفي شقه العتب

وأعرض لما صار قلبي بكفه

فهلا جفاني حين كان لي القلب

إذا برم المولى بخدمة عبده

تجني له ذنباً وإن لم يكن ذنب[2]

وقد ورد ذكر سيف الدولة في رسالة بعث بها أبوبكر الخوارزمي إلى الحاجب أبي إسحاق لما نكبه الصاحب بن عباد. وفي هذه الرسالة وجه أبوبكر اللوم إلى المتنبي لأنه مدح سيف الدولة وجعله خاتم الكرام حيث قال:

لا تطلبنَّ كريما بعد رؤيته

إن الكرام بأسخاهم يد ختموا

ثم قال في كافور الإخشيدي:

قواصد كافور توارك غيره

---

[1] وفيات الأعيان – ابن خلكان ج٤، ص٣٣.

[2] اليتيمة – ج١، ص٥٥.

ومن قصد البحر استقل السواقيا

وربما التفسير الوحيد الذي نخرج به أن هذه الرسائل والأشعار قد فقدت فيما فقد من أدب تلك الفترة.

يقول د. أحمد أمين مصطفي : (ونرجح أن فترة إقامته في الشام عند سيف الدولة لم تكن طويلة ، فقد كان أبوبكر الخوازمي شامخ الأنف، وكان ملولاً لا يستقر على حال، ولا يدوم له وفاء كما سيتضح لنا في الفصول القادمة. وكان بلاط سيف الدولة. مزدحماً بالشعراء والأدباء ، كما كان مليئاً بالدسائس والمؤامرات، فنحن لا نستبعد أن أبابكر الخوارزمي قد ضاق ذرعاً بهذه المؤامرات وغادر بلاط سيف الدولة الحمداني حيث يجد التبجيل والاستقرار[1].

في بخارى:

كانت بخارى عاصمة للدولة السامانية آنئذ، فقصدها أبوبكر ووجد ترحيباً وإكراماً، وصحب أبا على البلعمي وزير الدولة آنذاك، ولكن صحبتهما لم تدم طويلاً، ففارق بخارى وجافى أبا علي البلعمي، وقصد إلى نيساور[2]. لكن أبا علي لم يكلف نفسه عناء البحث عنه، فآلم أبوبكر هذا الإعراض وأراد موافاته ولكنه أراد أن يحفظ شيئاً من ماء وجهه عسى ولعل أن يرق له صاحبه ويتذكر أيامه الخوالي فيحفظ عليه كرامته ويدعوه إلى الإقبال إليه والنزول عنده منزلاً كريماً، غير أن أبا علي البلعمي يبدو أنه لم

[1] أبوبكر الخوارزمي – حياته وأدبه، د. أحمد أمين مصطفى، ص ١٦.

[2] المصدر السابق ، ص ١٧.

ينله ما أراد فما لبث أن أرسل إليه يتزلفه ويتملقه عسى ألا يكون قد مجه وجافاه.

فكتب إليه يقول : (كتابي إلى الشيخ وقد أمضت الأيام في حكمها، وأنفذت في صبري وتجلدي سهمها، والحمد لله على كل شئ الا على غيبته عن الشيخ ، فإني أخشى أن ازداد منها وبين الموت حجاز ولا وراءها للبلاء مجاز.... إلى أن يقول: أنكر الشيخ عزوف نفسي عن مواقف البذلة، وصعوبة جانبي على من جرني إلى مظنة الهوان والذلة، والأدب سلطان يُنسي هيبة السلطان، ولطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء والأخوان، ولا ذنب إلا وله في العفو ساحة عريضة، كما أنه لا ذنب إلا وله من الغدر مسافة قصيرة... قد علم الشيخ إني مذ كنت لم يسم خدي عذار الهوان، ولم يوضع على رقبتي نير التبذل والامتهان ولم تطرق الأيام حريم عرضي فتنتهكه، ولا نالت ستر صيانتي فتهتكه، ولا ماء وجهي فتسفكه...)[1].

وختم الرسالة بأنه ما يزال يأمل في مد حبل الوصال، وعودته إلى حسن المآل في جوار أبا علي، ولكن يبدو أن حبل الود قد انقطع، وآصرة المحبة قد انفصمت فلم يحفل أبو علي به ولم يحرك ساكناً في سبيل رد بعض كرامته، فما كان من الخوارزمي كعهده كما سنرى إلا أن كال له السباب وأردفها بهجاء مقذع يدل على أنه قد آيس من رجوعه معه إلى سابق عهده، فرماه بأبيات ، فرغ فيها غيظه وحنقه عليه وقال فيها:

---

[1] رسائل الخوارزمي- ص٢٩.

إن ذا البلعمي والعيـــــن غين

وهو عار على الزمان وشين

إن يكن جاهلا بخفي حنيــن

فهو الخف والزمان حنيــن[1]

في نيسابور:

استقر أبوبكر الخوارزمي في نيسابور مــدة طويلــة ، ومنهــا راســل أبــا علي البلعمي كما أسلفنا، وفي نيسابور جرَّب حظه مــع أميــر آخــر علــه يــدرك ما فاته من وصال وصلة من أبي علي البلعمــي، وهــو هنــا شخصــية مرموقــة ذات منصب يغري أمثال الخــوارزمي بخطــب وده وطلــب قربــه، ليتســنى لــه تحقيق طموحاته في الثروة والشهرة ، وكان في نيسابور آنئــذ أميــر يــدعي: أبــا نصر أحمد بن علي الميكالي وكــان زعيمــاً لآل ميكــال إحــدى الأســر العريقــة بفارس، وكان أبو نصر الميكالي كريماً شهماً سامي النفس[2].

فوجد أديبنا فيه ضالته المنشــودة، وفردوســه الموعــود، ومجــده المــؤود. فما لبث أن مدحه وأكثر في مدحه، فأناله أبا نصــر النوائــل وأجــزل لــه العطــاء والمال، كما أشاد بأولياء نعمته ومن قوله في آل ميكال:

نجــر ذيــول الفخــــر حتــى كأننا

لعزتــــنا في آل ميــــكــال ننتمي

هم شحــمة الدنــــــيا فإن تتــعدهم

إلى غيرهم تحصل على الفرث والدم

---

[1] أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه، ص ١٨.

[2] يتيمة الدهر ج٤، ص٢٢٨.

سقى الله ذاك الروض جوداً كجودهم

وصير آجـــــال العـــــداة إليهم

وأبقى أبا نصـــــر ليربي عليـــــهم

سنيناً كمـــــا أربي ســـــناء عليهم

وعاش إلى أن يترك النـــاس مدحه

ومن ذا الذي يرجو إياب المثـــــلم[1]

وفي نيسابور اتصال بـــالوزراء وكبـــار الشخصـــيات، مـــنهم أبـــو الحســـن القزوينـــي، وأبـــو منصـــور البغـــوي، وأبـــو الحســـن الحكمـــي، ونـــال ودهـــم واحترامهم، وصادق كثير بن أحمد وكان نديماً له.

في سجستان وطبرستان:

وكعهدنا به ملّ نيســـابور، فقصـــد سجســـتان ومـــدح واليهـــا أبـــا الحســـين طاهر بن محمد بن شار، وأعجب ابن شار بأدب أبـــي بكـــر ورحـــب بـــه ومنحـــه ما يطمح.

لكن أبابكر الذي لا يدوم وده، ويتقلب في مزاجه عـــاد وغضـــب مـــن ابـــن شار وهجاه.

فما كان ابن شار إلا أنه سجنه وأطـــال حبســـه، فهـــداه تفكيـــره أن يكتـــب إلى صاحبه القديم أن يستنقذه مما هـــو فيـــه، وكتـــب إلـــى أبـــي نصـــر الميكـــالي يستعطفه أن يتوسط له عند ابن شار ليطلقه، وهـــو ذو مكانـــة ســـامية فـــي نفـــوس

[1] المصدر السابق، نفس الصفحة.

الجميع، ويضطر أن يستعمل أسلوبه في الاستعطاف والتملق ليستجدي أبا نصرا وكتب إليه قصيدة يقول فيها:

وقعت بفخ الخوف في يد طاهر

وقوع سليك في حبائل خثعم

يعني سليك بن السعدي إذ أسره أنس بن مالك الخنثمي ثم يظهر ندمه لفراق أبي نصر الميكالي فيقول:

وما كنت في تركيك إلا كتارك

يقينا وراض بعده بالتوهم

وقاطن أرض الشرك يطلب توبة

ويخرج من أرض الحطيم وزمزم

وذي عِلة يأتي عليلاً ليشتفي

به وهو جار للمسيح بن مريم

وبذل أبو نصر الميكالي جهوده، ونجحت مساعيه في الإفراج عن أبي بكر فخرج من السجن واتجه إلى طبرستان، وصاحب واليها مدة ثم عادة وجفاه وهجاه[1].

ثم عاد وهجا بني شار جميعهم، ومما قاله فيهم:

ألا بلغ بني شار جميعاً

ومن لم يلقهم فهو السعيد

علام ابتعتم فرساً عتيقاً

وليس لديكم علفاً عتيد

[1] أبوبكر الخوارزمي حياته وأدبه ، ص ٢١.

وفيم حبستم في البيت بازا

يحيص الطير عنه أو يحيد

فلا قربتمـــوه فعلتمـــــوه

ولا خليتم عنـــه يصيـــــد

والفرس العتيق والباز الذي يحيص عنه الطير كتابة عن أبي بكر نفسه[1].

عند الصاحب ابن عباد:

لم يطل مقام أبي بكر في نيسابور ، حيث كان قـد ألـف الترحـل والتنقـل، فقصد والياً آخر، غير أنه في هذه المرة لـم يكـن واليـاً عاديـاً يـل كـان أديبـاً وشاعراً يقرض الشـعر ويتذوقـه، ويعـرف لـلأدب والأدبـاء مكـانتهم اللائقـة فينزل الأدباء منـازل كريمـة ومراتـب فخيمـة، فـأغرى كـل ذلـك أبـا بكـر الخوارزمي فقصده بأصبهان. وهو الصاحب بن عبـاد، وفـي لقائـه إيـاه قصـة طريفة يرويها ابن خلكان ذكر أن أبابكر قصـد الصـاحب وعنـدما وقـف البـاب سأله الحاجب عما يريد؟ فأخبره بأنه يريـد الصـاحب بـن عبـاد فـدخل وأخبـر الصاحب، غير أن الصاحب كان له رأي آخر وهو أنه مـن يريـد الـدخول عليـه فلا بد أن يكون حافظا "لعشـرين ألـف بيـت مـن شـعر العـرب" فخـرج إليـه الحاجب وأعاد عليه ما أخبره الصاحب . فقال أبـوبكر : "أرجـع إليـه وقـل لـه: هذا القدر من الشعر أهو شعر للرجـال أم النسـاء؟. فعلـم الصـاحب أن أبـابكر الخوارزمي هو الزائر[2].

---

[1] ،يتيمة الدهر ٢٣٦/٤

[2] وفيات الأعيان لابن خلكان- دار الكتب العلمية ج١، ص٥٢٣.

وإن كان بعض الكتاب لا يميلون إلى تصديق هذه الرواية، وحجتهم في ذلك أن المكتوب والمدون في ذلك العصر من شعر النساء ، لم يكن ليصل إلى هذا الحد من الكثرة ، وبالذات إذا علم أن عدد الشواعر آنئذ لم يكن بالشئ الكثير[1]، غير أن هذه القصة تدلل على ما بلغ الخوارزمي من غزارة حفظ وشهرته بذلك.

وقد وقع أبوبكر من الصاحب موقعاً حسناً فأدناه وقربه وصيره من ندمائه المخلصين، وأقام عنده الخوارزمي معززاً مكرماً، ينعم بجود الصاحب ونواله حتى جعله يمدح بأبيات يقول فيها:

ومن نصر التوحيد والعدل فعله

وأيقظ نُوَّام المعالي شمائله[2]

وقوله يشيد بأدبه وكرمه:

يا ترجمان الليالي عن معاذرها

وحجة الزمن الباقي على الفاني

يا أبحث الناس عن شعر وعن كرم

يا مورث الطبع إحسانا بإحسان

عاش عند الصاحب زماناً طويلاً يتقلب في النعم والنعيم، غير أنه – وكعهده دائماً – سرعان ما مل صحبته الصاحب، وتروي بعض الروايات أن الصاحب صفع الخوارزمي حتى رعف[1].

---

[1] أبوبكر الخوارزمي – حياته وأدبه – أحمد أمين مصطفى ص٢٣.

[2] اليتيمة ج٤ ص ٢١٤.

ويبدو أن الخوارزمي قد ضاق ذرعاً بالمؤامرات والدسائس التي تحاك ضده تحت سمع وبصر الصاحب، غير أن الصاحب غض عنها الطرف، مما أوغر صدر الخوارزمي ضده، وأتته الفرصة عندما قتل أبو الحسن العتبي وزير السامانيين وحل بدلا منه أبو الحسين المزني الذين أرسل إلى الخوارزمي يعده ويُمنيه، فما كان من أبي بكر إلا أن باع مودته للصاحب بل وهجاه بأبشع النعوت قائلاً:

لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت

يداه بالجود حتى شابه الديما

فإنها خطرات من وساوسه

يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما[٢]

غير أن الخوارزمي ورغم تحوله عن الصاحب وتغيره عنه فقد كان يحتفظ له ببعض المودة قبل أن يغادره وهي صفة نادرة عند أديب كالخوارزمي، وهو الذي تعود أن يسقط من يسقطه دون أدني شعور بعظم حق هذا المهجور عنده ولا أياديه البيضاء عليه، غير أن الصاحب كان مختلفاً عمن عاصره الخوارزمي وعاش في رحابه، وفي رسائل أبي بكر النثرية ثلاث رسائل كتبها إلى الصاحب وكلها تفيض حباً وإخلاصاً ، ورسالة رابعة كتبها إلى نائب الوزير ابن عباد، وخامسة كتبها إلى وكيل الوزير

---

[١] معجم الأدباء – ياقوت الحموي ج٦، ص ٢٥٥.

[٢] معجم الأدباء – ياقوت الحموي ج٦، ص٢٥٥.

وسادسته إلى حاجب الوزير، وسابعة إلى أبي اسحق الحاجب يؤنبه لما نكبه ابن عباد.

ويدل ذلك على أن الصاحب يحيا في فكر الخوارزمي ويشغل حيزاً في قلبه لا يستهان به.

ومما يدل على مودة قد زالت، وشجون قد دالت، ما كان يسري بين الصاحب والخوارزمي من أبيات يعبر فيها كل لصاحبه ما يعتول في صدره من مشاعر تجاه صاحبه ومن ذلك ما كتبه الصاحب بن عباد إلى الخوارزمي يهنئه فيه بيوم الفصح ويبثه أشواقه ولواعج صدره إذ يقول:

أسعدك الله بيوم الفصح

وعشت ما شئت بيوم سمح

يا رأس مالي في الورى وربحي

وظفري ونصري ونجحي

شرباً ولا تصغ لأهل النصح

فالحزم أن تسكر قبل نصحي

سُكر النصارى في غداة الفصح

ثم تنقضي الأيام الحلوة ويبلغ أسماع الصاحب نبأ وفاة الخوارزمي ، فما يشفع له موته عنده، فيرسل أبياتاً كأنه قد سر لهذا الخبر فيقول فيها:

سألت بريداً من خرسان جائياً

أمات خوارزميكم ؟ قال لي نعم

فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره

ألا لعن الرحمن مـــن كفر النعم[1]

ثم أنه قصد عضد الدولة بشيراز، وأبـــو علـــي محمـــد بـــن أبـــي الحســـن محمد بن سيمجور الملقب (بعماد الدولة) و(أميـــر الأمـــراء) إلـــى نيســـابور هـــراة وقهستان ، وصحب الأمراء والوزراء بخراســـان وغيرهـــا[2]. هـــذه ورغـــم تقلبـــه في البلاد، واختلاطه بالعباد، إلا أنه لم يكن ليحـــتفظ بـــالمودة والـــوداد، بـــل كـــان يظهر النكران والعناد، مما أوغـــر صـــدر المحيطـــين بـــه والمعاشـــرين لـــه فلـــم يلبثوا أن مجوه وأعرضوا عنه بل أن بعضـــهم قـــد أســـعده موتـــه وفنـــاؤه غيـــر واحد هو بديع الزمان الهمـــذاني كمـــا ســـنعرف غرضـــه مـــن ذلـــك فـــي مقبـــل الفصول.

[1] ديوان الصاحب بن عباد – للشيخ / محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة ، ص ٢٢.

[2] أعيان الشيعة ، للإمام محسن أمين ، ص ١٩٠.

المبحث الرابع

تلاميذه

لأبي بكر عدد من التلاميذ ورد ذكرهم في رسائله مع أننا لم نجد تلاميذه فيمن كتبوا عنه أو كتب هو بنفسه شيئاً من حياتهم معه أو كيفية تلقيهم العلم عنه.

فجل ما نجد رسائل يكتبها إلى تلاميذه يضمنها تهنئة أو اعتذاراً أو مدحا أو قدحا، دون ذكر اسم هؤلاء التلاميذ في أغلب الأحيان.

أما أشهر من تتلمذ على يديه، وتأثر به وأخذ عنه الأدب وغيره من العلوم فهو: أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المولود في عام ٣٥٠هـ والمتوفى عام ٤٢٩هـ فقد أورد ابن الانباري في (طبقات الأدباء) وعند إيراده لترجمة الثعالبي قال: كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً، صنف كتباً كثيرة، وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي[١].

ومن تلاميذ الخوارزمي أيضاً الذين وردوا عليه لينهلوا من معين أدبه ثم قلبوا له ظاهر المجن: أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني الملقب ببديع الزمان الهمذاني (٣٩٨هـ).

الذي ورد على الخوارزمي (أأشعث أغبر منخرق السربال)[٢] ثم لم يلبث إلا أن صار له نداً، وفي عداوته ضدا، وجاء شيئاً إدًّا بالتنصل من فيض كرمه وأدبه عليه وهو القائل يمدح أستاذه الخوارزمي حين كان الود

---

[١] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري ج١، ص ٢٦٥.

[٢] بديع الزمان الهمزاني- ما رون عبدود،طبعة دار المعارف مصر، ص١٨.

موصولاً والقرب مأمولاً والتعلق ديدنا كما أستاذه و(المرء على دين خليله)، قال يتملق الخوارزمي:

أنا لقرب دار الأستاذ [أطال الله بقاءه]

[كما طرب النشوان مالت به الخمر]

ومن الارتياح للقائه

[كما التقت الصهباء والبارد العذب]

ومن الابتهاج بمزاره

[كما اهتز تحت البارج الغصن الرطب][1]

غير أن هذه المودة سرعان ما انقلبت إلى عداوة، وهذه المحبة سرعان ما تغيرت إلى قساوة، فقد سعى الواشون بينهما وأفسدوا ذات بينهما فصارا إلى أن يكيلا التهم لبعضهما فمن رمي كل لصاحبه بسب الصحابة وأمهات المؤمنين إلى أقصى اليسار بسبب أئمة الرافضة سبحاً مع التيار أو عكسه.

فكلاهما كان يتخذ التشيع سلعة تباع وتشترى عند من يدفع أكثر، ويرمي صاحبه بالتهم ويلصقها به الصاقاً تذللاً إما إلى الوزراء والأمراء، وإما إلى عامة الشعب لكي يكتسب عندهم المكانة، وذيوع الصيت.

ولعل من أكثر من تنكر لما بينه وبين الخوارزمي من ود، وسقاه من ذات الإناء الذي أذاق كل من التقاه، هو : بديع الزمان الهمذاني ، الذي لم يتوان في سبيل الحط من قدره والتقليل من شأنه أن يُعرِّض به كل مجلس،

---

[1] اليتيمة/ ج٤ ص ٢٤٦.

بل حدا به الأمر أن طلبه للمناظرة والمساجلة ، ليبين عجزه ويفضح عقله، إلا أننا نجد أن هذه المناظرة قد دونها الهمذاني نفسه، ولا يخفى ما في هذا الأمر من تحامل على الخصم، إذ أننا لم نجد فيما دوَّن الخوارزمي إشارة لا من قريب ولا من بعيد لتلك المناظرة والمساجلة مما يدل أن الهمذاني كان يبيت شيئاً أخفاه ولم يبده إلا في رسائله هو.

وسوف نعرض لهذه المساجلة والمناظرة حين نتحدث عن آثار الخوارزمي الأدبية:

ومن تلاميذ الخوارزمي المقربين : أبو سعيد الشبيبي[1] أحد تلاميذه الذين جلسوا منه مجلس التلميذ من أستاذه، وقد كان الشبيبي زعيماً بارزاً في الدولتين السامانية والبويهية ولقب (صاحب الجيشين) و(شيخ الدولتين)، وكان جامعاً بين القلم والسيف، وعندما زار أبو سعيد نيسابور استقبله أبوبكر بقوله.

مرحباً بالقمر الطالع في جنح الظلام

مرحباً بالأسد الور د وبالجيش اللهام[2]*

وكتب أبو سعيد إلى أبي بكر يقول:

للشبيبي صنيعتك حسرات لفرقتك

واشتياق إلى لقا ء تباشير طلعتك

رب سهل لقاءه يا إلهي برحمتك[3]

---

* اللهام:

[1] يتيمة الدهر ،ج٤، ص٢٧٧.

[2] وسائل الخوارزمي، ص ١٨٠.

[3]

ولكن هذه الصداقة لم تدم طـــويلاً – كعهـــد الخـــوارزمي، فأنقلبـــت إلـــى قطيعة وهجران، وتكلم الشبيبي في أســـتاذه وقـــد خبـــر طباعـــه وأدرك أخلاقـــه، فيقول فيه:

أبوبكر لـــــــه أدب وفضـــــل

ولكن لا يدوم على الإخـــــــاء

مودته إذا دامـــــــت لخـــــل

فمن وقت الصباح إلى المساء[1]

ومن تلاميذه المبرزين الذين أشار إليهم في رســـائله، أبـــو البركـــات علـــي بن الحسين، الذي كتب إليـــه أبياتـــاً يفهـــم منهـــا أن أبـــابكر الخـــوارزمي هجـــره لتأخر أبي البركات عنه لعله ألمت به :

كتبت إليه يقول:

لئن كان ذنبي أني اعتلـــلت

فذلك ذنب صغير صـــغيـــر

وإن كان هجري مـــن أجله

فذلك ظلـــم كبيـــر كبيـــــر

صدودك عني صدود الحياة

وصد سواك يسير يسيـــــر

فزدني قليلا تجـــــد شاطراً

لديـــــــه القليل كثير كثير [1]

---

[1] يتيمة الدهر ج٤، ص٢٧٧.

وفي رسائله كذلك إشارة إلى أحد تلاميذه : وهو وزير خوارزم شاه – وأن لم يذكر له اسماً – وذلك عندما نُكب الخوارزمي وكان خريجه ، كتب إليه يقول: (أصبحت أيد الله الشيخ وقد وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله من لؤلؤ منثور وطراز منشور واستمليت منه نسخة الود الصريح ، والعهد الصحيح، والخلق السجيح، ووجدت الشيخ قد استرقني وقال تنحل عقدته، ولا ترد عهدته ، وكفني مهما لا يكفيه الأمثلة ....)[٢].

ثم أننا نجد كتاب رسائله نماذج لرسائل أرسلها إلى بعض تلامذته ولكنه في أغلب الأحيان لا يشير إليهم بأسمائهم كما جاء في رسائله أغراض هذه الرسائل وهي في معظمها تدور حول الأخوانيات ومن ذلك رسالة أرسلها إلى :

- إلى تلميذ قطع في مجلس أدب وكابر واختلط ص (١٢) من الرسائل.
- إلى تلميذ له كتب قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما أحدثه ص(٣٦) من الرسائل.
- إلى تلميذ له كتب إليه رسالة وقصيدة ص(٤٨) من الرسائل

وغيرها مما كان يكتب لتلاميذه معاتباً أو مادحاً أو مستسمحاً وممن ذكر الثعالبي أنه تتلمذ على أبي بكر الخوارزمي أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن، وهو قد أورد أبياتاً يخاطب فيها الخوارزمي بلقبي أستاذي وشيخي يقول : (.... وشوقي إلى سيدي الأستاذ الشوق الذي كنت أصلى بناره،

---

[١] أبوبكر الخوارزمي– حياته وأدبه، أحمد أمين مصطفى، ص٤٥.

[٢] رسائل الخوارزمي– ص٦٦.

وداري إزاء داره) وهو كان قد أنشد الخوارزمي لمعاً من (الخفيف) يقول فيها:

إن هذا الغبار ألبس عطفي سواداً وديني التوقيد

وكسا عارضي ثوب مشيب ورداء الشباب ليس جديد

ولا يستبعد أن الخوارزمي جبل تلاميذه على خلقه من التملق والتذلف وإراقة ماء الوجه لأجل المكانة والرفعة.

وممن ذكر أنه تتلمذ على الخوارزمي، الشريف الرضي، غير أن صاحب الكتاب لم يذكر لنا شيئاً عن هذا التتلمذ وأين كان وفي أي شيء كان وإنما أشار إليه إشارة فقط[1].

ثم كان طبع الخوارزمي هو الذي نفَّر كثير من تلاميذه عنه، وخصوصاً ما في هذا الطبع من بخل وحِدَّة هو الذي ساق الخوارزمي إلى حتفه كما ذكرنا سابقاً ، وكان أن جرَّد عليه تلميذه –البديع – كل ما عنده من ألوان المناورات والمراوغات التي جعلت القوم يحكمون للهمذاني على الخوارزمي، وهو لم يكن آنذاك قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وتوج هذا النصر بعد مماحكات استمرت عدة ليال، في بيت من بيوت أعيان نيسابور، ثم ما كان من الخوارزمي إلا أن قضى بعد ستة أشهر من تلك المناظرة[2].

---

[1] أعلام الأدب العباسي ، د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ص ١٠٠.

[2] في موكب الحضارة، د. مصطفي الشكعة مكتبة الأنجلومصرية، ص ٥٣٠.

المبحث الخامس

الذين كتبوا عن الخوارزمي

لم يحظ الخوارزمي كأمثاله من الكتاب إلا بالنذر اليسير من الكتابات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، رغم شهرته في عصره الذي عاش فيه، ونرجع سبب ذلك إلى فقدان كثير من تراثه الشعري والنثري الذي لم يجعل الدراسات تتناوله بالبحث والتعقيب.

برغم ذلك فقد أشار إليه بعض الكتاب ممن عاصروه، أو درسوا على يديه شيء من الأدب ومن هؤلاء الذين تتلمذوا على يديه وحفظ لنا من تراثه الشعري الشيء الكثير الذي لولاه لم اهتدينا إلى الآثار، وهو كان ممن عاصروه، فكتب عنه كتابة من خبره عن قرب، ألا وهو أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري.

إلا أنه عندما يترجم لأدباء عصره يحشد نعوتاً جرارة لمن يكتب عنهم، ولا يخفى انحيازة التام لبعضهم دون بعض وبالذات عندما يتعلق الأمر بالأسرة الحمدانية[1].

ولعلنا نلمس تكلفاً وكلفاً واضحين بالسجع حين الترجمة لأحد أدباء العصر الذين تناولهم فهو يقول عن أبي بكر: (باقعة الدهر، وبحر الأدب وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والظرف...)[2].

---

[1] في مواكب الحضارة ،ص٥٤.

[2] يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٢٣.

وليست هذه دراسة أدبية وإنما كلمات تحمل الثناء، كما أورد الثعالبي في كتبه الأخرى (كلمات وأبياتاً لأبي بكر) وحوى كتابه (ثمار القلوب)[1]. وخاص الخاص[2]، بعض هذه الكلمات والأبيات أما رسائل الخوارزمي فقد طبعت في مصر [3] والأستانة ومومباي.

وكل الذين كتبوا عن الخوارزمي – برغم قلتهم- كانوا عالة على الثعالبي فلم يزيدوا على ما جاء في اليتيمة إلا نتفاً يسيرة، ولم يتجاوز ما كتبه كل منهم سطوراً معدودة لا تفي ولا تحيط بكاتب في قامة أبي بكر الخوارزمي.

وفي دار الكتب المصدرية مخطوطة بعنوان (سفينة الدرر، للشعبي الصالحي)[4] ضمن عدداً من القصائد لأبي بكر، ومعظم هذه الأبيات وردت في يتيمة الدهر، مما يؤكد ما ذهبنا إليه سالفاً من أن من كتبوا عن الخوارزمي لم يكونوا إلا عيالاً على الثعالبي.

وفي دار الكتب المصرية أيضاً كتاب تاريخي وعنوانه، (الفتح الوهبي على تاريخ العتبى) وهو جزءان ويتحدث من منطقة خراسان وما جري فيها

---

[1] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٤٨هـ – ١٩٦٥م)ص ٣٦.

[2] خاص الخاص– للثعالبي قدم له /حسن الأمين ،دار مكتبة الحياة ، بيروت، ص١٩٠.

[3] رسائل الخوارزمي، تصحيح الشيخ / محمد قطعة العلوي، مطبعة عبدالرحمن رشدي بك سنة ١٢٧٩هـ ،ص

[4]

من أحداث ويورد الأشعار التي قيلت في المناسبات المختلفة، وقد أورد قصائد لأبي بكر الخوارزمي[١].

وأورد أبو حيان التوحيدي في (مثالب الوزيرين)[٢] اسم أبي بكر أربع مرات، وفي المرة الأولى وجه سؤال لأبي بكر عن رأيه في الصاحب ابن عباد، وجاء رد أبي بكر : "والله إنه لخوار في المكارم، صبار على الملائم، زحاف إلى المآثم، سماع للنمائم...[٣].

في المرة الثانية ذكر أن الصاحب كان قد أرسل إياه إلى نيسابور عينا (أي جاسوساً) له يقول أبو حيان (وإنما نوله الصاحب ما نوله وقوله ما قوله لأنه كان أذكاه عيناً على محمد بن إبراهيم، صاحب الجيش نيسابور، واستملى فيه أخبار المشرق...)[٤].

وفي المرة الثالثة أورد حديثاً للزعفراني يعلل فيه لسوء رأي الخوارزمي في الصاحب، وذكر أن الصاحب صفع الخوارزمي إلى أن رعف[٥].

وفي المرة الرابعة أورد حديثاً لأبي الطيب النصراني يذم فيه الصاحب ويذكر أنه اتخذ الخوارزمي عيناً له.

---

[١] أبوبكر الخوارزمي، د. أحمد أمين مصطفى ، نقلاً عن مثالب الوزيرين لأبي حيان التوحيدي – ص ٦.

[٢] رسائل الخوارزمي، ص ١١.

[٣] الخوارزمي حياته وآدابه، ص٦.

[٤] أبو بكر الخوارزمي ، د. أحمد أمين مصطفى، نقلاُ من مثالب الوزيرين ، ص٦.

[٥] المصدر السابق نفس الصفحة.

وأورد أبو حيان التوحيدي في كتابه (الصداقة والصديق) كلمة لأبي بكر يقول التوحيدي : (سمعت الخوارزمي أبا بكر محمد بن العباس الشاعر البليغ يقول: اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت، ولا تمتنى حتى يبور الجهل كما بار العقل، ويموت النقص كما مات العلم)[1].

أما كتب التراجم فقد أوجزت الترجمة في أبي بكر الخوارزمي حين نجدها قد أسهبت باستفاضة عندما يتعلق الأمر ببديع الزمان الهمذاني ولا ندري سبباً لذلك؟! سوي الهالة التي رسمها الهمذاني حول نفسه، وكانت ثالثة الأثافي المناظرة الحاسمة والقاصمة التي أبدت علو كعب الهمذاني على خصمه الخوارزمي، وهي كانت خاتمة المطاف للخوارزمي ومات بعدها الخوارزمي غير مأسوف عليه سوى من القليلين[2].

ومن هذه الكتب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، الذي لم يروي عن أبي بكر إلا أبياتاً معدودة في حين أنه عندما تكلم عن الهمذاني أفرد له ترجمة مطولة، وأسهب في الكلام عنه وأورد الخلاف الذي وقع بينه وبين الخوارزمي والمناظرة التي جرت بينهما، ورد ذكر الخوارزمي مرة أخرى عند ما تكلم عن الصاحب إسماعيل بن عباد[3]. كما أورد بيتين هجا أبوبكر بهما الصاحب، كما أورد بيتين هجا بهما الصاحب أبوبكر بعد وفاته. أما ابن

---

[1] نفس المصدر والصفحة.

[2] أبو بكر الخوارزمي ، حياته وأدبه، ص٧.

[3] معجم الأدباء – ج – ص٢٣٤– موضوع ٧٨.مطبعة المأمون .

خلكان فقد أورد ترجمة لأبي بكر الخوارزمي في كتابه (وفيات الأعيان)[1]. وذكر أنه سكن الشام ثم نيسابور وأنه قصد الصاحب بن عبَّاد وأنه أعلن عن حفظه عشرين ألف بيت من شعر النساء عدا شعر الرجال، ثم أورد بيتين أبي بكر في هجاء الصاحب.

وجاء في (بغية الوعاة) ترجمة موجزة لأبي بكر، وذكر تاريخ مولده ووفاته، ونص على أنه لقي سيف الدولة وخدمه، ثم قصد سجستان وغرشتان والصاحب وعضد الدولة ابن بويه ، وأورد له ثلاثة أبيات، وميزه هذه الترجمة أنها الوحيدة التي ذكرت أساتذة أبي بكر، فقد نصت كما أسلفنا – أنه سمع من أبي على إسماعيل بن محمد الصفار وأقرانه[2].

وقد فعل نفس الشيء ابن الأثير الجزري في كتابه (الكامل) حيث ورد عنه ترجمة مختصرة ثم ذكر قصة وروده على الصاحب وسؤاله إياه عن شعر النساء وحفظه له[3].

أما النويري فقد أورد أبياتاً لأبي بكر دون التعرض لحياته، فمثلاً أورد أبياتاً له يصف فيها القلعة، وأبياتاً في وصف القنفذ، وأخرى في وصف القثاء والزعفران والريحان[4].

وجاء في (معجم البلدان) ، ترجمة له مختصره، أنه وُلِد (بآمل) بطبرستان، وذكر أنه كان سباباً رافضياً، وأنه ينتسب زوراً- إلى أبي عبد الله

---

[1] وفيات الأعيان – لابن خلكان – ج٤- ص١٩٧.

[2] بغية الوعاة – لجلال الدين السيوطي – ط مطبعة الحلبي ص ٥١ ،.

[3] الكامل – لابن الأثير ١٧٩/٩.

[4] نهاية الإرب، للنويري – ط المؤسسة المصرية ٤٠٥/١.

محمد بن جرير الطبري، وذكر للخوارزمي أبياتاً يفتخر بأنه من الرافضة[1]. وقد اسلفنا في تحقيق هذه العلاقة الوهمية بينه وبين ابن جرير الطبري في أبواب سابقة.

وأورد الحصري في (زهر الآداب) أبياتاً لأبي بكر كما أورد شيئاً مما جرى بين البديع وأبي بكر، ثم أورد كلمات لأبي بكر في الولاية وعيادة بعض أصدقائه[2].

وجاء كذلك في "سير أعلام النبلاء" للذهبي ترجمة مختصرة له، وأورد كذلك قصة وروده على الصاحب والتقائه عنه، وذكر أن له ديوان نظم وديوان رسائل، وملح ونوادر وأنه توفي في نيسابور في رمضان سنة ٣٩٣هـ[3].

وجاء أيضاً في كتاب "شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، في أخبار سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة: وفيه أبوبكر محمد بن العباس الخوارزمي، ذكر أنه أقام بالشام وحلب، وذكر أمر هجائه لابن عباد[4].

وفي مرآة الجنان "لأبي عبد الله اليافعي المكي، كذا الترجمة مختصرة له في وفيات سنة ثلاثة وثمانين وثلاثمائة ، ذكر وفاة الخوارزمي وذكر أنه كان علامة مشهور في اللغة والإنساب وهو من الشعراء المجيدين الكبار[5].

---

[1] معجم البلدان – ياقوت الحموي، دار صادر –بيروت ، ١٧٩/١١.

[2] زهر الآداب – لأبي إسحق إبراهيم بن علي الحصري – ٥٠٩/١.

[3] سير أعلام النبلاء – للذهبي. ج١٦ – ص ٥٢– ط٧– مؤسسة الرسالة.

[4] شذرات الذهب في أخبار من ذهب– بن العماد الحنبلي – دار الآفاق الجديدة – ١٠٥/٣.

[5] مرآة الجنان وعبرة اليقظان لابي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي المكي، ج٢– ص ٧٦.

أما في العصر الحديث فالرجل أيضاً لم ينل حقه من الترجمة والتعريف به ولا بأدبه وأول من تكلم عنه د. زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع) وهو تكلم عن الخوارزمي من خلال مناظرته للبديع، إلا أنه عاب على هذه المناظرة أنها تورد حجة أحد الخصمين دون الآخر مما يعزز الظن بأن المقصود هو النيل من الخوارزمي ، وخصوصاً إذا علمنا ان المدون لهذه المناظرة كان هو البديع الهمذاني نفسه[1].

أما من الغربيين فقد تناوله آدم متز في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع) وذكر أنه بين أن العراق هو الموطن الأول للتشيع، وذكر أن له رسائل موجهة للأمراء والوزراء وعامة الشعب[2].

وكذلك في العصر الحديث تكلم عنه: جرجي زيدان في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية)، ذكر أن تراثه الشعري قد ضاع في معظمه سوى مجموعة من رسائل تعرف باسم طبعة بمصر والأستانة[3].

وأورد له السيد أحمد الهاشمي رسائل في الاستعطاف والاعتذار مع ترجمة مختصرة له في كتابه (جواهر الأدب)[4].

وعليه فمعظم الذين نقلوا عن الخوارزمي كانوا عيالاً على الثعالبي حيث أنهم في معظم الحالات نقلوا عنه الترجمة أو التراث الأدبي أو الاثنين معاً، غير أننا نجد كاتباً كالدكتور أحمد أمين مصطفى، قد تناوله في كتابه (أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه)، غير أنه أيضاً أوجز كثيرا من المسائل التي تحتاج إلى البحث والتمحيص وبالذات ريادته لمدرسة التصنع والتصنيع على ما سنعرف في الأبواب المقبلة[5].

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع ،د. زكي مبارك ١٣٠/١.

[2] الحضارة الإسلامية – آدم متز – ترجمة/ محمد أبو ريدة – ١٦٦/١.

[3] تاريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان – ٥٨٢/١.

[4] جواهر الأدب – السيد أحمد الهاشمي – ص٧٤.

[5] أبو بكر الخوارزمي – حياته وأدبه د. أحمد أمين مصطفى – ص٧.

الفصل الثالث

الصنعة عند الخوارزمي

مدخل الفصل (الصنعة)

المبحث الأول: معنى الصنعة

المبحث الثاني: نشأة الصنعة

المبحث الثالث: أثر الصنعة في أدب الخوارزمي

مدخل الفصل

الصنعة

التصنّع والتصنيع والصناعة مذاهب نشأت نتيجة طبيعية لتطور الأدب حسبما يراه بعض الكتُاب[1] أو هو مذهب جديد نشأ بعدما اختلط الأدب والثقافة العربية بالثقافات الأخرى، وعلى الأخص الثقافة الفارسية على رأي بعضهم الآخر[2].

وبين هؤلاء وهؤلاء، ندرك ما أحدثه هذا المذهب – إن صح أن نطلق عليه هذه التسمية – من ثورة طالت وسارت بالأدب سيرا حثيثاً، أحدثت فيه نقلة نوعية، وهذا يدل على سعة ماعون الأدب العربي، وقابليته للتطوير والتجديد.

عرّضنا إلى معنى هذا المذهب الجديد (الصنعة والتصنيع)، وإلى نشأته ورائد هذا المذهب (أبو بكر الخوارزمي) مع عرض نتف يسيرة من هذا المذهب، وآثاره على أديب كالخوارزمي تأثر وأثَّر في عصره، وأثري الأدب العربي بألوان من البديع والسجع وغيرها من صنوف الصَّنعة، التي تدل على براعة الكُتاب والأدباء في ذلك العصر، وأنهم لم يكونوا منكفئين على قوالب جامدة، وأطلال بالية، إنما أبدعوا وابتدعوا وكَلفوا وتكلّفوا كلٌ على حدة. وقد أنتجوا فناً راقياً يسرُّ الناظرين، ويسبي عقول السامعين، جعلوه في ثوب قشيب وحلة زاهية مرقومة بالوشي وسائر صنوف المنظوم والمنثور.

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع – د. زكي مبارك – الطبعة الثالثة – ط دار المعارف – مصر– ص١٧.

[2] الفن ومذاهبه في النثر العربي – د. شوقي ضيف – الطبعة الخامسة – ط دار المعارف، ص١٩.

والخوارزمي كاتب بزَّ أقرانه سواء في تصنيعه أو تصنُّعه، فهو قد عُني بالكتابة وحَسنَّها أجود إحسان ثم أنه جارى أدباء عصره وتأنَّق في عباراته ووصل حد المبالغة والإغراق في المعاني أحيانا أخر.

ومع هذا وذاك احتفظ بأسلوبه الخاص في صنعته الحاذقة مما بوَّأه تلك المكانة الرفيعة بين أدباء عصره.

المبحث الأول

معني الصَّنعة

إن كل لفظ حادث لابد له من تعريف يُمهِّد للاستطراد في هذا اللفظ وبيان مدلولاته ووجوه استعماله، ولعل من الألفاظ التي أحدثت في الأدب لفظة "الصَّنعة والتصنيع والتصنَّع" ونلاحظ أنها كلها اشتقت من "صنع يصنع صناعة"؛ إذن ليست شيئًا طبعيًّا، فإنَّا نلمس في الكلمة نوعا من جهد مبذول لإخراج الصنعة حتى تستوفي شروط المصنوع، فلابد لنا من أدوات لهذه الصنعة، ولابد كذلك من صانع حاذق يتقن هذه الصنعة حتى تخرج على أكمل وجه.

ونحن إذا نقبنا عن هذه الكلمة في معاجم اللغة فإننا نجدها لا تعد أن تخرج مما أسلفنا، فهيا بنا نبحث عن هذه الكلمة في معاجم اللغة ولنبدأ بالعمدة في هذه المعاجم، وأكثرها شهرة، ألا وهو "لسان العرب" للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور الإفريقي المصري

حيث يقول : " التصنُّع ، تكلف حسن السمت وإظهاره والتزيُّن به والباطن مدخول"[1].

وجاء أيضا في "معجم متن اللغة" للشيخ/ أحمد رضا، قال: " تصنَّع تزيَّنَ وتكلَّف حسن السمت والباطن مدخول، والمتصنِّع: المتكلِّف الصلاح وليس به"[2].

وأورد (بطرس البستاني) في "محيط المحيط" معني آخر بقوله "تصنيع الشيء: تحسينه وتزيينه بالصناعة"[3].

أما أكثر من توسع في تعريف هذه اللفظة، فهم أهل الأدب، فقد أورد (جبور عبد النور)، في كتابه "المعجم الأدبي" ما يمكن أن نعتبره بياناً شافياً، وكلاما ضافياً، حول هذه اللفظة "الصنعة"؟ حين يقول : " التصنع : تكلف عيب ناجم عن تحاشي الطبيعة والسليقة، وهي إما في الأسلوب وإما في وصف المشاعر، وقد تقوي المغالاة فتقارب التخذلق في الصنعة اتقان وتأنق يصلان أحياناً إلى درجة التصنُّع.

أما الصناعة أو الصنعة فتتجلي في العناء المبذول في المفردة، وصياغة العبارة وتوشية الكلام بالمحسنات البديعية، وإخراج الأثر الفني من بين يدي صاحبه، بعد صقله وزخرفته، وشحنه بالمبتكر من الأخيلة والمعاني[4].

---

[1] لسان العرب – لابن منظور – ط دار صادر – ٢٠٩/٨.

[2] معجم متن اللغة – الشيخ أحمد رضا – ط مكتبة الحياة – ١١٢/٣.

[3] محيط المحيط – بطرس البستاني – دار الكتب العلمية ،ص ١٢١١.

[4] المعجم الأدبي – جبور عبد النور – دار العلم للملايين ، ص٦٨-٦٩.

وإذا ذهبنا إلى كتب النقد القديمة، فإننا نجد كاتباً مثل: ذي الوزارتين أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأشبيلي – في كتابه "أحكام صنعة الكلام" يبوِّب باباً باسم "فصل المصنوع" فيقول: وسمينا هذا النوع بالمصنوع، لأنه نمق بالتصنيع، ووشِّح بأنواع البديع، وحُلِّي بكثرة الفواصل والأسجاع، واستجلب لها ما يلذُّ في القلوب، ويحسن في الأسماع. فلم يقدَّم مثلٌ ما يقتضب، ولا فقرة تستغرب[1].

أما عند المحدثين فتعرَّف الصناعة بأنها: "هي العلم الحاصل بمزاولة العمل، كالخياطة والحياكة، وهي العلم المتعلق بكيفية العمل كالمنطق، وقيل الصَّناعة بالفتح – تستعمل في المحسوسات، والصِّناعة – بالكسر – تستعمل في المعاني"[2].

والصناعي: المنسوب إلى صَّناعة، ويغلب استعماله لما يستفاد بالتعلَّم من أرباب الصناعة، ويقابله الطبيعي، وهو الذي يستفاد من تلقاء الطبيعة، كوزن الشعر، فإنَّ من الناس من يعرفه بالذوق الطبيعي ومنهم من يتوصل إلى معرفته بتعلم العروض[3].

يقال: صنع الشيء أي عمله. وصنَّعه زيَّنه وحسَّنه بالصِّناعة. وصانع الرجل: رافقه واداراه. وصانعه عن الشيء: خادعه عنه وداهنه... فالصِّناعة مثل الكتابة، مصدر يتعلق بكيفية العمل، ويحصُل بمزاولته والصِّناعة: عملٌ وتحسين، وإحسان، واختيار. وحسن قيام وتربية،

---

[1] أحكام صنعة الكلام – لذي الوزارتين – أبي القاسم الكلاعي ألإِشبيلي – تحقيق/ محمد رضوان الداية، ص٢٩ ط عالم الكتب.

[2] صناعة الكتابة – د. فكتور الكك – دار أسعد أحمد علي – دار السؤال ، ص٥١.

[3] المصدر السابق ، نفس الصفحة.

وتخريجٌ[1]. وهذه المعاني اللغوية هي نفسها ما توحيه مدلولات المعني الاصطلاحي لصناعة الأدب.

ومن الموازنة بين تلك التعريفات اللغوية والاصطلاحية، نخلص إلى أنَّ الصِّناعة للمحسوسات، هي: مزاولة وكيفية، والمزاولة تعني المعاناة والطلب والمحاولة تلو المحاولة وهذه ما يسمي "بالتجربة الشعورية" أما الكيفية فتعني الحال وهي ما يعرف بالقيم التعبيرية يقول د/ السباعي محمد السباعي، عندما يتحدث عن النثر المُصّنع وهو لون من ألوان الأدب السائد آنئذٍ – : "النثر الفني أو النثر المُصّنع". وهو النثر القائم على الصنائع اللفظية، والبدائع الكلامية، ومراعاة الإطناب، وإيراد الكثير من الأفعال والأشعار والشواهد العربية. وتضمَّن الأسلوب الكثير من الاصطلاحات المختلفة. أما المقصود بالصنعة مقدرة الكاتب وحذقه في استخدام العبارات في كتابته النثرية بصورة تقرَّب كثيراً من النظم وتبتعد عن الأسلوب النثري البسيط[2].

ثم يتكلم عن براعة الكاتب وحذقه ومدى تمكُّنه من الإجادة في هذا الفن، وتملكُّه لناصية الأدب والبيان والفصاحة حيث يقول: "وهذا الأسلوب يُظهِر براعة الكاتب في استخدام الألفاظ والتلاعب بها، وقدرته على استخدام التخيلات الشعرية، وهذا يحمد للكاتب من ناحية، ومن ناحية أخرى، يجذب الكاتب إلى تغليف المعني البسيط بعبارات وألفاظ قد تؤدي إلى غموض المعني أو إظهار نقيضه مما يؤدي إلى اللبس والغموض، ذلك أن الكاتب البارع في هذا المجال كان غالبا ما يجد نفسه مضطرا إلى

---

[1] نفس المصدر – ص١٥٢.

[2] النثر الفارسي – د/ السباعي محمد السباعي – دار الثقافة للنشر ، ص٤١.

استخدام كثير من الألفاظ الغريبة لتحقق له السجع والجناس والطباق، ذلك أن اللغة الفارسية غير مهيأة لهذا النوع من الكتابة، وليست بها الألفاظ والعبارات التي تساعده على ذلك إلا في نطاق محدود"[1].

ومن هنا نلمس معنى جديداً من معاني التصنيع وهو مقدرة الكاتب على التلاعب بالألفاظ، بل والشغف باستعمال الغريب من اللغة حتى يوافي السجعة، وبالتالي يكون جيد الصنعة وهذا الحذق والتمكن لابد لهما من أديب واسع الإطلاع وعلى دراية بكل ما يستجد في عصره من معان، كما لابد له أن يوافق "الذوق العام"، حتى يجد الرواج المطلوب ومن ثم يكثر بين يديه والعطاء.

غير أن هذه الأجناس الأدبية قد تعتورها أحيانا الأعراض عند كل أديب من تغير الأحوال، قد ينشأ أدب لا يعبر صراحة عن الأديب، بل يمكن أن نطلق عليه أدب (حسب الطلب)!

[1] المصدر السابق – نفس الصفحة.

المبحث الثاني

نشأة الصَّنعة

نشأ مذهب الصَّنعة منذ دعت الحاجة إلى هذا اللون من الأدب وذلك بعد مرور الأدب العربي بمراحل تلاقحه بالثقافات الوافدة كالفارسية مثلا، التي اقتبس منها الأدب العربي هذا اللون من الأدب.

ولعل الكتابة هي أكثر الفنون الأدبية التي كان لها أوفر نصيب من هذا التمازج والتلاقح. يقول د. إبراهيم رفيدة: "بلغت الكتابة الفنية في هذا العصر من الرقي والسمو ما لم تبلغه في أي عصر من العصور، وذلك لظهور آثار الثقافات الأدبية والفكرية ولكثرة محفوظات الأدباء من آداب العرب والآداب المترجمة".

ويظهر أن الامتزاج بين العرب والفرس والروم وغيرهم من الأجناس أدي إلى امتزاج الثقافات المختلفة مع بعضها ، مما أنشأ عدد من التقاليد الأدبية التي لم يعهدها العرب[1].

على أننا نري بعض الكتاب يرجع نشوءه إلى عصور متأخرة من حياة العرب، وحتى في العصر الجاهلي[2].

ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه الآراء، ولكن ما يهمنا هو أن زكي مبارك عندما تحدَّث عن نشأة "النثر الفني" لم يُنكِر ما للفرس من أثر حيث يقول" "ولا أنكر أن العرب تأثروا بالفرس في حياتهم الأدبية، فإنّ من الطبيعي أن تدخل في اللغة والعقول عناصر جديدة بسبب المعاشرة والإطلاع على آداب الناس في مختلف الأقطار... ولكني – الكلام

---

[1] الأدب العربي وتاريخه – د/ إبراهيم رقيدة ومحمد عبد المنعم خفاجي ص٢٧١.

[2] النثر الفني في القرن الرابع – د. زكي مبارك، ص٤١.

للدكتور/ زكي مبارك – أقرر أن الزخرف عنصر أصيل في اللغة العربية".

ويصل إلى نتيجة مفادها أن القرآن الكريم نزل على قوم أولي فصاحة وبلاغة، وهو – أي القرآن الكريم – يخاطب قوما يفهمونه ويتذوقونه، وفهم القرآن وتذوقه لا يمكن أن يقع اتفاقاً بلا استعداد إلى أن يقول: "ونتيجة ما سلف أن العرب في جاهليتهم اهتموا بالنثر الفني اهتماما ظهر أثره وعرفت خواصه في خطب الخطباء ورسائل الكُتَّاب، ولكن ما عرف عن العرب من إهمال التقييد والتدوين لشيوع الأمية فيهم أضاع علينا معرفة من اهتموا اهتماما جديا بتدوين البديع"[1].

ثم أنه تابع تطور هذا النثر في عصوره كلها ثم بلوغه أوج تطوره في "القرن الرابع" وهو ما دعاه لأن يوسم الكتاب بـ "النثر الفني في القرن الرابع".

ثم هو عندما تكلم عن القرنين الثاني والثالث وعن النثر الفني تحديدا ومن ثم الصنعة فيقول: ومن مظاهر الصنعة في ذلك العصر تعمد الخيال، وتلك صفة نجدها عند أكثر الكُتَّاب والخطباء، فنجد الحجاج مثلا يقول:

"يا أهل الكوفة! إني لأري رءوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم اللحى"[2].

إلى أن يقول: "... وإيثار الخيال في النثر ظاهر في خطب علي بن أبي طالب وزياد ورسائل عبد الحميد، وحكم الواعظين والنساك في تلك

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع – د/ زكي مبارك ، ص٦٥.

[2] المصدر السابق، ص٧٣ (نقلا عن العقد الفريد – لابن عبد ربه – ج١، ص٥٧).

الأيام، ومنشورات الخوارج التي هاجموا بها الخلفاء، وهذا الأسلوب مظهر من مظاهر الفن لا ينبغي تجاهله عند تقرير الخواص التي امتاز بها النثر في ذلك الحين... هذه المظاهر الفنية التي طبع بها النثر في عصر بني أمية وصدر دولة بني العباس، كانت مقدمة لنوع من الإسراف في الزخرف أفسد النثر فيما بعد، وأثقله بألوان من السجع والإزدواج"[1].

ثم أشار إلى كلام الجاحظ في هذا الباب بقوله في معرض دفاعه عن التكلُّف بالسجع: "وكأن الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة أن كهان العرب في الجاهلية يتحاكمون 'إليهم ويدعون الكهانة وأن مع واحد منهم رئياً من الجن مثل (حاذي جهينة) و(شق وسطيح) وأشباههم... وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهوا منهم أحدا"[2].

ولعل في كلام الجاحظ السابق إشارة إلى أن "النثر الفني" كان موجودا في عصور قبل "القرن الرابع".

إلا أننا وأن اختلفنا مع من ذهب إلى هذا الرأي، إلا أننا وهم نري لما في "القرن الرابع" من إزدهار لهذا النوع من النثر، الذي ظهر جليا فيما كتبه الكتَّاب في هذا العصر وظهر ذلك جليا فيما خلَّفوه من تراث.

ثم أن "القرن الرابع" كان – كما أسلفنا – عصر التمازج بين ثقافات، ونشوء نوعية جديدة من الحياة لم يألفها العرب من قبل.

---

[1] نفس المصدر، ص٧٤.

[2] البيان والتبيين ، ص٥٨.

يقول د/ شوقي ضيف: "والحق أن الحياة العباسية كانت تقوم على الترف والزينة وما اتصل بهما من تصنيع وزخرف، وساعد الناس في ذلك ارتقاء مستوى المعيشة وما كانوا عليه من بذخ وثراء"[1].

يري الباحث – كما أسلفنا – عندما تكلمنا عن الحياة الاجتماعية في العصر العباسي، لمسنا هذه الدعة والترف في المعيشة وأساليبها ، مما لا مجال للتطرق لذكره الآن.

ولا شك أن لهذا الترف والبذخ أثَّر في الحياة الأدبية لهذا العصر وخصوصاً إذا علمنا تشجيع الخلفاء والأمراء للأدباء ، وبذل العطايا والنوال بين أيديهم ، فانتشرت الزخارف والتنميق في هذا العصر انتشاراً لم يسبق له مثيل، حتى ليخيل للمرء أنهم تفرغوا للتنميق والزخرف في أدبهم، وفي هذا يقول د. شوقي ضيف : " وطبيعي أن يسري هذا الذوق من حياة العباسيين الاجتماعية إلى حياتهم الأدبية " لأنه تعبير عصرهم الذي عاشوا فيه، وأن الإنسان ليخيل إليه كأن الناس فرغوا للتنميق والتصنيع ، فهو يُصنِّعون وينمِّقون في دورهم وفي ملابسهم وفي طعامهم وفي ما يتصل بهم[2].

ولعل أصدق مثال لما ذهبنا إليه من كلف الناس في ذلك العصر بالتنميق والتذويق في المأكل والملبس والمركوب، ثم يصل الأمر إلى ما يُكتب، ويتخذ السجع مطية إلى هذا التنميق، يقول د. شوقي ضيف : " على أننا لا نصل إلى عصر المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) حتى نجد السجع يصبح عاماً في كل ما يصدر في دواوينه، فليس هناك وزير ولا كاتب إلا

[1] الفن ومذاهبه في النثر العربي – د/ شوقي ضيف ، ط دار المعارف ، ص١٩٢.

[2] المصدر السابق ، ص ١٩٤.

إلا وهو يتخذ السجع في صياغته .. سواء ما يصدر عن كاتب الرسائل من آل ثوابة ما يصدر عن الوزراء أمثال ابن الفرات، وقد روي له الهلال بن المحسن طائفة من الكتب والرسائل كلها مسجوعة"[1].

ثم إذا يممنا وجوهنا شطر الدويلات في المشرق فإننا نجد ألواناً من الوشي والتنميق، في كل مظاهر الحياة، وكان الأمراء على تلك الدويلات يتسابقون في خطب ود الأدباء والكتاب، رغبة في ذيوع الصيت، وابتغاء الشهرة وإظهار مدى ثقافتهم، وقد ازدهرت صناعة الأدب في هذا العصر وفي تلك الأمصار ازدهاراً لم يسبق له مثيل.

وقد اتخذ الحكام الفرس في تلك الإمارات الأدباء والكتاب ووزراء وأمراء، ومن ثم أصبح الناس يسمعون عن أن لكل إمارة الأديب الفلاني أو غيره وفي هذا يقول د. شوقي ضيف : " .... وبذلك ظهر في كل مركز من مراكز هذه الإمارات حركة أدبية أو قل سوقاً أدبياً، وساعد على ذلك أن هؤلاء الحكام استوزروا كبار الأدباء في أقاليمهم، ومن ثم أصبحنا نسمع في كل إمارة باسم أديب بل أسماء أدباء مشهورين.. فعندا السامانيين نجد العميد والد ابن العميد الكاتب المشهور، ونجد عند البوبهيين الصاحب بن عباد، وهو من أهم كتاب العصر وفي طبرستان نجد أميراً من أمرائها أشتهر بالكتابة وهو : قابوس بن وشمكير"[2].

على أن موجة التصنع والتصنيع اشتد أوارها، وتشعبت طرقها في القرن الرابع، فقد أخذ الأدباء والكتاب ينافسون بعضهم، كل يُظهر براعته

---

[1] الفن ومذاهبه في النثر العربي – د. شوقي ضيف، ص١٩٩.

[2] المصدر السابق، ص ٢٠٢.

في إلباس المعني التعقيدات اللفظية والمعنوية ليظهر براعته في السجع وألوان البديع الأخرى.

ثم ما لبثت أن ظهر لون آخر من التصنع لا يَمِتُّ إلى الزخرف والتجمل بصلة، وهو بلا ريب أضحي مدعاة للتكسب المادي الرخيص يقول د. شوقي : " على أننا نلاحظ أن هؤلاء الكتاب جميعاً من أصحاب مذهب التصنيع والسجع والبديع، أخذت تظهر على اسلات أقلامهم شيات مذهب جديد ، هو مذهب التصنع ، إذا نراهم يعمدون إلى تعقيد أساليبهم الزخرفية أو إلى اتخاذ فنون جديدة في نثرهم لا تمت إلى التجميل والتصنيع بصلة ، وإنما تَمِتَّ إلى التحذلق التكلف[1].

وحيثما اتجهنا في معالجتنا للنصوص الأدبية سنقابل هذين الوجهين وجه الباطن وما فيه من معاني غير محسوسة من عواطف وأحاسيس مرهفة.. ووجه الظاهر بما فيه من خيالات وألفاظ [2].

وإذا أردنا أن نُلَّخص القول في هذا الموضوع نعلم أن الصناعة تعلق دون الطبيعي ، ومحاولة إيجاد نص مستوف لشروط الصناعة من الفصاحة والجزالة وعدم وجود مثيل سابق له، وبذل الجهد في تنميته وتزويقه حتى يؤدي الغرض المطلوب، ويحدث الأثر المأمول.

وليس كل كلام يستحق أن نطلق عليه أنه مصنوع، وبالتالي فهو بليغ فصيح مستوف للمعاني والأخيلة المرجوة ، فأخطر ما يصنع هو الكلام. لذلك نجد أن ناقداً كأبي هلال العسكري ، يصنع شروطاً صعبة للكلام حتى يستحق أن يقال أنه مصنوع فهو يقول: " إذا أردت أن تصنع

---

[1] النثر الفني ومذاهبه، ص ٢٢٩.

[2] في النقد الأدبي – د. شوقي ضيف – ط دار المعارف، ص ١٢١، وما بعدها.

كلاماً فأخطر معانيه ببالك وتنوق له كرائم اللفظ ، وأجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها، وأعمله ما دمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور، وتخونك الملال، فأمسك. وقالوا : ينبغي لصانع الكلام، أن لا يتقدم الكلام تقدماً، ولا يتبع ذناباه تتبعاً ، ولا يحمله على لسانه حملاً.. فإنه إن تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجز الشارد منه...[1].

وعلى هذا فالصنعة والتصنيع هي عبارة تأخذ بمجامع الأديب، وتجعله يتكلَّف حتى يصل إلى الأثر المرجو عند إنتاج هذه المنظومة أو تلك ، وهو بلا شك خصماً على صدق الأحاسيس ودقة التصوير، حيث أن هذه الأشياء هي آخر ما يلجأ إليه الأديب، وإلا فإن صناعته ستبوء بالخسران، في عصر أصبح التكسب بالأدب سمة غالبة عند سائر أدباء ذلك العصر.

كما اشتهر في هذا العصر كتاباً كلفوا بهذه الأساليب أشد الكلف، بل تسابقوا في مضمار إنشاء وإيراد كل ما من شأنه إظهار سعة إطلاعهم وغزارة معرفتهم . وذلك ما سنلمسه عند دراستنا لرائد هذه المدرسة وشيء مما خلَّفه، لذا كيف وصل الحال بالمصنعين من الأدباء ، وكيف كان حال من عاصر تلك الفترة ، وصار إلى مجاراة هؤلاء الكتاب والأدباء.

وعلى ذلك فإن القرن الرابع كانت فيه موجة التصنع سائدة، بل أنه سيطر على المنثور من أدب ذلك العصر، والمهم أن نعرف أن صناعة

---

[1] كتاب الصناعتين – تصنيف أبي هلال العسكري . تحقيق د. محمد مفيد قميحة – ص ١٥١.

السجع وصلت في هذا العصر إلى درجة عظيمة من التأنُّق، وأصبحت مقياساً على براعة الكتاب ومدى حذقهم لصنعتهم ، كما يقول أنيس المقدسي : " الزي الإنشائي العام، فسيطرت الأناقة البديعية على دواوين الإنشاء في الدول المختلفة ، وأصبحت المقياس الأعلى في حلقات الأدب ، بل تعدَّت ذلك إلى التاريخ والعلم[1].

وذلك ما نلمسه في كتابات أهل ذلك العصر، ومنهم أبوبكر الخوارزمي على ما سنلمس عند دراستنا للتصنع والتصنيع في أدبه.

[1] تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي– د. أنيس المقدسي، ص ١٠٨.

المبحث الثالث

أثر الصنعة في أدب الخوارزمي

ما كان الخوارزمي في عصره بدعاً من الكتاب والأدباء الذين أثروا الساحة الأدبية بهذا الفن الجديد المتطور، بل أنه سار على منوال أدباء عصره في جميع الفنون، وسايرهم فيما ألَّفوه من فنون نثرية.

غير أننا نجد أن الخوارزمي الناثر كان أبرع من الخوارزمي الشاعر، وخصوصاً ونحن لا نجد فيما كتبه من آثار شعرية إلا أقل القليل، ولعله ضاع فيما ضاع من تراث علمي كبير. غير أننا نلمس من رسائله روح التجديد والتطوير في أساليب النثر الفني.

ثم أنه لم يخرج من كونه يتكلف السجع في رسائله، غير أنه سجع بديع غير متحذلق فيه ولا هو بالمعقد الذي يصعب فهمه، فهو وإن اختار العبارة الأنيقة، والمفردة السهلة، إلا أنه وعندما يسجع في رسائله نراه قد أسهب في الوصف، وأطال فيما ليس للإطالة مندوحة، غير ما فيها من تصنع أحياناً مجاراة للعصر. يقول د. شوقي ضيف: " كانت صناعة الخوارزمي في رسائله تقوم على التصنيع وما يطوي فيه من سجع وبديع، على أن من يتأمل في هذه الصناعة يحس تسرب ضروب من الصناعة إليها، إذ كان الخوارزمي يعمد إلى ضروب من التهويلات والمبالغات ، ولعل قصر الموضوعات التي كان يعالجها هو الذي أداه إلى هذه الصورة من التعبير، وأنظر إليه يكتب إلى أحد تلاميذه فيصف أيامه الماضية معه على هذا النحو:

" كانت أرق من حاشية البرد، ومن طلوع السعد، وأحلى من إنجاز الوعد ، وأعذب من القند، بل من النقد ، وأعبق من الورد، وما أردت إلا ورد الخد، بل من المسك والند، وأطيب من القرب بعد البعد، ومن الوصل في أثر الصد، بل كانت أرق من نسيم الزهر، في السحر، ومن قضاء الوطر، على الخطر، بل كانت أرق من ليل السكارى، أو نهار الحياري"[٢٧].

وهو بذلك يصف أيامه الخوالي تلك بأوصاف ومبالغات يري أنها أبلغ في أذن السامع، وأن كان يتكلف في رصِّ العبارات على هذا النحو، ويهتم اهتماماً شديداً بالسجعة في كل فقرة وكأنه يصنع السجعة قبل الفكرة.

يقول شوقي ضيف: " وأنت ترى أساس هذه التعبيرات أنه يُهوِّل ويبالغ في وصف الأيام الماضية، وما كان من حسنها وجمالها، ولكن أنظر كيف أطال في نعته لها، وهي إطالة مقصودة، إذ كان قصد بها إلى بيان مهارته في صوغ هذه الأسجاع التي تتقابل تقابلاً " بديعاً" على هذا النحو، فهي تتألف من أسجاع دالية أول الأمر حتى إذا اثبت تفوقه في استخدام الدال وأسجاعها انتقل إلى الراء يصوغ منها ما يريد من سجع، وهو يوشي هذا السجع كله بالجناس والطباق والتصوير ونحن نتساءل : ما هذه الأوصاف كلها التي يرصها الكاتب رضاً"؟ والحق أن هذا "الرص" أصبح أصلاً من أصول صناعة الخوارزمي في رسائله، وإنَّا لنلمح فيها

---

[٢٧] النثر الفني في القرن الرابع – شوقي ضيف ، ص ٢٣٥.

جانباً من جوانب التصنع ، وهل التصنع إلا الخروج عن الطرق الطبيعية في التصوير الفني؟".

إذا الخوارزمي عندما يكتب شيئاً ، ليس همه أن يوصل الفكرة الأساسية إلى المرسل إليه، بل يُنَمِّق ويتكلَّف، بل أحيانا يخرج من الموضوع الرئيس للاسترسال في موضوع فرعي لا دخل له بالفكرة الأساسية ، سوي أنها تظهر براعته ، وتجلو سعة ثقافته.

ونرى مثالاً على ذلك في قصيدة بعث له بها أحد تلاميذه[٢٨]:

وصلت القصيدة الغراء ، الزهراء ، فكانت أرق من الماء، بل من الهواء، وألذ من الصهباء ، وأسر من اللقاء بين الأحباء ومن هجوم السرَّاء، غب الضرَّاء، وأعذب من مغازلة النساء ، ومن مجالسة الندماء، ومن مساعدة القضاء، وخطب البلغاء ، وقلائد الشعراء ، ومن أخذ جوائز الأمراء، وتحصيل مراتب الخلفاء، فكانت معانيها أبدع من الوفاء وأعز من السخاء، وأعذب من النصفة في الأصدقاء ، ومن الأمانة في الشركاء، بل أعذب من المغرب العنقاء، ولحاظها أحسن من البدر في الظلماء ، وأطيب من وصل الحسناء ، ومن الشماتة بالأعداء.

هو هنا يحشوا الأسجاع حشواً ، ويرصها رصاً، حتى يتسنى له أن يسهب ويفرط في بذل ما في جعبته من معاني وأفكار ، تتسم بالمبالغات ، ثم هو يعمد أحياناً إلى التكرار ولو بصورة أو أخرى كما يقول : " من مغازلة النساء" ومن وصال الحسناء" وإن كان التكرار في المعاني.

---

[٢٨] النثر الفني – د. زكي مبارك، ص ٢٣٦.

ولعله كان يعمد إلى هذا النوع من الأساليب ، ليقدم إلى تلاميذه في رسائله جميع صور التعبير التي يمكن أن يستخدموها في فكرة من الأفكار ، وكأنه يحس أن مهمته ليست هي أن يعبر عن معان، بل يعبر عن أساليب يحفظها الطلاب"[٢٩].

ولعل المتأمل في أدب الخوارزمي المُصنَّع ، يجده وقد تطرق إلى موضوعات وإشارات تدل على سعة إطلاعه، ومنها أنه يكثر من الإشارات التاريخية ، كقوله في رسالة إلى أبي محمد العلوي يقول: " وجلست بين الدواوين بين آل الجراح وآل ثوابه، وبين بين الخصيب وبني مقلة، ونشرب من المقابر آل يزداد وآل شداد، وحشرت من الأخرة ابن المقفع البصري وسهل بن هارون الفارسي وابن عيدان المصري، والحسن بن وهب الحارثي، وأحمد بن يوسف المأموني. ووضعت عن يميني عهد أردشير بن بابكان، وعن يساري كتاب التبيين والتبيان ، وبين يدي فصول برز جمهر بن البختكان، وقبل ذلك رسائل مولانا عين الزمان، وزين الشيب والشبان"[٣٠].

ويكثر كذلك من الاستشهاد بالشعر، وأحيانا يدمجه إدماجاً في النثر، وهو يعترف أنه كان يتخذ السرقات الأدبية التي كانت شائعة في ذلك العصر مطية من المطايا في سبيل مجاراة أدباء عصره ، الذين كلفوا بهذه السرقات وأورد الثعالبي طرفاً من هذه السرقات في اليتيمة [٣١].

---

[٢٩] الفن ومذاهبه– د. شوقي ضيف ، ص ٢٣٧.

[٣٠] رسائل الخوارزمي ص ٣٤.

[٣١] اليتيمة ج٤، ص٢١٩.

والخوارزمي هنا يعترف بالسرقات الأدبية، ولا يحفل كثيراً بها، وكان العصر قد أصبح ملؤه هذه السرقات حتى أنها صارت شيئا اعتياديا لا يعتبر جريرة ولا يؤاخذ عليها.

والدليل على هذا يشير إلى إغارته على الكتاب الذين سبقوه إذ يقول صراحة: " ما زلت أسرق من هذا كلمة، وأنظر من ذلك فقرة، وأستعير من هناك نادرة وثيقة، أغصب الأحياء على بيانهم، وأنبش الموتى من أكفانهم"[٣٢].

والحق أننا نلحظ عند الخوارزمي أحياناً شيئاً من التكلف المقصود ، وهذا التكلف المقصود يجعله يظهر بأنه مطلع على كل العلوم، فيقحمها إقحاماً في رسائله وأشعاره أنظر إليه وهو يتعرض إلى علم النحو" ويورده في بعض الأحيان ومنه قوله : " وكيف صرت المستثني ، وقعدت على طريق إلا "[٣٣] .

وعلى هذا المنوال نحس بتسرب التصنيع إلى صناعة الخوارزمي ، وهو ما يلبث أن يظهر براعته في مجاراة أدباء عصره، كيف لا! وهو من هو في علو الكعب وإمامة الأدب انظر إلى د. شوقي ضيف يصف حاله ويصنف أفعاله " نحسُّ على هذا النحو دائماً بضروب من التصنع تسرب إلى صناعة الخوارزمي وهي صناعة كانت تقوم على التصنيع ، ولكنها أخذت تظهر فيها بعض شيات التصنُّع وسماته ، ومما يدل على أننا

---

[٣٢] رسائل الخوارزمي ، ص ٣٥.

[٣٣] رسائل الخوارزمي ص ٣٩.

وصلنا من التصنيع إلى هذه المنطقة التي يختلط فيها المذهب بمذاهب أُخر"[٣٤].

وعلى ذلك فالخوارزمي يزاوج بين القديم والحديث، وتظهر براعته في كل أداء أو تعقيد، مع أن مذهبه على الجملة كان يقوم على مذهب التصنيع إلا أن يُصنِّع ويتحذلق ويتكلَّف ليظهر علو كعبه وامتلاكه لناصية البيان.

وعلى هذا فالخوارزمي من أبرز أدباء مدرسة التصنُّع، ولا يماري أحد أنه كان من أبرز أدباء القرن الرابع الهجري، بل أننا لا نكون قد أبعدنا النجعة إذا قلنا : أنه من أبرز الأدباء في الأدب العربي.

ثم أننا إذا أردنا في إيجاز أن نحدد أبرز ما اخرجته مدرسة أبي بكر الخوارزمي من سمات جعلته صاحب نهج وطريقة متفردة، فينبغي علينا أن نذكر أن أهم تلك الميزات التي توفرت في مدرسته تلك التصنعَّية وجدنا الآتي:

١. التزام السجع والإكثار من المحسنات البديعية ، وقد بلغت عدة سجعات في بعض رسائله.
٢. قوة الألفاظ، وتخيُّر غيرها أحياناً لتدلل على عمق ثقافته وقوة حجته.
٣. القصد إلى الصور والتجديد فيها، فبعض هذه الصور التي طرقها الخوارزمي قديم، وبعضها الآخر جديد متطور.

---

[٣٤] الفن ومذاهبه – د. شوقي ضيف ص ٢٣٨.

٤. تأثر الخوارزمي بثقافات العصر الذي عاش فيه، والدويلات التي زارها أو نزل عليها ضيفاً ، فإننا نجد في رسائله مصطلحات علمية وأخرى فقهية ، وثمة معان فلسفية.

٥. غوصه في المعاني وتوليدها ، وقد طرق الخوارزمي معظم أغراض الشعر ، وان كان مقلاً في هذا الجانب- كالمدح والهجاء والشكر والعتاب وترك بصماته في تلك الأغراض كلها وما تفرَّد فيه.

٦. كان للخوارزمي مقدرة فائقة على سبك المعاني وطرح أفكاره متسلسلة في وحدة مترابطة ، هذا مع عدم إغفاله لما يتطلبه الإيجاز من غير إخلال في المعني، فأنتج حكماً قصاراً غير أنها تجري مجري الأمثال مع إضافات خاصة من عنده.

الفصل الرابع

آثاره الأدبية

مدخل الفصل (الخوارزمي ناثر أم شاعر؟)

المبحث الأول: رسائل الخوارزمي ومكاتباته

المبحث الثاني: مساجلاته وردوده

المبحث الثالث: كلمات له تجري مجرى الأمثال

مدخل الفصل

الخوارزمي ناثر أم شاعر ؟

كان الخوارزمي مثالاً عظيماً لشخصية نهضت بالأدب العربي نهضة كبيرة وجعلته يشغل الناس زماناً طويلاً .

فهل كان الخوارزمي ناثرٌ أم شاعر أم الاثنين معا؟

للإجابة عن هذا السؤال فلابد لنا أولاً أن نتعرف على التراثين الشعري والنثري لأبي بكر. أما عن التراث الشعري فقد ضاع – كما أسفلنا – في معظمه ولم يتبق منه شيء سوى ما نجده عند الثعالبي في مؤلفاته وخصوصاً في اليتيمة ــ التي لولا ما جمعه فيها لما تسنّى لنا معرفة شيء من شعره ثم أنَّنا نجد له أبياتاً مبثوثة في عدة مؤلفات منها على سبيل التمثيل لا الحصر : (خاص الخاص) ، (الإيجاز والإعجاز)، و(ثمار القلوب) ...الخ .

تم ما جاء من مؤلفات بعد – كما أسلفنا عند حديثنا عن الذين كتبوا عن الخوارزمي[1] فهي في معظمها تورد نتفاً من أشعاره وإن كانت قد نقلت هذه الأشعار مما كتبه الثعالبي عنه .

غير أنّ للخوارزمي كتاباً كاملاً في النثر ، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل بلغت أكثر من مائة وخمسين رسالة في شتى الموضوعات [2] وسنعرض لها عندما نتكلّم عن رسائله .

أما كون الخوارزمي ناثر ، فهي حقيقة فيما وصل إلينا من كتاباته التي طرقت موضوعات عدة ، ليس هنا مجال لتطرق إليها. ورغم ذلك نستطيع من خلال كتابته أن نعرف ما كان يحدث في عصره ، وأن نستشف أي كاتب من الُكتَّاب هو؟ فبالإضافة إلى ثقافته التي يغلب عليها طابع التشيُّع والغلو فيه أحياناً ، –وإن كان ذلك مجاراة لعصره – فهو قد أكثر من إنتاجه كما لم يفعل غيره، وطرق برسائله كل مطروق؛ من أغراض إخوانية وديوانية وغيرها ..

---

[1] الفصل الثاني – المبحث الخامس – ص ٤٩ .

[2] كتاب رسائل الخوارزمي – تصحيح الشيخ – محمد قطعة العدوي، مطبعة/ عبد الرحمن رشدي بك، ١٢٧٩هـ.

وعلى هذا فالخوارزمي فيما خلّفه من تـراث أدبـي وخطـابي يحـوي رسـائله ومكاتباته، مساجلاته وردوده ، و ما أودعه فـي بعـض رسـائله مـن حكـم وأمثـال جاءت ترجماناً صادقة لما لاقاه من محـن وإحـن تركـت آثارهـا عليـه وعلـى مـا أبدعه من إنتاج أدبي ثر، نال به قصب السبق بين أدبـاء عصـره، ممـا بـوَّأه مكانـة رفيعة بين أقرانه، وصار كاتبًا يشار إليه بالبنان ، ويخطب وده القاصي والداني .

المبحث الأول

رسائل الخوارزمي ومكاتباته :

معنى الرسالة :

تتضمن مادة (رسل) في اللغة العربية ثلاثة مجالات معنوية متقاربة هي الامتداد والطول والاتساع أولاً واللين والسهولة والتحرُّر من القيد ثانياً والتمهُّل والترفُّق والتأنّي ثالثاً[1].

أما عندما نتكلم عن استعمال كلمة (الرسالة) وإطلاق (المترسِّل) على الكاتب يقول ابن وهب : وهو يؤصّل للمصطلح : (الترسّل من ترسلت أترسل ترسلاً ، وأنا مترسِّل ، كما يقال : توقفت بهم أتوقف توقفاً ، وأنا متوقف ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرره فعله في الرسائل ، كما لا يقال : تكسَّرَ إلا فيما تردد عليه اسم الفعل في الكسر ... والاسم : الرسالة، أو راسل يراسل مُراسَلة وهو مراسل ، وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة [2].

والرسائل نوعان : ديوانيّة وإخوانيّة؛ فالديوانيّة: هي الرسائل الرسمية، التي تصدر عن دواوين الحكام وتُعنى بشئون السياسة وأمور الحُكم، ولذا يكون الحرص فيها على دقة المعلومة ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في المكاتبات الرسمية؛ ومن هذا النوع العهود والتقاليد والمناشير والفتوحات وانتقال الخلافة والتلقيب والتنوية والإحماد والإذمام والدعوة إلى الطاعة والحث على الجهاد وغيرها مما يُتداول في البلاط وما يصدر عنه .

أما النوع الثاني : فهو الرسالة الإخوانية – أي الشخصية– التي يتبادلها الأصدقاء والناس عامة، وهذا النوع هو الأقرب إلى الأدب إيحائيًا ولفظيًا وأسلوبًا، ومن موضوعاته ، الشكر والتشويق والعتاب والتهنئة والشكوى والمدح والهجاء والاستماحة والاستعطاف والاعتذار والاستبطاء والشفاعة والعيادة والتعزية

---

[1] لسان العرب محمد بن منظور ، ط بيروت ، مجلد ١١ مادة رسل ، ص ٢٥٨ – ٢٨٠ .

[2] في النثر العربي – د. محمد يونس عبد العال – ط الشركة المصرية ، ص ٣١٠ (هوامش) نقلاً عن البرهان في علوم البيان – لابن وهب – ص ١٥٠ .

والوصف والدُّعابة ، ويمكن أن يلحق به ، الرسائل الوعظية والرسائل الدينية الجدليَّة[1].

أما عن الخوارزمي فرسائله كلها من الرسائل الإخوانية كتبها إلى أصدقاء وأعداء وتلاميذ ، حتى أننا نجد مكاتبته التي كاتب بها الحكام تُعدُّ من الرسائل الإخوانيّة أيضاً ولم يكن الخوارزمي مقلاً بل له ميزات شارك فيها أدباء عصره وانفرد ببعضها وذلك نجده في بعض مطالع رسائله .

مطالع رسائله :

ليس لأبي بكر صيغة معينة يبدأ بها رسائله، ولكنه يجتهد أن تكون كل رسالة ذات صيغة مناسبة في مطلعها؛ وإن كان مطالع رسائله كان شأنها شأن مطالع الرسائل في أدباء عصره. وكثير من رسائل أبي بكر كانت تبدأ بعبارة " كتابي إلى الشيخ " [2] أو " كتابي هذا " [3] . وقد يكون بصيغة الخطاب داعياً للمخاطب كقوله " وفقك الله " [4] . وقد يكون بصيغة الخطاب بدون دعاء ، كقوله في رسالة إلى تلميذ له (أنت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل) [5] وقد يبدأ الرسالة بصيغة الغائب كقوله : " ورد كتاب الحاكم " [6]وأحياناً بصيغة المتكلم :" أصبحت أيَّد الله الشيخ – وأمسيت شبعان من كل بغية "[7]. وقد يضم غيره إليه ويتحدث بصيغة الجمع ، إذا كان الموقف يتطلب ذلك . كقوله في رسالة إلى كثير

---

[1] المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

[2] رسائل الخوارزمي ، ص ٢٩ .

[3] المرجع نفسه ، ص ١٠ .

[4] المرجع نفسه ، س ٢ .

[5] نفس المرجع ، ص ١٧٣ .

[6] نفس المرجع ، ص ٢١.

[7] المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

بن أحمد يعزِّيه " نحن معاشر أولياء الشيخ "[١] وهو يهدف هنا إلى تعظيم المخاطب وبيان كثرة أولياءه وقد يبدأ بالغرض مباشرة . كقوله : " البستان قد وعدتني يا سيدي ، وأنت يا سيدي وأنت يا سيدي بالإنجاز قمين "[٢] أو يبدأ بعبارة " ليت شعري "[٣] كما في رسائله إلى كاتب الرئيس بنيسابور.

وأحياناً يبدأ أبوبكر رسالة بالشعر كما في رسالته إلى أبي الحسن الطرجودي إذ يقول :

فلا ترتفع عنَّا بشغل ولُيته كما لم يَصغر عندنا قدرُك العَزلُ[٤]

وكان كثيراً ما يأتي بالجمل الدعائية كقوله في مطلع رسالة إلى محمد العلوي : " كتابي – أطال الله بقاء سيدنا "[٥] .

التحميدات والصلوات والجمل الإعتراضية :

يُكثر أبوبكر في رسائله من البسملة والتحميدات والصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم والعترة الطاهرة ، ويأتي ذلك في ثنايا رسائله . كقوله : " ثم قمت فصليت ركعتين ،ختمت في كل ركعة منهما ختمتين ، واستعذت بالله تعالى من الشيطان الرجيم ، وقلت : بسم الله الرحمن الرحيم "[٦].

وكذلك في شأن إكثاره من التحميدات والصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم . كقوله : " والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين "[٧]. وقد يمزج هذه التحميدات والصلوات بعبارات من عنده

---

[١] رسائل الخوارزمي ، ص ٥٨ .

[٢] المرجع نفسه ، ص ٩٩ .

[٣] المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

[٤] رسائل الخوارزمي ، ص ١٦ .

[٥] المرجع نفسه ، ص ٩.

[٦] المرجع نفسه ، ص ٣٥ .

[٧] رسائل الخوارزمي ، ص ٣٣ .

كقوله :" والحمد لله تعالى على حفظه الدين ولو ذهبت الدنيا، وصلى الله على محمد خير الورى " [١]. وقد يأت التحميد في صورة جملة اعتراضية كقوله : " فأبي الله تعالى- وله الحمد -أن يقع في البئر إلا من حفر"[٢]. ويُكثر أبو بكر في رسائله من الجمل الاعتراضية الدعائية . وقد يكون هذا الدعاء لنفسه كقوله في رسالة إلى أبي القاسم الداودي : " فعذرت نفسي – أعزّني الله – قبل أن تعتذر "[٣]. وقد يكون الدعاء للمخاطب وهو كثير ؛ كقوله للحاجب أبي اسحق : " أنت – أيّدك الله – تعلم". وقد يأت الدعاء في صيغة تُعبّر عن الغائب ، وإن كان الكلام موجهاً إلى المخاطب . كقوله : " كتابي – أطال الله بقاء سيدنا " [٥]. وقد يأت بأكثر من جملة اعتراضية دعائية واحدة ، ويجمع في الدعاء بين نفسه والمخاطب . كقوله في رسالة الشيعة بنيسابور : " سمعت – أرشد الله سعيكم – وجمع على التقوى أمركم ما تكلم به السلطان ونحن – أصلحنا الله وإياكم – عصابة لم يرض الله لنا الدنيا ، فذخرنا للدار الآخرة " [٦].

وقد ضمَّن رسائله كذلك تضميناً وحلاً الأبيات والحكم سنعرض لها في حينها .

ثم إنُّه ضمَّن في رسائله كثيراً من الأمثال والحكم والتجارب التي مر بها ، وهي تعكس صورة ما كان عليه الحال في مجتمعه وقد حوت هذه الرسائل نظرته إلى الحياة وما فيها ، وأيضاً ميوله وثقافته .

أما رسائله التي أسميناها بالديوانية فهي- وإن كانت كذلك -إلا أنَّ الجانب الشخصي يطغى عليها ويظهر وكأنَّها رسالة إخوانية كان الجانب الإنساني فيها

---

[١] رسائل الخوارزمي ، ص ٨.

[٢] المرجع نفسه ، ص ٤٣.

[٣] المرجع نفسه ، ص ٤٦.

[٤] المرجع نفسه ، ص ٣.

[٥] المرجع نفسه ، ص ٩.

[٦] رسائل الخوارزمي، ص ١٢٥ .

أقوى، والعاطفة أبلغ ، وخصوصاً عندما تعلّق الأمر ببعض ممن كان يحفظ لهم الخوارزمي وُدّاً قديماً ، أمثال بعض الحكام الذين راسلهم، ويلمس الباحث في هذه الرسائل آرائه وعلاقاته الشخصية بهؤلاء الحكام الذين راسلهم ، وخصوصاً إذا علمنا أنّه لم يعرف عن الخوارزمي إنه عمل في الدواوين او استوزر لعهد أي من الخلفاء أو الأمراء الذين اتصل بهم أو نزل عليهم .

وقد كان الخوارزمي أستاذاً ومعلماً وكانت له علاقاته الشخصيَّة فكتب رسائله ناصحاً ومعلماً أو معبِّراً عن مشاعره الشخصيَّة .

أما عن الموضوعات التي طرقها الخوارزمي في رسائله فقد طرق مختلف جوانب الحياة ، وعبَّرت رسائله من مختلف المشاعر والآراء وجاءت الموضوعات في التعزية والعتاب في الهجاء والرثاء ، ثم يضمِّن هذه الرسائل اللهفة والشوق والحنين إلى ماضٍ أضاعه أو مجد تليد ضاع منه، وهو يكتب مهنِّئاً أو مادحاً ، شاكراً أو مرشداً ناصحاً .

وقد كانت له نظرات في الحياة السياسية التي عايشها ، ثم لا ينسى أن يصوِّر حياته الاجتماعية ومظاهرها والعادات السائدة ،وكثير مما هو حوله من أمور الحياة والمعاش وغيرها من الموضوعات التي طرقها في رسائله .

ومن منثوره في رسائله ما كتبه إلى (الحاجب أبي اسحق) يلومه ويؤنِّبه لما نكبه الوزير (ابن عبَّاد) ، حينما كانت العلاقة بين (الصاحب بن عبَّاد)و الخوارزمي علاقة ود وإخاء . فكتب إليه معاتباً يقول : " وفقك الله في مراجعة الحق لما استحق به انتهاء محنتك ، وألهمك في استيفاء شرائط التوبة ما يطرق له النهوض من صرعتك، ولا خلَّصك الله مما أنت فيه من جناية غيرك عليك ، حتى يخلِّصك مما كنت فيه من إساءة نفسك عليك ، فإنَّ نفسك أعظم خصيمك وإن كانت أصغرها لديك وقد مثلت – أيدك الله –بين أخرس لك كلامي ن وأفوّق نحوك سهامي ، وأقضى بذلك حق عظتك ،وأخرج من عهدة ما يلزمني في هدايتك ، وبين أن يلين مسّ قولي لك فتبقى في نفسي حاجة من نصيحتك، فرأيت الأول على أوجب، وإلى الصواب أقرب .... [1]

---

[1] كتاب رسائل الخورزمي، ص ٢

* المرقش الأكبر:هوعوف بن سعد بن مالك من بكر بن وائل(ت:٥٥٢م)، تاريخ آداب اللغة العربية(١٣٦/١)

وهو في هذه الرسالة وإن بدأ إنه يعاقب ويلوم ، إلا أنه لا يخفى ما ضمنَّه في هذه الرسالة من تشفٍ واستهزاء ؛ فهو يدعو له بالتوبة واستيفاء شرائطها مما حلَّ به من مصائب لم تحل إلا بسبب (إساءة نفسك إليك) ثمَّ يصوغ ذلك في قالب آخر وكأنّه يحذره من نفس أخرى غير التي بين جنبيه.

ثم يردف ذلك كله بأنّه ما أراد من ذلك كله إلا محض النُّصح ، ولم يرد التأنيب والفضح .

ثم يستشهد ببيتين ضمنَّهما رسالته تلك يقول فيهما – بعد ما بيّن سبب اختياره النصح دون توجيه سهام التأنيب – يقول :

أخوك الذي إن أجرضتك ملمة *** من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا اقول :

وليس أخوك بالذي إن تشعّبت *** عليك أمور ظل يلحاك لائماً

والبيتان للمرقش الأكبر*:

أما فيما يتعلق بالتعزية فقد كتب رسالة إلى : كثير بن أحمد يعزِّيه في ابنة له . يقول فيها : " نحن معاشر أولياء الشيخ ومتحملي أعباء نعمته ، والمتّسمين بسمة كلمته ، إذا صدئت قرائحنا ، وفسدت أذهاننا جلوناها بمجالسته ، وغسلنا عنها وضر التغير باتباع طريقته ، وسسنا أنفسنا بما نراه ونتعلّمه من سياسته ببطانته ، ثم لرعيته ... إلى أن يقول : " ولابد لمن شارك ربيبه في أيام الرخاء والمواهب ، من أي يشاركه في أيام الغموم والمصائب ، ليكون قد خدمه في النوبتين ، وتصرف معه على الحالتين ، وأثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين ... وبلغني خبر المصيبة فاغتممت بها غمين ، ونفذت إلى سهام الفجيعة من طريقين أما إحداهما : فهي إني أغار على هذه الجنبة الكريمة ، وعلي هذه الدولة المستقيمة ، من أن تنفذ فيها رمية الزمان ، أو تتناولها يد من أيدي النقصان . وأما الثانية فهي إني علمت أن الفجيعة إذا لم تحارب بجيش البكاء ولم تقاتل بالإذاعة والاشتكاء ، تضاعف داؤها ، وزادت أعباؤها ، وإنما الغم سم ترياقه المباثة والموت خرق رفوه التسلية والتعزية . قال ذو الرمة* .

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ** من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل

وهو انحدار في هذه الرسالة يبدؤها بمقدمة طويلة يمدح فيها الشيخ كثير بن أحمد – ويبدو أنه كان ممن يخطب ودهم من أصحاب الرياسة أو الجاه أو

المال ، حتى يدعو أديب مثل الخوارزمي يبدأ رسالته بكل كل هذه المقدمة المطولة المتكلف فيها والمتحذلق في ألفاظها وسجعاتها ، حتى يصل إلى صلب الموضوع الذي يدور حول التعزية بفقد هذه الإبنة .

ثم إن الخوارزمي لا يفرّق بين مجرد الدمع وإنزال الدمع ،وبين البكاء والإذاعة والاشتكاء وهي من الأمور المنهي عنها في الشرع ، بما فيها من الاعتراض على أقدار الله " إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي الله " [1]وعلى العموم فالرسالة تفيض بشتى صور التفجع والتألم والمواساة .

ثم عندما نتطرق إلى جانب أخر من رسائله وذلك في موضوع التهنئة، وهو قد كتب إلى أبي الحسن الحاكم بن أبي حاتم لما هرب من نيسابور إلى بخارى ، وذلك بنجاته من الاعتقال . كتب إليه يقول : " مازلت أنشد أيد الله الحاكم قول الأول :

رب أمر تتقيه ***جرَّ نفعاً ترتجيه

خفي المحبوب منه *** وبدا المكروه فيه

فأنظر إلى تنزيله ، ولا أقف على حقيقة تأويله وأرى ظاهره ولا أستشف باطنه . حتى جرى من خروج الحاكم ما جرى ، ووقى الله تعالى من المكروه في ذلك ما وقى، فعلمت حينئذ أنّ ألطاف الله تعالى تشير إلى عباده في طرق خفيَّة المذاهب ، دقيقة الجوانب ، وأنّ السلامة ربما نشأت في معرض الخطر، وأنّ الأمن ربما ظهر في قالب الخوف والحذر . وإنا لشيء ما أمرنا أن نستعيذ من شر ما ندري وما لا ندري، وما كنت أشعر أنّ فراق الصديق يسر ، وإن الاجتماع معه يضر ، ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دواء ولا أنّ الداء يستحيل دواء ، ... هذا أيد الله الحاكم وقد بثّ الأعداء شباك الغدر ونصبوا حبائل المكر واستفرغوا في السعاية جهدهم ، وأخرجوا اقصى ما عندهم ، فأبى الله تعالى وله الحمد أن يقع في البئر ، إلا من حفر ، وأن يحيق المكر السيء إلا بمن مكر ، وخرج الحاكم من غباية تلك الأهوال ، خروج المشرقي من الصقال ، وقد قذيت عنه عين الزمان وقصرت دونه خطوة الحدثان .

إذا أذن الله في حاجة *** أتاك النجاح بها يركضُ

---

*ذوالرُّمة:هو غيلان بن أبي عقبة المصري(السير ٢٦٧/٥)

١.حديث شريف رواه البخاري عن أسامة بن زيد ١٣٩/٣.

وإن نجم الهم قد آذن بالأفول ، وأنا بعد كل هذا أتعجب من قولي : الحمد لله ثم الحمد لله، وأقول هذا حمدي على فراق الأصدقاء فكيف حمدي على اللقاء؟ وهذا شكري على المحنة فكيف به على المنحة ، وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابنٌ ، فقال : الحمد لله الذي يقتل أولادنا ونحبه ، وأنا أقول : الحمد لله الذي يفرّق عنا إخواننا ونحمده . وهو هنا يصوّر الأمر في قالب من الوعظ ، ويجعل من نفسه حكيماً خبر الحياة وآلامها وآمالها، فيصوغ ذلك كله في عبارات موجزة وجمل ضافية ليُبيّن : أنّ الحياة تجري على أقدار الله وأنّ العسر يحمل في طيَّاته اليسر ، (وإنّ مع العسر يُسر) وإنّ المحن قد تكون منحاً ولكنّ الإنسان لا يدري خبايا الزمان ولا أقدار الرحمن ، فهو أحرى به أن يسلّم ويستسلم . غير أن يعود فيهنّئه بحصول الظفر بعد ما أدرك الخطر ، وإنه قد أعمل الحيل تلو الحيل حتى يفلت من شباكهم التي تعبوا رغبة في القبض عليه ، غير أنه ما لبث أن خرج من هذه الأهوال " خروج المشرفيّ من الصِّقال " وفي هذا دلالة على أنَّه تمكن من النجاح والنصر وخرج ظافراً مظفراً وإن هذا هو المقدور الذي لا يثنيه تقلّب الدهور ، ولا معالم الجور ثم يدعوه إلى أن يحمد الله ، في كل شأنه وضمّن ذلك في فلسفته الخاصة : إنَّ الحمد مطيّةً لا تكبو ولذا فهو يحمد الله على كل حال .

أما ما كتبه مادحاً مشيداً ، فقد كتب إلى(الصاحب بن عبّاد) مشيداً بشجاعته وعلو همّته ، وذلك عندما كان حبل الوصال متيناً ووشائج المودة قويّة ، كتب إليه يقول : " كتابي وأنا بما يترامى إلى من أخبار نعم الله تعالى على الوزير في حلّه وترحاله ، وسائر منصرفاته وأحواله ، قرير العين ، قوي الظهر ، شديد الأزر ، راض عن أفعال الدهر ، أسمع كل يوم بشرى وأحتمل الأيام نعمى ، فإنّ أحوالي فمنها سكة ببقايا نعم الوزير عليّ وأثاره لديّ ، فإن فارقتني أمطاره ، فأكثر عددانها ما نضب، والحمد لله رب العالمين ،وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ... ولكن الأستاذ الوزير بصدد حرب ، وعارض خطب ، والمحارب يحتاج إلى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة وعتاداً والعامة حشوداً وسوداً، وقد شمّرت –سيدي الوزير– ذيل المحارب ، ورفعت رجل الراكب ، وفارقت خراسان عزما ، وإن كنت بها جسماً ، وإذا أورد عليّ له إذن طفرت إلى عسكره طفرة تطوي المراحل ، وتأكل المناهل ، بعد أن حصّلت من

العتاد والعدة والشوكة والشكة ما ينظم شرائط أوس بن حجر الأسدي* ومزرّد بن ضرار التغلبي* . قال أوس "

وإني امرؤ أعددت للموت بعدما رأيت لها ناباً من الشر أعضلا .

وقال مزرّد (وعندي للحرب العوان مهند)هذا غير ما عندي من العدة التي لم يصنعها غير الله صانع ، ولم يبعها غير الأيام بائع .....

إلى أن يقول مفاخراً : فإن أذِن لي الوزير ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة والمكنوف بجوانب الدولة والكرة ، رأي مني بحمد الله تعالى فارساً ملء العين ، كما سمع مني عالماً ملء الإذن ، فيعلم حينئذ أنّ إقباله خرج له تلميذاً انتظم فيه فروسية اللسان وفروسية السيف والسنان ويكرّ في معركة الطعان ، كما يكرّ في معركة البيان ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان . فإن الإقبال ربما التقى طرفاه والكمال ربما اعتدل جانباه والإحسان ربما تكافأت يمناه ويسراه . [1]

وهاهنا نجد الخوارزمي وبرغم أنّه يكاتب وزيراً من الوزراء وأميراً من الأمراء ، إلا أنه يمزج بين ما هو رسمي وما هو شخصي فهو راضٍ عما تحمله له الأخبار من انطلاق (ابن عباد) من نصر إلى نصر ومن ظفر إلى ظفر . ويبثّه أشواقه ولواعج فؤاده ، ثم يبيّن أنّ آثار جوده وأمطار فضله إن انقطعت أحياناً فقد بقيت آثاراً، وإن كان الفراق حاصل ، فالود باقٍ غير زائل.

ثم يردف ذلك ببيان فضله هو- أي الخوارزمي- فيبين علو كعبه في البيان والطعان وأنّه فارسهما معاً ، ويرجو أن يسمح له (الصاحب) بأن يكون معه في حروبه ليثبت اسمه في جريدة الفرسان كما هي مثبتة في جريدة العلماء ، وفي هذا دلالة على شخصية معتدة بنفسها أيّما اعتداد ، ويبيّن إنه قد ارتقى الكمال بجمعه لهاتين المنزلتين " والكمال ربما اعتدل جانبه " إلى غيرها من الإشارات التي تدل على شخص تيّاه بنفسه ، معجب بها حتى الغرور .

---

١ رسائل الخوارزمي:ص ٥٦ .

*مزرّد بن ضرار التغلبي ،اسمه:يزيد،هجا قومه وأضيافه،الشعر والشعراء(١١٥٣١

*أوس بن حجر بن عتاب الاسدي من بني نمير بن تميم(ديوان أوس بن حجر،تحقيق:يوسف نجم،ط بيروت،١٩٦٠

ثم إنه كتب إلى أصدقائه من الأدباء ، وكتب رسائل في أمور عامة ومنها رسالة في " تعهد مسجد "،[1] ورسائله تبين مذهبه : وهي إلى جماعة من شيعة نبيسابور.[2] ثم أنه أرسل كذلك إلى تلاميذه مؤنباً أو رادّاً أو مهنئاً بسلامة الشفاء وذلك عندما أرسل إلى تلميذ له ظهر عليه الجدري. [3]

وهكذا نرى الرسائل التي كتبها أبوبكر تطرق مختلف الموضوعات وتعبّر عن مختلف المشاعر والآراء ، وتبرز لنا كيف طرقت الرسائل موضوعات كان الشعر يختص بها دون النثر ، حيث نرى في هذه الرسائل: " الشكوى والعتاب والتأنيب والاعتذار والشكر والمواساة والتعزية والتهنئة والنصح والإرشاد،[4] إلى غير ذلك من موضوعات أسهب فيها الخوارزمي إسهاباً كبيراً . وإن لم تخل بعض هذه الرسائل من الحشو والتكرار.

---

[1] رسائل الخوارزمي، ص : ١٥٧

[2] نفس المصدر، ص : ١٣٥

[3] المصدر نفسه، ص: ١٥٣

[4] أبو بكر الخوارزمي، حياته وأدبه، ص : ١٧٧

المبحث الثاني

مساجلاته وردوده :-

كانت المناظرات والمساجلات أنواعاً أدبية سائدة في ذالكم العصر وذلك بسبب تعدُّد الفرق والنِّحل فظهر أدباء هم لسان حال تلك الفرق و عنها ينافحون ولأجلها ينافرون.

كان الأدباء يتناظرون ، ليظهر كل فريق علو كعبه وبلاغة منطقه وسرعة بديهته وقوة حجته وكذلك ليحُطَّ من شأن الخصم ويقوِّض أركان أدبه ويفضّ سامر محبيه عنه ويديل دولة معجبيه به .

وهذا تماماً ما حصل مع الخوارزمي ، فقد تملّقه تلميذه بديع الزمان الهمذاني ، وزاره في نيسابور سنة ٣٨٢هـ .[١]

وأبو بكر الخوارزمي آنئذ متربع على عرش الأدب، وقد طبقت شهرته الأفاق، وقد كان بديع الزمان تيّاهاً بنفسه مغمور الذكر، مخبوء الصيت طامحاً إلى تسنم المعالي، وهو رغم حداثة سنه وغضاضة شبابه ، إلا أنّه أراد مناطحة الخوارزمي ومصادمته ليسلبه عرشه ويستولى على ملكه ويحتل الزعامة بمفرده .[٢]

ثم كان منه أن تظاهر عنده بالإرتياح ، وأظهر الود والتبجيل والتعظيم، وأبطن البغض والتنقيص والاحتيال، بل وصل به الأمر أن أنشده أبياتاً فيها مشاعر كاذبة ولواعج خادعة فكتب فيه يقول :

أنا لقرب الأستاذ – أطال الله بقائه –*(كما طرب النشوان مالت به الخمر)

ومن الارتياح للقائه * (كما انتفض العصفور بلله القطر)

ومن الامتزاج بولائه * (كما اهتزّ تحت البارح[٣] الغصن الرطب)[٤]

وشكا إلى أبي بكر سوء حاله ، ثم ادَّعى فيما بعد أنّ أبابكر أساء لقاءه ولم يعره اهتمامه ، ولعل هذا يؤكِّد ما ذهب إليه الباحث بأنّه كان يتظاهر بالود ويضمر الشر والبغض .

---

[١] ظهر الإسلام ، أحمد أمين، ج١، ص: ١٣٢ وما بعدها

[٢] رسائل بديع الزمان، ص : ٥٩

[٣] البارح : الريح الحازه صيفًا

[٤] يتيمية الدهر– ج٤، ص: ٢٢٣

وأغلب الظن أنّ هذه مهاترات ينفذ بها بديع الزمان إلى إثارة النزاع [١].

وليس هناك سبب يدعو الباحث إلى تصديق هذا الزعم ، ولم يكن هناك سبب مقنع يدعو الخوارزمي إلى إساءة استقبال (بديع الزمان) وليس هناك ثمَّة نزاع ولا خصام سابق بينهما .

إلا أنَّه –كما ذكرنا– تحيُّن الفرص ، وتصيُّد الأخطاء والهفوات والزلل .

ورغم ذلك أجابه الخوارزمي برسالة طويلة خاطبه فيها ياسيدي ،ونفى التهم عن نفسه، وأكّد له أنّه وفّاه حقّه كلامًا وقياماً وأشاد به وبقومه ، وفي نفس الوقت حذّره بأنّ معاملته له تلك القاسية تجعله ينصرف عنه ويعرض منه وفي مطلع الرسالة يقول الخوارزمي :

إنك إن كلفتني ما لم أطق *** ساءك ما سرَّك مني من خلق [٢]

وكأنَّ (الخوارزمي) قد أحسَّ وفطن إلى أنَّ (الهمذاني) يريد التحرش به وايقاعه في شركه ، فآثر السلامة بعدم الدخول في متاهات يعرف الخوارزمي أنّه الخاسر فيها وذلك لكبر سنه وحداثة سن الهمذاني وهو – أي الهمذاني– قد عرف بحدّة الذكاء وسرعة البديهة وقوة الحافظة[٣].

ولكنّ الخوارزمي مع ذلك يُظهر القوة في نفس الوقت حتى لا يسدر الهمذاني في غيِّه ويتمادى في تمرده ومكره .

وردَّ بديع الزمان برسالة يظهر فيها الود ولكنه يحفر حفرة للصدام والنزاع ، الذي كان هدفه الأساس من التحرش بالخوارزمي علَّه يظفر منه بهنَّة أو ذَلَّة فيكون سبباً في الإيقاع به ، ولعل ذلك يبيِّن لنا مدى جرأة بديع الزمان وشدّة لجاجته ومقدار ما يحمله من بغض للخوارزمي لسبب غير معروف !..

ثم يداري (بديع الزمان)(الخوارزمي)ولكن – إلى حين – حتى يظفر منه بغرضه ، فيطلب من الخوارزمي أن يزور كما يزار وإلا فهو متكبر متعالٍ[٤].

---

[١] أبوبكر الخوارزمي – حياته وأدبه ، ص ١٩٧.

[٢] معجم الادباء ، لياقوت الحموي ، تحقيق د/ إحسان عبد الحي ، ط دار الغرب ، ص ٢٥٤.

[٣] يتيمة الدهر،ج ٤ ، ص ١٥٥.

[٤] معجم الأدباء –١ / ٢٥٤.

وجاء رد الخوارزمي يحمل اللطف واللين : " كانَّ الخوارزمي يقابل عتبه- أي عتب بديع الزمان – بأرقّ من النسيم في بعض الأحيان ، وربما راجعه فذكر إلى أنّ عتابه قبيح ولكنه حسن ، وكلامه ليِّن لكنه خَشِن، أما قبحه: فلأنَّه عاتب بريئاً، ونسب إلى الإساءة من لم يكن مسيئاً، وأما حسنه فلألفاظه الغرر ومعانيه التي هي كالدر ، فهي كالدنيا ظاهرها يغر وباطنها يضر ، كالمرعى على دمن الثرى ، منظره بهي ، ومخبره وبي وربما أنشده :

يا بديع القول حاشا *** لك من هجو بديع

ويحسن القول عوّذ *** تك من سوء الصنيع

لا يعب بعضك بعضاً *** كن مليحاً في الجميع [1]

وقد زعم بعض الكتّاب أن السبب الرئيس لهذه الجفوة والتلاحي هو : دسيسة بعض الرؤساء المستوحشين منه ، والراغبين في إسقاطه [2] وإن كان الباحث يشك في أنّ هذا هو السبب الرئيس لهذه المناظرة ، ذلك أنَّ التنافس الأدبي ، والرغبة في قيادة الجماهير واستمطار النوال والعطايا من لدن الامراء والوزراء؛ خصوصاً إذا علمنا معالجة الكاتبين الفقر والحرمان ، وخوفهما من تقلّب الزمان[3].

ثم كانت المحاولة الثانية للنيل من الخوارزمي ،وفض سامر القوم عنه ، فكانت المكيدة هذه المرة في العزف على وتر المعتقدات ذلكم الوتر الحسّاس عند طائفة من الناس وكان النزال هذه المرة في حلبة التشيُّع ، الذي كان المذهب السائد في هذا المجتمع آنئذٍ ، فاستغل كلاهما هذه السانحة وصارا يكيلان التُّهم تلو التُّهم ، كلٌ يزعم أنَّ صاحبه يبغض الشِّيعة ويترضّى عمن غصبوهم حقوقهم – على حد زعمهم – من بني أمية .

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع – ج ٢ – د. ذكي مبارك ، ص ٣٢٢ .

[2] المصدر السابق – ص ٣٢١ (نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ١٠٤).

[3] رسائل الخوارزمي ، ص ١٠٣ .

وأبعد الخوارزمي النجعة حين نظم أبياتاً نسبها إلى بديع الزمان يشيد ببني أمية ويُفضّلهم على الشيعة ولا يخفى الغرض الخبيث من وراء هذا الزعم – وفيها يقول الخوارزمي على لسان بديع الزمان :

إمامي لا يعادله إمامُ *** تواضع تحت رايته الأنامُ

يزيد الخير والسامي أبوه*** أقاما الخلق طُرًّا فاستقاموا

فمن يك لائمي في حبِّ رهطي *** فإنِّي في ولائي لا أُلامُ

من يفخر بآل أبي ترابٍ *** فآلي من أميةَ والسلامُ[1]

ثم ما يلبث الأمر أن يصل إلى بديع الزمان خبرها ، حتى يرد عليها بقصيدة طويلة يعلن فيها براءته من تلك التهمة الشنيعة التي رماه الخوارزمي بها ، ويعلنها في مطلع هذه القصيدة قائلاً :

يقولون لي : لا تحب الوصي *** فقلت : الثرى بفم الكاذبِ

أحب النبي وآل النبي *** وأختصُّ آلَ أبا طالبِ[2]

فالسبب الرئيس – كما يرى الباحث – هو هذه التهمة الصفيقة والسبة الفظيعة في مجتمع يكنُّ لعلي وآل علي مشاعر تصل أحياناً حد التقديس .

وكلا الكاتبين فطن لهذه العاطفة فاستغلها أبشع استغلال ، وهذا يدلل لنا على ما ذهبنا اليه سابقاً من أنَّ تشيُّع الخوارزمي لم يكن سوى سياسة بل ادعاء ومسايرة للعصر والمصر .

المناظرة بين بديع الزمان والخوارزمي :

ذكر الباحث طرفاً عن منشأ النزاع هذا في سابق الحديث ، وبين السبب الأساس في تلاحق أحداثه وتتابعها على نحو ما ذكرنا آنفاً .

وقد تضافرت عدة أحداث بين القطبين الشهيرين آنئذ، وتداعت فصولها، ويبدو أنّهما لم يكونا سوى مدفوعين دفعاً لعقد هذه المناظرة ، ذلك أن الأغراض لعبت دوراً وبالذات عندما ينقسم الناس بين الفريقين ، فيحدث ذلك أثراً فعَّالاً في شحذ همة كلا الفريقين للفوز على خصمه بالضربة القاضية وهي هنا إلجام حجة الخصم ، وبيان عواره وضآلة تفكيره .

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع، ٣٢٢/٢

[2] ديوان بديع الزمان الهمزاني ، ص ٧٧ ، مطبعة الموسوعات .

غير أنّ هذه المعركة يبدو أنها لن تكون في صالح أديبنا الخوارزمي – على ما يبدو فخصمه (بديع الزمان) في عنفوان الشباب ، حيث أنّه لم يبلغ (الخامسة والعشرين) أو يزيد و قد أوتي من سرعة البديهة وقوة الحافظة والقدرة على التصرُّف في فتون القول ما لم يطرقه أحد غيره .

أما أديبنا الخوارزمي فهو في خريف العمر وعلى عتبات الشيخوخة ولا يخفى أنّ الغالب في هذه السن الضعف ؛ وهو مع ذلك ليس له معجبين كثر بسبب هجائه وقلة وفائه .

إذاً فكل قرائن الأحوال تدل على أن هذه المعركة لن تكون في صالح أديبنا الخوارزمي ، إلاَّ أنّها المكابرة وعدم الاستسلام للسقوط من أول وهلة .

وقد سعى كبراء نيسابور للجمع بين الخوارزمي وبديع الزمان وقد حدَّدوا موعداً لهذا الاجتماع ، وكأنّ البديع كان يتحرّق شوقاً لهذه اللحظات – فكان سبّاقاً لتلبية هذا الموعد لأنه يعلم أن الفرصة واتته ليبرز لخصمه اللدود ومن ثَمَّ عامة الناس " أي أديب هو !.

وحدِّد المكان وهو : دار الشيخ (أبي القاسم المستوفي) وقد حضر هذا اليوم المجموع له الناس ، وعلى رأسهم : مشهد من القضاة والفقهاء والأشراف وغيرهم من سائر الناس .

وبدأت هذه المناظرة بتحدٍ من جانب بديع الزمان لخصمه اللدود الخوارزمي وابتدره قائلاً : (فهلمَّ إلى الأدب ننفق يومنا عليه وإلى الجدل نتجاذب طرفيه ، فاسمع خيراً وأسمعنا مثله ، ونبدأ بالفن الذي ملكت به زمانك (...) وأفحمت به الرجال حتى أذعن العالم وقلّد الجاهل (....) فقال : ما هو ؟ قلت : الحفظ إن شئت والنظم إن أردت ، النثر إن اخترت والبديهة إن نشطت فهذه أبوابك إلى أنت فيها ابن دعواك تملأ منها فاك [1]

ويروي البديع أنّ الخوارزمي أحجم عن الحفظ وتنكَّب عن النثر ، واختار ذلك فوافقه عليه [2].

---

[1] يتيمة الدهر – ج٤ – ص ١٦٧-١٦٨ .

[2] كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان – الشيخ / إبراهيم أفندي الطرابلسي، دار التراث بيروت – ص ٢٨ وما بعده.

فالتفت الخوارزمي إلى صاحب الدار ومضيف المتناظرين وهو رجل علم وأدب : (فمال إلى السيد أبي الحسين يسأله بيتاً ليجيز ، فقال البديع : يا هذا أنا أكفيك . ثم تناول جزءاً فيه أشعاره ، وقال لمن حضر: هذا شعر أبي بكر (...) وهو ثلاثون بيتاً وسأقرِن كل بين بوفقه ، وأنظم كل معنى إلى لفقه ، بحيث أصيب أغراضه ولا أعيد لفظه ، وشريطتي ألا أقطع النفس[1].

ثم يطلب إلى الجمهور أن يحكم حكماً ناقداً لتمييز قوله من قول أبي بكر : فإن تهيأ لواحد ، وأمكن لناقد ، ممن حضر ، يريد النظر أن يميِّز قوله من قولي ، ويحكم على البيت إنه له أولى ، أو يرجح ما نظمه بنار الرؤيَّة ، على ما أمليته على لسان النفس ، فله يد السبق ، أو يكون غيرها فإعفاء عن هذه المقاومة ، وينحي لنا عن أرض المماثلة[2].

فالحكم إذاً في هذه المناظرة ، حكم متخصص وليس حكم عامة الجمهور ، هذا ما يطلبه البديع في هذا الجزء من المناظرة ، فالتمييز بين نص شعري وآخر، ليس سوى شأن المتخصصين فليس هو شأن للعامة كل يدلي فيه بدلوه .

غير إننا نجد الخوارزمي يعارض البديع فيما ذهب إليه ، فالمناظرة سبق وقوعها زمن تهيأ الطرفان فيه : فقال أبوبكر : ما الذي يؤمِنّا من أن تكون نظمت من قبل ما تريد إنشاده ؟ [3] فيجيبه البديع : (أقترح لكل بيت قافية لا أسوقه إلا إليها ، ولا أقف به إلا عليها ، ومثال ذلك : أن تقول : (حشر) ، ثم (عشر) ، فأنظم بيتاً قافيته عشر ، وهلم جرا .... وتستقر الحجة وتستقل الشبهة وتتطرد فيعرف الحالي من العاطل ، ويفرق بين الحق والباطل).

غير أن الخوارزمي يعارض هذه أيضاً ... وتستمر المناظرة على هذا المنوال ، ونلاحظ أن الخوارزمي في هذه المناظرة ، يقف موقف المدافع دائماً ، ولا يبدأ هو بالهجوم البتة ، ويقنع فقط بالاعتراض .

ومن ذلك إنه عندما اقترح أحد الحاضرين أبياتاً على مثال قول أبي الشيص :

أبقى الزمان به ندوب عضاض *** ورمى سواد قرونه ببياض

---

[1] رسائل البديع – ص ٤٢ .

[2] نفس المصدر والصفحة .

*أبوالشّيص:أبوجعفر محمد بن عبدالله بن رزين بن سليمان الخزاعي،ابن عم دعبل بن علي الشاعر، ت١٩٦ ه،(تاريخ بغداد١٥\٤٠١-٤٠٢)

وهنا تبدأ موجه من النقد الأدبي والنقد الفني[١]. فيقول الخوارزمي ستة أبيات نسجها على منوال قول أبي الشّيص* إبتدأها بقوله :

يا قاضياً ما مثله من قاض *** انا بالذي تقضي علينا راضي

وهو بهذا يخاطب كبيرة الحكماء في هذه المناظرة ، أبو عمر البسطامي ، ويختم الخوارزمي أبياته بالقول :

فلأغلبنّ بديهة ببديهتي *** ولأرمينَّ سواده ببياض [٢]

وينتقل المتناظران إلى الترسُّل ، ويقول بديع الزمان : " اقترح على غاية ما في طوقك ، ونهاية ما في وسعك واختر ما تبلغه بذرعك . حتى أقترح عليك أربعمائة صنف في الترسُّل ...". [٣]

ويحاول البديع أن يظهر كفايته في صنعة الكتابة ، ويُبرز عضلاته أمام خصمه والجمهور ، وكأنه أوحد زمانه في هذا الفن لا يدانيه أحد في هذا الميدان، وما علم أنَّ أديبنا الخوارزمي كان أيضًا متصنّعًا مجيدًا في هذا الفنِّ بقوله : " ... مثال ذلك أن أقول لك : أكتب كتاباً يقرأ منه جوابه . هل يمكنك أن تكتب ؟ أو أقول لك : أكتب كتاباً على المعنى الذي أقترح لك ، وأنظم شعراً في المعنى الذي أقترح وأفرغ منهما فراغاً واحداً ، هل كنت تمد له ساعداً ؟ أو اقول لك : أكتب كتاباً في المعنى الذي أقول . وأنشد من القصائد ما أريد من غير تثاقل ولا تغافل ، حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله ، وانتظمت معانيه إذا قرئ من أسفله ،من كنت تفوق لهذا الغرض سهماً أو تجيل قدحاً ، أو تصيب نجحاً ؟ "[٤].

ويستمر بديع الزمان في عرض أفانين من ترسله لا يجيدها إلا هو ويرد الخوارزمي : هذه الأبواب شعبذة ويكتب بديع الزمان كتاباً من أوله ومن آخره إلى أوله[٥].

---

[١] رسائل للبديع ، ص ٣٤ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٦٨ .

[٣] المصدر السابق، ص : ٣٦

[٤] رسائل الخوارزمي، ص ٣٨ .

[٥] أبو بكر الخزارزمي، حياته وأدبه، ص : ٢٠٣

ومثال ذلك ما قاله البديع ووصفه الخوارزمي بالشعبذة ، أنَّ البديع أنشأ قائلاً : " الله شاء أنَّ المحاضر صدور بها وتملأ المنابر " [1] فهي تقرأ معكوسه هكذا : المنابر وتملأ بها صدور المحاضر إن شاء الله .

فمن حق الخوارزمي أن يطلق على هذا النمط من الكتابة شعبذة ، غير أنَّ هذا لا يقدح في المقدرة الخاصة لبديع الزمان ، فهو يرسم كلماته رسماً وينحت جمله نحتاً ، ولا شك أنّ هذا لا يقف عند حدود التذويق اللفظي ، الذي عرفته الكتابة في العصر العباسي ، وإنَّما يتعداه إلى مهارة خاصة لا تتفق لكل كاتب ، وهي مهارة يرفع شأنها ذوق العصر[2].

ثم ينتقلان إلى المناظرة في اللغة وهي تعدُّ تخصُّصًا دقيقاً للخوارزمي – إن جاز التعبير فقد اشتهر بها وذاع صيته ، فأراد البديع الإجهاز على مناظره في هذا العلم ليكون وقعه عليه أكبر ، لتكون قاصمة ظهره فيه وهو من هو في هذا المجال ! فقال : " يا أبا بكر : هذه اللغة التي هدّدتنا بها وحدَّثتنا عنها، وهذه كتبها، وتلك مؤلفاتها، فخذ "المصنَّف" إن شئت، و(إصلاح المنطق) إن أردت، وألفاظ "ابن السِّكيت" * و(مجمل اللغة). إن اخترت فهو الف ورقة و(أدب الكاتب) إن أردت وأقترح عليّ أي باب شئت من هذه الكتب ، حتى أجعه لك نقداً وأسرده عليك سرداً [3].

يقول د. رحيم جبر " وفي هذا يحاول البديع حرمان مناظره من علمه المتين وسنده الأمين في المناظرة ، بان يجعله سائلاً ، بعد أن حدّد له منافذ السؤال، ليظهر في الجواب علم البديع فيما ذكر من كتب. فقال الخوارزمي : "إقرأ من غريب المصنف : رجل ماس " كفيف على مثال مال وما أمساه "[4].

---

[1]. رسائل البديع – ص: ٧٨

[2] المناظرات اللغوية في الحضارة العربية الإسلامية – د. رحيم جبر أحمد الحسناوي –ط دار أسامة – ص ١٩٣ .

*العروض:هو ميزان الشعر،به يعرف مكسوره من موزونه.الاقناع في العروض وتخريج القوافي ،د/أحمد عبدالمجيد،ط١ ،ص٣

[4] رسائل البديع – ص ٧٩ .

فيجيبه البديع على ما طلب .... ويأتي على الباب ثم الذي يليه فيقول الجمهور : كفى ذلك . [1]

وقد خطط البديع للإيقاع بالخوارزمي ، فما كانت الخيارات إلا ما ردَّده بين يديه من كتب لا يحيد عنها أبداً[2].

وقد غابت عن ذهن الخوارزمي بعض هذه الكتب وأدى به ذلك إلى الانقطاع عن خصمه وهذا ما كان يرمي إليه البديع .

وهذا ما رواه البديع نفسه قائلاً : " فوقف حماره وخمدت ناره، وقال الناس اللغة مسلَّمة لك أيضاً[3].

وكان أن ضيّق الخناق على الخوارزمي ، وصار الخوارزمي في موقف لا يحسد عليه .

ثم تباريا في العروض* فقال البديع : يأ أبا بكر هات العروض ، فهو أحد أبواب الأدب وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزحافها ، فقلت : هات الآن فأسرده كما سردته فلما برد ضجر الناس وقاموا عن المجلس ... وقام أبوبكر فغشي عليه[4].

وبعد ما ظفر البديع ما كان يؤمّله من تبكيته للخوارزمي والفوز عليه بالضربة القاضية، قام وقال :

يعزُّ على في الميدان أنِّي *** قتلت مناسبي جلداً وقهراً

ولكن رمت شيئاً لم يرمه *** سواك فلم أطق يا ليثُ صبراً *

وقبّل عينيه ومسح وجهه وقال : " أشهد أن الغابة له ، فهلا يا أبا بكر جئنا من باب الخلطة، وفي باب العشرة "[5]. ويروي البديع أنّ الملاحاة كانت على المائدة، فابتدره البديع بقوله : " يا أبا بكر بقيت لك مُنَّة وفيك مُسكة". [1]

---

[1] رسال البديع، ص : ٨٩-٩٠.

[2] رسائل البديع – ص ٧٨ .

[3] رسائل البديع – ص ٨٠.

[4] رسائل البديع – ص ٨٠.

* الأبيات لبشر بن المعتمر (الرسائل ص ٨٠).

[5] رسائل البديع – ص ٨٠ .

وبذلك نال البديع النصر على الخوارزمي وأفحمه أمام الجمهور بل وأرغم أنفه التراب حتى غشي على الخوارزمي من هول الصدمة .

ولا يميل الباحث إلى التسليم بهذه النتيجة وبالذات إذا علمنا أن هذه المناظرة قد نقلها لنا البديع في رسائله وبإملائه ولم نجد في رسائل الخوارزمي ما يشير اليها من قريب أو بعيد .

مما يجعل الباحث يشك في هذه النتيجة وخصوصاً إن المناظرة لا تخلو من هوًى وافتخار مبالغ فيهما من قبل البديع .

وإذا ألقينا على هذه المناظرة نظرة تفصيلية وجدناها تحمل لنا صورًا حيَّة عن هذا المجتمع الذي عاش فيه الاديبان وكذلك ما تحويه من اقتباسات وصور وصناعة تميَّزت بها هذه الأعصر عن غيرها .

كما أننا نجد قليلاً من الاستطراد في أسلوب المناظرة ، كما نلحظ ألفاظاً غريبة وجملاً يلفها شيء من الغموض حرصاً على إظهار المقدرة وامتلاك ناصية البيان عند كليهما، واكتساب أسلوبهما شي من المهابة والجلال ، كيف لا وهما من أكبر كتّاب عصرهما .

وهكذا طويت صفحة ظهرت فيها روح البديع الذي داخل نصوص المناظرات أكسبها قيمة أدبية ، فهي في جملتها نص أدبي رفيع المستوى جيَّد الحبكة والصنعة ، رغم النهاية المحزنة لأديبنا الخوارزمي .

١

المبحث الثالث

كلمات له تجري مجري الأمثال :

قبل أن نتطرق إلى موضوعات الأمثال التي بثَّها في رسائله وجاءت على صورة سهلة ، وبيان أخَّاذ يأخذ بمجامع القلوب وينمي عن عقل راجح متفتح عرك الحياة وعركته وخبرها وخبرته .

ولنا أن نتساءل ها هنا . هل كان نطق الخوارزمي بهذه الأمثال في ثوب الحكمة ترجماناً لفلسفة خاصة في الحياة ؟ ام أنها لا تتعدى أن تكون كلمات عفوية نطق بها الخوارزمي في لحظات صدق مع نفسه ، وأراد أن يجعلها ذخراً لمن يأتي بعده ؟

تعالوا بنا نستمع إلى د. زكي مبارك ، وهو يسبر أعماق هذه النفسية الغربية ، ويغوص فيها ، ليخرج لنا مكنوناته يقول : " الظاهر ان فهم الخوارزمي للحياة كان واقفاً عند حدود أغراضه ومآربه الشخصية . وكان منه وقفاً على حسن السفارة بينه وبين أولى الأمر من معاصريه ... فإنه لم يهب شطراً من منثوره في الدفاع عن فكرة فلسفية ، أو نزعة وجدانية ، ولم يرفع الأدب إلى أفق من آفاق الحب والمجد والإخلاص ، ولم يسْمُ به إلى سماء من سماوات الفن الخالص الذي ينسينا آصار المادة وينقلنا إلى عالم الأرواح[1].

إذا فالخوارزمي لم يكن لديه استعداد قيمي أو نفسي ينطق بفلسفة معينة ينافح عنها ويسوق براهينه وحججه في سبيل نشرها والدعوة إليها .

وأديب هذا حاله لا ننتظر منه أن ينتج إنتاجاً أدبيًّا صادقاً معبَّراً عما يجيش في وجدانه من مرهف الأحاسيس وصادق التعابير، فهو يكتب إن وجد في كتابته منفعة دنيوية عاجلة غير آجلة، ويكتب إن أراد هجاء شخص لم يقدِّم له ما يليق بمكانته كأديب أريب ، بل حتى إن ناله ولكنه انقطع لأيّ سبب من الأسباب ، يطير هجاء وشتمًا ناله بسهامه وانقطع عن وصله بما يره أنه أهل له كأن لم تكن بينه وبينه مودة ، كما فعل بالصاحب وغيره .

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع –د. ذكي مبارك ، ص ٣٣٥ .

غير إننا نجد في أدب الخوارزمي بعض الامثال التي ليست بالضرورة أن تكون قد أصابت كبد الحقيقة ، بل هي انعكاس طبيعي لشخصيته وميوله ونظرته الخاصَّة إلى الحياة والأحياء .

وللنظر إليه في أمثاله هذه التي ضمنها رسائله ، وقد استخرجها تلميذه أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري من رسائله[1]. وعقد لها عنوان باسم " كلمات له تجري مجرى الأمثال".

يقول : " الشكر على قدر الإحسان ، والسلع بإزاء الاثمان"، ولا يخفي على الناظر إلى هذا المثل نظرته المادية الصرفة للحياة فكما تُقدِّم من بر وصلة وإحسان تنل مقابله من شكر وتقدير لا يزيد ولا ينقص .

وإذا كان هذا الحال ، فالثمن يوافي السلعة، ولا يزيد في قيمة السلعة شيء ما دامت قد استوفت نصيبها من الثمن .

وقد طبّق الخوارزمي هذا المثل في حياته كلها ، فمادام الوزير أو الأمير أو الصديق على وده ويبذل ماله ، يقابله الخوارزمي بما يوافي نواله فقط ويا ويله إن قصر أو انقطع لأيّ سبب ، فلا يجد من الخوارزمي سوى الصدُّ والشتم والهجاء .

ثم يقول : " النفس مائلة إلى أشكالها ، والطير واقعة على أمثالها " وهو هنا جاء بمثل معروف وهو : " الطيور على أشكالها تقع " .

" والعشرة مجاملة لا معاملة ، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف ، ولا تحتمل الحساب والصرف "[2].

ولا تخفى هذه النظرة السوداوية للناس ، فهو يري العُشرة والمودة مجرّد قشور ومجاملة لا تغني شيئاً وتكفيه المجاملة ليكون قد أوفاها حقها ، وهي بالتالي لا يستطيع الإنسان من خلالها الإلمام بشخصية من يجامله وهو إذا جامل فلا ينبغي أن يحاسب فيما ينفق عليه فهو أهل للصرف ما دام مقيماً على مجاملته التي تكلِّفه الشيء الكثير .

---

[1] يتيمة الدهر– ج٤ – ص ٢٢٣ وما بعدها .

[2] نفس المصدر السابق والصفحة .

وهو يقول مفلسفاً الغضب : " الغضب ينسي الحرمان ، ويدفن الحسنات ، ويخلق للبريء جنايات ، المدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم ، الدهر غريم ربما يفي بما يعد ، والزمان حبلى ربما يتئم فيما يلد "[1].

وهو هنا يذكر مسالب الغضب ولكنه لا يشعرنا بأنَّ الغضب مذموم لذاته ، بل لكأنَّه يطلب ألا يُعاب إذا غضب ، فهو معذور غير مأذور .

ثم يمضي ويبرهن لنا عن نفعيته فيقول : " الإنسان بالإحسان والإحسان بالسلطان والسلطان بالزمان والزمان بالإمكان والإمكان على قدر المكان ، الدنيا عروس كثيرة الخُطَّاب والملك سلعة كثيرة الطُلَّاب"[2].

فهو ينقلب من مكان إلى مكان ومن سلطان إلى سلطان وابتغاء الملك والمال ، فلا غرو في ذلك فالدنيا كثير طلابها وكذا الملك .

ثم يمضي ويصطنع العِفّة والغيرة على الأعراض فيقول :" إنَّما النساء لحم على وضم،* وصيد في غير حرم إلا أن يلاحظن بعين غيور ، ونفس يقظ حذور[3].

فينبغي ألا تترك النساء عبثًا ، فلابد من أعين الرقباء والغيورين عن أن لا تنتهك أعراضهن.

ثم يمضي في نثر درر من أمثاله في ثوب الحكمة فيقول : " ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الصالح[4].

فهل يا ترى نال هو ثمرة أدبه وعلمه !؟ لا يبدو كذلك أنّ أدبه أورثه عقلاً راجحًا وعملاً صالحًا ، بل إنه انتقم لنفسه من أحب مجبيه ، وكان عمله معهم هجاءاً مُرّاً وهجراناً مقيتًا .

ثم يمضي فيصف ما عاناه ما آلام –كما يتصورها هو – ولم يجد من يكفكفها عليه ولا من يزيلها عنه يقول : " أوجع الضرب ما لا يمكن معه البكاء وأشد البلوى ما لا يخفِّفه الاشتكاء "[1].

---

[1] المصدر السابق والصفحة .

[2] يتيمة الدهر – ج٤ – ص ٢٢٥ .

* الوضم : خشبة الجزاء التي يقطع عليها اللحم .

[3] المصدر السابق – نفس الصفحة .

[4] المصدر السابق – ص ٢٢٦ .

ثم يصوغ أمثالاً قصاراً ، ذات معانٍ واضحة تمثل حقاً ، وتصوّر واقعاً يقول : " للمحن والمنح أعمار وآجال " فالمحنة والمصيبة لا تزول وتفنى وتبيد ثم تعود، كما إن المنحة لا تدوم أيضاً ، فالسراء والضراء لا تدوم وكأنه يشير إلى قوله تعالى : " إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا ،إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا "[٢].

ثم يبيّن أنّ الزمان مدرسة لا تدانيها مدرسة : " لم أر معلماً أحسن تعليماً من الزمان ، ولا متعلماً أحسن من إنسان "[٣].

ثم يمضى قائلاً : " بئس الشفيع الحرمان ، وبئس الرفيق الخذلان لا صيد أعظم من إنسان ... ، في كتمان الداء عدم الدواء ، وفي عدم الدواء عدم الشفاء "[٤].

ومثله : " من لم ينه أخاه فقد أغراه، ومن لم يداو عليله فقد أدواه "، ثم يمضي في أمثاله فيقول : " نعم جُنَّة المرء من سهام دهره ، نزوله عند قدره ، ونعم السلم إلى الأرزاق طلبها عن طريق الاستحقاق "[٥].

فالمرء وقايته أن يعرف قدر نفسه فينزلها منزلتها ، اما إذا أراد الرزق فلابد أن يعمل ويكد في سبيله تحصيله ، لا أن يتكل على الآخرين.

وفي كل هذه الأمثال نلمس نفسية الخوارزمي المتقلبة التي لا تثبت على حال ولا تقر على مآل ، فأحياناً هو : الطامع النفعي الذي لا همَّ له سوى تحصيل مآربه ومطالبه التي لا تقف عند حد، وأحياناً أخر هو الناصح الامين ، وحكيم زمانه ، الذي عالج الحياة بحلوها ومُرِها فأنتج ذلك أمثالاً كالدرر بعد ما تكلَّم أمثال الذر، ناطقاً عن نظرة متشائمة ، شاكّاً في كل من حوله .

وهكذا كان الخوارزمي في آثاره من أمثال سار بها الركبان قلَّما تجد فيها تعبيراً صادقاً او ثباتاً على مبدإٍ واحدٍ ورؤية حقيقية في النظر لعواقب الأمور، وأخذ العبر من الزمان فما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار.

---

[٢] سورة الشرح – الأيات (٥-٦).

[٣] اليتيمة – ج٤ – ص ٢٢٧ .

[٤] المصدر السابق – ص ٢٢٧ .

[٥] المصدر السابق والصفحة نفسها

الفصل الخامس

شعر الخوارزمي

مدخل الفصل (شعر الخوارزمي)

المبحث الأول: المديح

المبحث الثاني: الغزل والنسيب

المبحث الثالث: الرثاء

المبحث الرابع: الهجاء

المبحث الخامس: الوصف

مدخل الفصل

شعر الخوارزمي

طرق الخوارزمي كل الأغراض التي تناولها الشّعراء قبله ، فمن الغزل والنّسيب إلي الرِّثاء ثم المدح والهجاء والوصف .

غير أننا لا نستطيع أن نزعم أنّه أوفى كل غرضٍ من الأغراضِ المطروقةِ ؛ ذلك أنّ الخوارزمي لم يرد أن يُعاب بالتقصير في أي غرضٍ من تلك الأغراضِ أو تكون مسبة ؛ انّه تناول غرضاً ما واغفل أغراضاً أُخر .

فما كان من الخوارزمي إلاّ أن جارى أدباء عصره ، وتناول ما تناولوه و أبعد النّجعة حتى في ألوان لا ينبغي لمثل الخوارزمي أن يخوض فيها و خصوصاً وهو يدّعي الالتزام بالتّشيّع لآل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فما كان يدع مجالاً يستطيع أن يخوضه إلاّ خاضه . وإنّ الباحثَ ليعجبَ كيف يطرق الخوارزمي مجال التغزُّل بالمذكر بل والتماجن به وهو من هو في تدينه المزعوم ، وتشيّعه المنتحل ، ولا يقولنَّ قائل : إنّ العصر والمجتمع والبيئة كانت تفرض عليه هذا التبذُّل والانحلال . فإن كان الخوارزمي ذا عقيدة وورع صادق لما أقدم على هذا الضّرب من التّغني بالرذائل والمجاراة بالقبائح . ثم يذكر الباحث غرضاً أكثرَ منه الخوارزمي بسبب ما يعانيه من ندمائه وأصدقائه ، وما يتبع ذلك من سرعة انقلابه عمّن يصادقه وسوء فعاله ، مع من تحول عنه .

ولم يكن الخوارزمي يهجو كما كان سلفه ؛ بل كان هجائه غاية في القبح وآية في الفحش وقد جاء هجائه مستوفيا لشروط النظم ، مسبوكا في قوالب من الهجاء المقذع الذي تجاوز كل الخطوط الحمراء هذا ان كان للخوارزمي تلك الخطوط الحمراء .

أما عن غرض كالمدح فإننا نلمس فيه تكلُّفاً وتصنُّعاً واضحين ابتدءاً ، ثم يصير الأمر بسرعة فائقة إلي الذم والقدح – كأن لم تكن بينه وبينهم

مودة – وهذا التّكلّف يصل أحياناً حد المبالغة وربما الملق والنّفاق رغبة في استمطار سحب النّوال ، ولا بأس من إراقة ماء المُحيّا وبذل المنزلة في سبيله.

أمّا عن الوصف فهو وصف بسيط في مجمله ، لا تجد فيه براعة ولا طرافة تأخذ بمجامع القلوب والأسماع ، وحتى وهو يجسد المعنوي نجده يستخدم معانٍ مألوفةٍ وعباراتٍ معروفةٍ لا تنم عن ذوقٍ رفيع ولا إحساس شفيف .

علي كلٍ فإنّ الموجود والمعروف من شعر الخوارزمي الذي وصل إلينا لا يداني نثره المبثوث في رسائله والمحفوظ في أُمهاتِ الكتبِ .

المبحث الأول

المديح

ذكر الباحث آنفاً أنّ الخوارزمي كان من الأدباء الذين يتكسبون بأدبهم ، فلا غرو أن يكون مدحه دائراً في فلك العطايا مائلاً معها أينما مالت .

فقد أكثر الخوارزمي من هذا النوع إكثاراً شديداً وهو بذلك قد رهن قلمه وبيانه لمن يدفع أكثر فلذلك تجده ينتقل من حالٍ إلى حال، ومن حلٍ إلي ترحال، جرياً وراء النّوال .

ومما شجّعه علي هذا أن الأمراء والرُؤساء كانوا يعرفونه بوصلهم علي أن يصلوه ببرهم ونوالهم .

وكان ربما صرّح لممدوحه بأنّه قد أغناه بعدما ذاق مرارات الفقر والعوز والحرمان وذلك في معرض مدحه لآلِ ميكال.

إنّ ابن ميكال الأمير انتاشني ** من بعد ما قد كنت كالشيء اللُّقا [1]

وخصّ من آلِ ميكال بالمدح أبو نصر الميكالي[2] ، وقد كان أحبّ إنسان إلي قلب الخوارزمي[3]. فقد صادقه وأحبّه ومدحه وأفاض في مدحه ، وتتعدد المواقف التي أشاد فيها به ، وظلّ أبو نصر يفيض عليه من عطاياه ، ويجزل له المال ، ويعرف كيف ينال مدح الخوارزمي وهو – أي الخوارزمي – يبذل له المديح بذلاً ، ويطير بمدحه في الآفاق .

وفي أبيات أُخر نراه يفضّل أبا نصر علي النّاس جميعاً ، و يجعله نسيجَ وحدهُ .

ويدّلل علي ذلك بكونه فرداً منهم ؛ فاللآلئ تخرجُ من الماء ، والزمرُّد يجاور الحجارة في الأرضِ . يقول [من الوافر]

---

[1] ظهر الإسلام – احمد أمين ج١ ،ص ٢٧٦

[2] أبو نصر احمد بن على الميكالي ، من أعظم ملوك الدولة السامانية ، وفيات الأعيان(٣٣/٤) .

[3] يتيمة الدهر – ج٤ ، ص ٢٢٦

فديتك ما بدا لي قصد حرٍ ** سواك من الورى إلا بدا لي
وإنّك منهمُ وكذاك أيضاً ** من الماء الفرائد واللآلي
وتسكن دارهم وكذاك سكنى ** الحجارة والزُّمرد في الجبال [1]

ويصفه بصفتين هما لازمتان للسّيادة في ذلك العصر وهما : (الجود والفصاحة) .

ويمدح الخوارزمي أبا نصر الميكالي ويصفه بأفضل ما يوصف ممدوح ، وهو إطلاق يده بالعطاء بل يذهب إلي أبعد من ذلك وينعته بأنّه مثري النديم ، فكل من نادمه فلا بد له أن يصب شيئا من ثرائه ثم يبالغ – كعهدنا به – ويجعله محطّ آمال النّاس ، ونلحظ من بين مدائحه تطلعه للمزيد من بحر جوده يقول فيه :

تتجمع الآمالُ في أمواله ** وتفرق الأموال في آماله

أمّا عن مدحه بالفصاحة والسيادة فيقول :

يخطرن بين سياسة ورياسة ** ويمسن بين عقوبة وثواب[2]

ولا تخفى مبالغات الخوارزمي في هذه الأبيات عندما يكون الممدوح تحت عين رضاه ، أمّا إذا تغيّر عنه فعينه عين السُّخط التي تبدي المساويا .

ثم يمضي الخوارزمي فيسحب هذا علي آل ميكال كلهم ويصفهم بالسيادة والكرم والأدب وجعل غيرهم لا شي مقارنة بهم يقول :

هم شحمة الدّنيا فإن تتعدهم إلى ** غيرهم تحصل علي الفرث والدم [3]

ثم يتحول الخوارزمي عن آل ميكال ، قاصداً هذه المرة ، قابوس بن وشمكير [4] [من الطويل]

---

[1] اليتيمية – ج٤ ، ص ٢٥٨

[2] ابوبكر الخوارزمي حياته وأدبه د/ احمد أمين مصطفي ، ص ٨٠

[3] المصدر السابق عن / سفينة الدرر ، ورقة ص ٥٦

[4] قابوس بن وشمكير بن زيار بن داران شاه الجبلي ، الملّقب بشمس المعالي أمير جرجان ، أحد شعراء وأمراء الدولة الزيارية ، الأعلام (١٧٠/٥) .

شموس لهن الخدر والبدر مغربٌ ** فطالعها بالبيت والهجر غاربُ
ولكنّما شمسُ المعالي خلافُها ** مشارقهُ ليست لهنّ مغاربُ
فما لقّبوه الشّمس إلاّ وقد رووا ** (بأنّك شمسٌ والملوكُ كواكب)
والمصراع الأخير من بيتٍ للنابغة [1].

فشمس المعالي قابوس بن وشمكير سلطان زمانه ، وشمس في سمائه غير أنّه ليس كالشّموس – رجل لا كالرجال – مشرقٌ علي الدوام ، مشرقهُ لا يأفل وما حاز هذا الشرف الباذخ ، إلاّ لأنّه شمس وحده أمّا الملوك غيره فكواكب تستمدُّ ضوءها وإشراقها من نوره .

وهكذا كل من يغدق علي الخوارزمي العطايا والنّوال يبالغ في مدحه حتي نكاد نصدق أنّه لم ولن يمدح غيره وانظر إليه وهو يقول :

[من الطويل]

أقول لزوّارِ الأميرِ ترجَّلو ** فمن زاره من راجلٍ فهو راكبُ
وإن زاره الفرسانُ كنتِ كفيلهم ** بأن يرجعوا والخيلُ فيهم جنائبُ[2]
إذا رجعوا عن بابه فنشيدهم ** وإن سكتوا أثنت عليه الحقائبُ
ألا بلِّغوا عني الأميرَ رسالةً ** تدلُّ بأنّي في مدى الدّهرِ عاتبُ
إلى كم يحكِ المرءُ مثلك بلدةً ** بها منبرٌ فيها لغيرك خاطبُ
لقد هان من أمسى ببلدة غيره** و قد ذلّ من بالت عليه الثعالب[3]

فهو من شدة كرمه يعطي الراجل فرساً ، أمّا إن كان غير مترجِّل ؛ فإنّ خيولهم ترجع محمّلة بالهدايا والعطايا،غير أنّ الخوارزمي تبدر منه بادرة يدل ظاهرها علي سقطة من سقطاته .

---

[1] النابغة : هو أبو ليلى حسّان بن عبدالله الجعدي العامري ، توفى عام ٥٨هـ . جواهر الأدب (١٣٢/٢٠) .

[2] جنائب : الغناء .

[3] يتيمة الدهر ج٤ – ٢٥٣ – ٢٥٤

يقول الدكتور محمد مفيد قميحة- فى معرض تعليقه على هذه الأبيات – "هذا من سقطاته وغرره ... وفيها سوء أدب وهو بالتقريع أشبه منه بالتقريظ وليس مما يخاطب به الملوك "[1].

غير أنّ الباحث يري أنّ هذا ليس دليلاً كافياً علي سقطة من سقطاته . فهو يقول أنّه (علي الدهر عاتب) في كونه فعل ما فعل بشمس المعالي ، غير أنّ الباحث يتفق مع قول الدكتور محمد مفيد قميحة بأنّه سوء أدبٍ مع الملوك قوله : " من بالت عليه الثّعالب" .

[1] المصدر السابق – ص ٢٥٤

وقد لا يستغرب هذا من كاتب كالخوارزمي الذي كان مشهوراً بفحشه فهو معه أينما سار ، وقد تعود لسانه الهجاء – كما سنعرف – ولذا فهو كَلٌ علي الخوارزمي أينما يوجهه لا يأتِ بخير .

ومن عضُديِّة [يمدح عضد الدولة] [1] [من الطويل]

غريبٌ على الأيام وجدانُ مثله ** وأغربَ منه بعد رؤيته الفقرُ

فلا حرَ إلاّ وهو عبدٌ لجودهِ ** ولا عبدَ إلاّ وهو في عدله حرُ

عجبت له لم يلبس الكِبرَ حُلَّةً ** وفينا لأن جُزنا على بابه كِبرُ

وهو هنا يمدح عضد الدولة بن بويه ، فهو فريد عصره وفلتة زمانه ، فحرية الأحرارُ هي نتاج جوده أما عبوديتهم فأمام عدله حرية.

وهو برغم أنّ خصاله وشمائله تجعله يستحق أن يدلَّ ويتيه دون أن يكون ذلك منقصةً أو مذمةً ، فنحن وقد جاوزنا بابه نجد في أنفسنا كبرا فقد أننا قد أتيح لنا أن نلقاه.

وله من أرجوزةٍ [من الرجز]

يا عضدَ الدولةِ من يُمناها ** يا مهجةً قالت لها أعلاها

من اسخط الدرهم ارضى الله ** ومن أزال المال صان الجاها

رحم الله الخوارزمي ، فهو لا يمدح إلا المال في ثوب الرجال ، ولا يطمح إلاّ للمجد ولو علي سوء المقال .

وقال يمدح الصّاحب بن عَبَّاد [من الطويل]

وأبيضَ وضّاحِ الجبين كأنّما ** مُحيّاه قد درّت عليه شمائله

يقبِّل رجليه رجالٌ أقلُّهم ** تُقبِّل في الدِّستِ الرَّفيعِ أنامله [2]

فهو يمدح الصّاحب بن عبَّاد [3] بأنَّ ما في مُحيّاه من بياضٍ ونور يشع ويتلألأ بسبب ما درت عليه خصاله وشمائله وأياديه البيضاء والأخيرة

---

[1] عضد الدولة : هو فنا خسرو بن ركن الدولة ، من امراء بنى بويه وشعرائهم . السير : ١٦ / ٥١١) .

[2] المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

[3] الصّاحب بن عبّاد : اسماعيل بن عبادبن عبّاس أبو القاسم الطالقانى (السير ١٦/٥١١) .

مما يهتم بها الخوارزمي ومبالغاته تلك حشاها حشواً كعهدنا به فيمن يصافي ومن أخرى [من الوافر]

بنيتَ الدارَ عاليةً ** كمثلِ بنائك الشَّرفا

فلا زالت رؤوس عداك ** في حيطانها شُرفا

فالصاحب بنى بناءاً ولكنه لايدانى شرفه الذي بناه بأفعاله وقد قصرت أفعال عداه حتى أنها لم تتجاوز الشرفات من بناءٍ بناه .

وعلي هذا المنوال يصوغ الخوارزمي مدائحه ومبالغاته حسبما يجود به الممدوح ، ولا بأس من التلفيق والتنميق لاستمطار العطايا والنوال ، فلا يستحي أن يصرحَ بهذا فالدنانيرُ رِّشاء [1] يوصل ألي القَلِّيب [2] ، وفي هذا يقول الخوارزمي [من السريع]

ياأيها الخاطب مدحي وهل ** يعدد من غير رِّشاء قَلِّيب ؟

شيئان لم يجتمعا لامرئٍ ** حبُّ الدنانير وحُبُّ الحبيب [3]

وعلي هذا فإنّ الخوارزمي كان يدور مع المال والنوال حيثما دارا ، ويكيل المدح والثناء لباذلهما أيّا كان ، ولعلنا نلمس من خلال هذه المدائح عدم تشربها بعاطفة صادقة ، ولا مشاعر حقيقية من أديب كالخوارزمي ، إلا أنّ عصره الذي كان يعيش فيه يتطلب هذا الأمر أضف إلي ذلك خوف الفقر والحرمان الذي عالجه طويلاً مما أحدث لديه دافعا يثنيه عن كل مايذكِّرُه بأيامه الخوالي ؛ حيث البؤس والشقاء ، الذي أصبح هاجسه الدائم من أن يعود إليه فأصبح يتكسب بأدبه ويساوم علي إنتاجه الأدبي لمن يبذل أكثر .

---

[1] الرشاء الحبل .

[2] القليب : البئر .

[3] اليتيمة ، ٢٦٨/٤ .

المبحث الثاني

الغزل والنسيب

لم يعرف عن أبي بكر الخوارزمي في ترجماته المختلفة أنّه عاش قصةَ حبٍ حقيقيةٍ ملأت عليه وجدانه وصارت شغله الشّاغل ، ولعلّ ذلك مرده إلي لهثه الدائم وراء المال والجاه وعدم رغبته في التشاغل عنهما ولقد صرَّح بهذا علانية قائلاً أنّه لامجال في قلبه سوى لحبيب واحد الا وهو (الدنانير) :

شيئان لم يجتمعا لامرئ ** حب الدنانير وحب الحبيب [1]

غير أنّه لم يرد مخالفة شعراء عصره فتغزَّل كما تغزَّلوا ؛ فشعر الغزل قاسم مشترك بين الشعراء ، تغزَّل من أحبّ ، وتخيَّل الحب من لم يصادفه الحب [2].

والخوارزمي كما أسلفنا لم يعش قصة حب حقيقية ، غير أنّه لم يرد أن يسبقه الشّعراء في هذا المضمار ، فتخيّل حُبّاً ماثلاً أمامه وتقمّص شخصية المحب الولهان ، والعاشق المتيّم .

غير أنّ غزل الخوارزمي ليس غزلاً حار العاطفة ولا متأجّج المشاعر ؛ فهو غزل مصطنع أراد به الخوارزمي المجاراة لا الحقيقة .

وقد يقصر هذا الغزل أو يطول ، وهو يبدئه أحياناً في مطالع قصائده .

ومثال ذلك في مدحه لأبي علي بن سميجور يقول [من مجزوء الكامل]

إنّ الأُلى خلف الخدور ** هم في الضمائر والصدور
وَقَعَ الغُبارُ عليهمُ ** فغدا يتيهُ علي العبير
وأعرتهم نظري فما ** ردَّ المعار علي المعير
فغدوتُ في حال الأسير** ورحتُ في حال الحسير

---

[1] اليتيمة ٢٦٨/٤

[2] الخوارزمي / حياته وأدبه د/ احمد أمين مصطفي ، ١٠٧.

وكذاك من عشق النّجوم ** ورامَ صيداً للبدور[1]

غير أننا لا نلمس روعة تعبير في هذه الأبيات إلاّ من جانب إظهار غبار التيه علي البعير لوقوعه عليهن .

أمّا كونه أسيراً وحسيراً فالتّصنُّع واضح ؛ حيث أنّه أراد وزن الصدر مع العجز وكذلك لا نجد لفتة بارعة في قوله :" عشق النجوم ، أراد أن يصيد البدور ولا شكّ أنّ هذا مرده عدم صدق العاطفة فجاء التّصوير خلاف المتوقع :

وقال في قصيدة تعد من أبدع أوصافه يصف تزايد حسن الحبيب علي مر الأيام التي من شأنها تغيير الصور وتقبيح المحاسن [2] [من الوافر]

وشمسٌ ما بدت إلاّ أرتنا ** بأنّ الشمسَ مَطلعُها فضولُ

تزيدُ على السنينِ ضياً وحسناً ** كما رقّت علي العِتَقِ الشُمول [3]

فهي – أى المحبوبة – تزيد في الحسنِ والجمال كما تزيدُ الأيام الخمر تعتّقاً وعذوبةً وصفاءاً ؛ فتصيرُ خمراً معتّقاً .

ومن أخرى [من الكامل]

مضت الشبيبةُ والحبيبةُ فالتقى ** دمعان في الأجفان يزدحمانِ

ما أنصفتني الحادثاتُ رميننى ** بمودعين وليس لي قلبانِ

فالشباب والأحباب ذهبا عنه وخلّياه ، فلا يدر لأيهما يبكي ؟! ما رماه الزمان به وليس له إلاّ قلبٌ واحد .ولعله يشير إلى أنّ الحبَّ يكون حاراً في الشّباب ، أمّا إذا ولَّى فليس له من ودِّهنّ نصيب .

وفى أخرى [من الخفيف]

قلتُ للعينِ حين شامت جمالاً ** في وجوهٍ كواذبَ الإيماضِ

لا تغرنّك هذه الأوجه الغرُّ ** فيا رُبّ حيةٍ من رياضِ [4]

---

[1] المصدر السابق (نقلاً عن سفينة الدرر ورقة ٥٦) .

[2] اليتيمة ٢٣٩/٤

[3] رقت على العنف الشمول : الشمول : الخمرة ، العتق : القدم ، رقت : صارت أكثر صفاءًأو عذوبة .

[4] نفس المصدر والصفحة .

وهنا تظهر نظرته التّشاؤمية للحياة ، فلعينه أن تقطع أملها عن خُلَّب البروق الكاذبات ، فإنّها محض تخرُّصٍ ، فكيف لا والحية تخرج من بين الرياض النّاضرة .

ومن أخرى [من الطويل]

عزيريَّ من ضحك غداً سبب البكا ** ومن جنةٍ قد أوقعت في جهنّمِ

ومن أخرى [من الطويل]

عزيريَّ من تلك الجسوم التي غدت ** سبائكَ تفني النّاس فيها السبائكا [1]

فالبيتان السابقان وإن كانا يضُمّان آثاراً للغزل ، إلاّ أنهما أقرب للحكمة ، فالضحك يعقبه البكاء ، كما أنّ من دخل جنّة الدنيا واستمتع بملذّاتها ؛ لا يلوي على شئٍ أوقعته في جهنم ، فما لنا نتنافس فيها ونتبارى للحصول على زخرفها ، وهو هنا الذهب ، ومصيرنا أن نصير في سبائك التوابيت .

ومن أخرى [من الطويل]

خليليَّ عهدي بالليالي صوافيا ** فما بالهنّ أبدلن جيماً بصادها

خليليَّ هل أبصرتما مثل أدمعي ** نفدت وحقّ الله قبل نفادها [2]

فقد عهد الليالي في صالحه ، غير أنّها تبدّلت عليه فصارت في غير صالحه ؛ بل وجافته ، وقد صارت أدمعه إلى زوالٍ قبل هذه الليالي ، وسِرُّ ذلك سرعة انقضاء ساعات و ليالي الصفاء .

ومن أخرى [من الطويل]

يفلُّ غداً جيش النّوى عسكر اللُّقا ** فرأيك في سحِّ الدموعِ موفقا

وخذ حجتى فى تركِ جنبي سالماً ** وقلبي ومن حقيهما أن يشققا

يدي ضعفت عن أن تُمزِّق جببها ** وما كان قلبي ناظراً فيُمزقا [3]

---

[1] المصدر السابق والصفحة .

[2] اليتيمة ، ٤/٢٤٠ .

[3] المصدر السابق والصفحة .

فعسكر اللقيا سرعان ما يهزم جيش البُعد والنَّوى ، أمّا علامته فهطول الدموع وبغزارة ، ثم يرجو أن يأخذ محبوبه حُجَّته وهى : أن يترك قلبه وجنبه سالمين وإن كان شقهما هما الأولى لعدم صبرهما على طول النّوى والهجران ، ثمَّ إنّ يده ضعفت أن تنال منها ولو كان قلبه حاضراً لتمزّق من ناري الجوى والهوى .

وإذا كانت لقيا الحبيبة هو أمله المنشود الذي أعدّ له عسكر اللقيا ، فإنّها أيضاً جيش لعزرائيل – ملك الموت – رغم أنّه في قبضه لأرواح عاشقيها أسرع منه قبضاً حتى أنه ليُغارُ منها ملك الموت الذي كنّاه بأبي يحيى :

سريعة موت العاشقين كأنّما ** يَغار عليهم من هواها أبو يحيى[1] [2]

وله [من الكامل]

بَسَمتْ فأبدت جيدها فتكشّفت ** عن نَظمِ درٍّ تحت نظم لآلي

وأرتك خديها ولاح عليهما ** صدغان ذو خالٍ وآخر خالي

فكأنّ ذا دالٌ خلت من نقطةٍ ** وكأنّ ذا دالٌ ونقطة ذال [3]

يشبه عنق محبوبته بدرٍ يُحلِّي جيدها ويربط بينه وبين أسنانها التي يشبهها باللؤلؤ من شدة بياضها .

ثمّ يمضي أبوبكر فيصف بعض مظاهر الزينة عند نساء عصره ، حيث كُنَّ يصبغن وجوههنّ وشفاههنّ ، ويرسمنّ خالاً في خدودهنّ ، فالخدّ الأول كأنه حرف الذال بلا نقطة ، والثاني كأنه حرف الدّال ويمثِّل ذالاً منقَّطة .

ويصوّر هذا الخال أيضاً في أبياتٍ أُخر ويجعله نقطاً لكتاب الحسن .

فيقول : [من الرجز]

وقينةٍ أحسن من لقياها ** تملي كتاب الحُسنِ مقلتاها

ونقطُه وشكلُه خداها ** إذا اجتلاها اللحظ أنشدناها

واهاً لريّا ثمَّ واهاً واها [1]

---

[1] أبو يحيى : كناية عن الموت .

[2] ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، للثعالبى ، ص ٢٤٦ .

[3] اليتيمة ، ٢٤١/٤ .

وكانت لنشأة الخوارزمي في بيئة فارسية ، أنّه لم ينج كغيره من الشعراء من الوقوع بالغزل بالمذكر بل والتماجن عند ذكره – وقد شغل المردان المخنثون كثير من الشّعراء آنئذٍ وبالذات ، وقد تزيّنوا كالنّساء ، وامتلأت بهم خراسان ونيسابور ، فأصبح الشعراء يذكرونهم في أشعارهم دونما حياءٍ أو تحرُّج ، كما أسلفنا عندما تحدثنا عند الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني .

والخوارزمي جارى الشعراء في هذا الضّرب من التغزُّل الماجن ، والفحش الفاضح .

ومنه قوله [من مجزوء الرمل]

قلتُ لمَّا رمدت عيناك والدمع سجامُ
إنّما عوقبت عن عيني فاعلم يا غلامُ
لا أصيبت هذه العين بعيني والسلامُ [٢]

فسبب رمد عين الغُلام عقوبة من لحظ الشّاعر لعينه ، فلا يرمين الغُلام بسهمِ لحظه مرة أخرى حتى لا ينل العقوبة كرَّة أخرى وهى أن يصيب عينه بسوءٍ .

وقد يتغزل الشّعراء أحياناً بالمرأة ويرمزون إليها بضمير المُذكّر ، إلاّ أنّه يقول هنا(يا غلام) ولم تصرف لفظة (الغلام) على مؤنث قط[٣].

---

[١] يروى بعده ، اليتيمة ٢٤٤/٤

هى المنى لو أننا نلناها ** يا ليت عيناها لنا وفاها
بثمنٍ نرضي به أباها ** إنّ أباها وأبا أباها
قد بلغا فى المجد غايتاها

[٢] اليتيمة ، ٢٤٢/٤ .

[٣] أبوبكر الخوارزمي ، حياته وأدبه ، ص ١١٦ .

المبحث الثالث

الرِّثاء

كعهدنا بالخوارزمي ؛ لا نتصوّر رثاءه صورة حقيقة للوعة الحزن ، وألم الفراق ، متجسدين في مرثياته ؛ ذلك أنّ أبابكر – كما أشرنا آنفاً – لم يعرف عنه وفاء ولا اكتراث بالأصدقاء ، إلاّ ما تمليه المصلحة ، وتدعوه الضرورة أو الحاجة إلى نوالٍ أو عطاء .

وقد رثى الخوارزمي أصدقاءه من الزعماء والأدباء ، غير أنّ رثاؤه – كما سنرى – لم يكن ليتجاوز (الندب والتأبين) ، ولا يخرج إلى مجال العزاء ، والندب: بكاء الميت ، والتأبين: إشادة بالميت ، وتعداد مآثره ، أمّا الرثاء فيخرج إلى مجال إنساني أوسع)[1].

وكان ممن تعلَّق بهم ، وأشاد بمكانتهم عنده ؛ بنو بويه ، الذين أكثر في مدحهم ، وكان من الطبعي أن يبكيهم بعد زوال ملكهم .

وقد بكى الخوارزمي ركن الدول بن بويه ، وأشاد بشجاعته وحسن شمائله وكريم خصاله ، وصدق فراسته ، وعظم تقديره للأمور .

كما أشاد بفصاحته وروعة أدبه ، ورأى في وفاته هدماً لركنٍ ركين من أركان الخلافة . فيقول [من المتقارب]

ألست ترى السّيف كيف انثلم ؟ ** وركن الخلافةِ كيف انهدم ؟
طوى الحسن بن بويه الردى ** أيدرى الرَّدى أيُّ جيشٍ هزم ؟

ويمضى فيقول [من المتقارب]

طويلُ القناة، قصيرُ العداتِ، ذميمُ العداة، حميدُ الشيمِ.
فصيحُ اللّسان، بديعُ البنان، رفيعُ السنان، سريع القلم.
يكيل الرجال بأقدارها، ويرعى البيوتات رعي الحُرم.
جواد عليهم، بخيل بهم، إذا ساءَ خصَّ، وإنْ سُرّ عم.

ومنها :

---

[1] الخوارزمي حياته وأدبه ، احمد أمين مصطفى ، ص ٩٨ .

إذا كان يبكي الورى بالدموع ** وتبكي بهنّ فأين القيم
وقد ساءني عُطَلُ الدهر منك ** وقد كنت حلَّياً عليه انتظم
فما يستحقُ الزمان اللئيم ** مقامك فيه وأنت الكرم [1]

وهنا يرصُّ الخوارزمي الصّفات والخصال – كعهدنا به – رصَّا ، فهو يتحدث عن فصاحة المرثي وأدبه ، ويحشر بعد (فصيح اللسان) قوله : (رفيع السِّنان)، وكان الأولى أن يذكر السنان ، مع الحديث عن شجاعته . ثم ما هو طول الرمح ؟ إنّ طوله لا يدل على شجاعة بل على جبن ، فراميه يرميه من على البعد لا كالسيف ، ثم ينتقل إلى بيان نظرته الصائبة ،إلى الرجال وتمكّنه من إنزالهم منازلهم ومعرفته أقدارهم .

وبكى أبوبكر بعض رجالات الدولة السامانية ممن أحسنوا إليه ولم ينله منهم أذى يُكدِّر صفو إحسانهم وعلى رأسهم أبو الحسين المزني ، الذي ردَّه إلى نيسابور معزّزاً مكرّماً بعد أن كان مهيض الجناح ، غير أننا كذلك لا نحسْ فيها لوعة ولا حرارة تأخذ بمجامع القلوب . يقول : [من الكامل]

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا ** دمعي يحاكى لفظك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكى ** قلبي فؤاد حسودك المحموما [2]

ومن مراثيه التي لا تعبّر عن عاطفةٍ صادقةٍ ، بل قد تنبي وتوحي بنبرة فيها التشفِّي أكثر منه رثاء . يقول في رثائه لعائذٍ بن على لمّا أهلكته السموم [من الخفيف]

عائذٌ قد دعا به المعبود ** وجميع الورى إليه يعودُ
أهلكته الرياح في أرض مكر ** ان ولله في الرياح جنودُ [3]

وله من أخرى يرثي مؤيد الدولة ويُعزِّي ويهنئ فخر الدولة [من الطويل]

رزئت أخاً لو خُيِّر المجدُ في أخٍ ** من النّاسِ طهراً ما عداه ولا استثنى
وقد جاءت الدنيا إليك كما ترى ** طفيليةً جاوبت قبل أن تُدعى

---

[1] اليتيمة : ٢٥٩/٤

[2] المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

[3] نفس المصدر ، ص ٢٦٣ .

صبت بك عشقاً وهى معشوقة الورى ** فقد أصبحت قيساً وعهدي بها ليلى
ولمّا رأت خُطابًها تركتُهُم ** ولم ترض إلاّ زوجها الأوّل الأولى
ولم تتساهل في الكفيِّ ولم تقل ** رضيت إذا ما لم تكن إبلٌ معزّى
على أنّها كانت جفتك تذّللاً ** فخلّيتها حتى أتت تطلب الرّجعى[1]

فالخوارزمي هنا يبكى أخاً ، وهو ليس بالأخ العادي ، بل هو فلتة من فلتات العصر – لو خُيّر المجدُ في أخٍ – جاءته الدنيا راغمة غير أنّه لم يأبه لها ، وقد هامت الدنيا بحبه، برغم أنّ جميع الناس يتخذونها معشوقة لهم ، كقيسٍ يُحبّ ليلي غير أنه لا يظفر منها بشيءٍ وهي كذلك تنتقل بين قلوب عاشقيها غير أنّها لا ترَى سوى محبها الأول أنّه أولي بحبها ، وهي بذلك أبت إلاّ أن تكون لك رغم إنكارها إيّاك ابتداءاً .

أما عن أروع ما كتب في الرّثاء ، ومن كتب يرثيهم ، فهي مرثية عند سماع نبأ موت صديق من أصحاب وده القديم ، وروعتها تكمن في أنّها تبدي لنا مشاعر متناقضة تعكس وجهاً حقيقياً لأبي بكر الخوارزمي يقول راثياً أبا سعيد الشبيبي [2] (من الوافر)

أ يدري السيفُ أيّ فتىً يبيد ** وأيّة غاية أضحي يريدُ
لقد صادت يد الأيام طيراً ** تضيق به حبالة من يصيدُ
وأصبح في الصعيد أبو سعيد ** سوى أنّ الصعيد به سعيدُ
وقد كانت تضيق الأرض عنه ** فلِمَ وسعت لجثته اللُّحودُ

وفي تصوير لحيرته وشعوره بالأسي ، وعدم مقدرته علي التصديق يقول :

فلا أدري أأضحك أم أبكي ** وتهدمني المنية أو تشيدُ !
صديقٌ قد فقدناه قديم ** وثَكلٌ قد وجدناه جديدُ

---

[1] اليتيمة ، ٤/٢٦١ .

[2] الشبيبي : أبو سعيد أحمد بن شبيب ، صاحب الجيشين ، ولي الوزارة للدولتين البويهية فالسامانيّة ، وله شعر أورده صاحب اليتيمة (٤/٢٧٧) .

ثم ينتقل إلي تصوير الأمر مستجمعاً براعته في صورة طريفة ، فمشاعره موزّعة وعينه وقلبه مقسّمان :

ومن عجب الليالي أنّ خصمي ** يبيد و أنّ حُزني لايبيدُ

وإن النّصف من عيني جمودٌ ** وإنّ النّصف من قلبي جليدُ

إذا سفحت عليه دموع عيني ** نهاها الهجر منه والصدود [1]

هنا مشاعر متناقضة وقد مات أبو سعيد الشبيبي ، إلاّ أنّ الخوارزمي يأبي إلاّ أن يعرّض به ولو من باب إظهار أنّه صافاه إلاّ أنّ صاحبه جافاه ، ولم يشفع له موته عند الخوارزمي .

ثم يعقّب علي هذه الأبيات بأبياتٍ لا تقل طرافة عن سابقاتها ، فيشبه الشبيبي بالضرس المتآكل في إبقائه ألم وفي قلعه ألم :

وما أصبحت إلاّ مثل ضرّس ** تآكل فهو موجود فقيدُ

ففي تركي له داءٌ دوي** وفي قلعي له ألمٌ شديدُ [2]

وعلي هذا تمضي مرثيات الخوارزمي حيث لاتخلو من غرض وتعريض بالمصاب وإن كان مصابه جلل .

فهو لا همّ له سوي التّشفي ، والتّشفي وحده يسوقه وقد أخذ نفسه بهجاء كل من تسوّل له نفسه الحطُّ من قدره أو عدم إنزاله منزلته التي تليق به .

---

[1] اليتيمة ٤/٢٦١

[2] المصدر السابق والصفحة نفسها

المبحث الرابع :

الهجاء

عُرف الخوارزمي بقلة الوفاء وشدة الإقذاع، وقد كان هجّاءاً وخصوصاً لمن لم يجد عنده الحظوة المرجوة والأمل المنشود ولعلّ هذا نابع من ثقافته الرافضية التي يغلب عليها السبُّ والهجاء ، وقد لمسنا شيئاً من هجائه وشتمه عندما تكلّمنا عن ثقافة الخوارزمي [١].

ودليل ذلك أنّ ياقوت الحموي ذكر أنّه كان سبّاباً .

وقد ذكر أيضاً أبو اسحق القيرواني أنّه : (كان رافضياً غالياً ، وقد كان سبّاباً ...) [٢] .

وكان ممن تفرّدوا بهجاء الملوك والأمراء حتى أنّه : (هجا بعض الملوك فظفر به فوسمه في جبهته سطران فيهما شطران بأقبح هجاء ، فكان يشد العمامة علي حاجبيه ستراً عليهما ...)[٣]

وقد هجا كثيرين من ساسة عصره ومنهم أبو علي البلعمي ، وتاش الحاجب ، وطاهر بن محمد ، وأبو الحسن العتبي ، وأبي طاهر السجزي ، وفائق ، وهجا بعض من جمع بين السياسة والرياسة والأدب : كالصاحب بن عبّاد وأبو سعيد الشبيبي ، وكذلك هجا بعض الأدباء : كأبي الحسن اللَّحام ، وبديع الزمان الهمذاني ، وأبي سهل البستي ، وأبي الطيب البيهقي وأبي سعيد بن ملة ، وله هجاء في تلميذ عاق . كما له هجاء يخرج إلي التجريح وذلك عند هجائه لنديم الحمامي .

وقد أورد الثّعالبي أنّ الخوارزمي احتّك بأديب يقال له اللَّحام [٤] وقد رأى الخوارزمي مايزال يُعدّ حدثاً صغيراً ، ورغم ذلك تضائل إلي مقام هذا

---

[١] الفصل الثاني – المبحث الثاني، ص ٤١.

[٢] ذيل نهر الآداب لأبي اسحق ابراهيم القيرواني الحصري دار احياء الكتب العربية ص ٢٥٤ ، معجم البلدان لياقوت الحموي ج١، ص ٦٢٦

[٣] المصدر السابق ، نفس الصفحة

[٤] اللّحام : أبى الحسن على بن الحسن الحرّانى ، ليس له ديوان شعر مطبوع . اليتيمة (١١٦/٤).

الأديب للنيل منه ، وربما ذلك هو نفس ما فعله به البديع فيما بعد ، حيث ناوشه ابتغاء ذيوع الصّيت والشّهرة مما أدّى بهما إلي المناظرة المشهورة التي ذكرناها آنفاً .

يقول الثعالبي وهو يصف هذه المناوشات من قبل الخوارزمي للّحام :

رأيت للّحام في حلقهِ ** للشعر تطبيقاً وتجنيساً
نخوة فرعون ولكنه ** جانس في حمل العصا موسي
وغش إبليس ولكنه ** خالف في السجدة إبليسا[1]

ثم قال :- وأردت بذلك فتح باب إلي مهاجاته ، فلم يجبني ، وجرى علي قضية قول المتنبي :

وأغيظ من ناداك من لاتجيبه [2]

وفي هذا دلالة واضحة أنه ما أراد إلاّ أن يقول النّاس : هجا هذا الحدث اللّحام ، فينتشر أدبه بين النّاس ، غير أنّ بديع الزمان الهمذاني سقاه من الكأس نفسه ؛ ليحصل معه ما حصل للخوارزمي .

وبعد هذا : (ذاع صيت أبي بكر الخوارزمي فتناول الناس بحد لسانه ، وهجا الأشخاص كما هجا الأفعال ، وعاب علي بني العباس أنّهم يمنحون ألقاباً في غير موضعها [3].

وهجا السامانيين وأظهر الشماتة بهم عندما هُزموا . وقال في قائدى السامانيين (تاش) و(فائق) [من الوافر]

فلو أنَّك قد أبصرت تاشاً وفائقاً **علي ظهر بُختِ[4] أدبر الظهر رازم[5]
وقد كتب الإدبار في جبهتيهما ** بإنشاء مقمور وتحرير نادم

---

[1] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – للثعالبي، ص ٨١ .

[2] أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه ، ص ٩٠ (نقلا عن اليتيمة ١٠٢/٤.

[3] اليتيمة ج٤ ، ص ٢٦٤ .

[4] البُخت : الإبل الخرسانية .

[5] الأدبر : المجروح .

فلا تأمنن الدهر حرّاً ظلمته ** فإن نمت فاعلم أنه غيــر نائم[1]

وله في (فائق) خاصةً : [من الرجز]

قد خطب الصفع قفا الخصي ** فمرحباً بالخاطب الكفي

ورحل الباز إلي الكركي ** فأبشروا بلحمه الطري

ففي الأبيات السابقة تعريض واضح (بتاش وفائق) وخروجهما لملاقاةِ العدو ، حيث بوادر الهزيمة بواد علي وجهيهما وعدتهما ، فالإبل دبراء جرباء هزيلة ، والأديب الذي من المفروض أن يشحذ الهمم ويقوي العزائم انتهز هذه الفرصة الثمينة بسبب ظلم حاق به مِن قبل هذين القائدين فكال لهما السباب المقذع . ونلمس هنا خصُّ الخوارزمي فائقاً بهذا الإقذاء المُر .

فتاش على ما يبدو (كان خصيٌّ) ، فهو عند الخوارزمى ليس أهل لقيادة الجيوش ، وهو مهيض الجناح لا يملك من فنون القتال شئ سوى أنّه قدّم نفسه لقمةً سائغةً لعدوه فيا ظفر عدوه به !.

وله في فقيه [من الخفيف]

مجبرٌ صيَّر ابنه ناصبياً ** مجبراً مثله وتلك عجيبه [2]

ليس يرضى أن يدخل النّار فرداً ** ساعة الحشر أو يقود حبيبه [3]

فهو – أى الخوارزمى – نصّب نفسه مفتٍ يدخل من يشاء النّار ، ويخرج من يشاء .

وله فى أبى سعيد بن مُلة [من السريع]

أبو سعيدٍ زحلٌ للكرام ** ومنسفٌ ينسف عمر الأنام

لم أره إلاّ خشيت الردى ** وقلت يا روح عليك السلام

يبقى ويفنى النّاسُ في شؤمه ** يا ملك الموت إلى كم تنام [4]

---

[1] نفس المصدر ، ص ٢١٦ .

[2] مجبر : على وزن اسم الفاعل كمكرم : أى قاتل بالجبر ، الناصبى : من يناصب الامام على العداء ، اليتيمية ٢٦٤/٤ بالهامش .

[3] اليتيمة ، ٢٦٤/٤ .

[4] اليتيمة ، ٢٦٤/٤ .

فأبو سعيد هذا دارت عليه الدائرة في الهجاء ، فهو مبعد للكرام ، ومضيّع لأعمار الأنام ، وهو يتشائم برؤيته وكأنه يعاين الموت فى طلعته ، ويتعجب كيف غفل ملك الموت عنه ، مع كونه أحرى أن يُقبض ويريح العباد .

وله فى شيخ (فسا) أمامه فأقذع فيه قائلاً [من المتقارب]

فسا الشيخ سهواً وفى كفه ** شرابٌ فلمناه لوماً قبيحاً[1]

فقال [لى] الدخل والخرج لى ** فأدخلت راحاً وأخرجت ريحاً

وهو هنا هجاءاً لا يخلو من طرافة ، فالدّاخل إلى جوفه ، والخارج كلاهما للشيخ ، يدخل الخمر ويخرجه ريحاً ، فما للائمٍ عليه من سبيل .

ويبدو أنّ الخوارزمي كان في حالة سُكرٍ لبذاءة ألفاظه ، وسوء تعبيره ، وله في (نديم الحمامي). يقول [من مجزوء الرمل]

قل لمن ينكح بالعيون جواري الأصدقاء

والذي يعتقد الملك له قبل الشراء

أنت والله نشيط الأير كسلان الوفاء

ليت قلبي قدّ من أيرك فى باب الذكاء

أمهل الساقي ولا تخجله بين الندماء

أنا بالساقى كفيل لك من بعد العشاء[2]

وفى هذا دليل على أنّه من سقطات السُكارى ، وعبث المُجّان . وله فى أبي الطيب البيهقي [من السريع]

يبكي من الموت ابو طيِّبٍ ** دمع لعمرٍ غير مرحومِ

ويشتكي ما يشتهي غيره ** شكاية الخير من الشؤمِ

ساكناً الشيخ أبو طيبٍ ** والصمت أحياناً من اللومِ[3]

---

[1] اليتيمة (٤/٢٦٥) .

[2] اليتيمة ، ٤/٢٦٥ .

[3] المصدر السابق والصفحة نفسها .

فأبو الطيّب يبكي مما نزل به من سكرات الموت ، غير أنَّ بكاءه لا يجدي يئاً فهو ميت لا محالة ، ويشتكى وغيره يشتهى أن يراه ميتاً فيستريح منه . فهو – عند الخوارزمى – شؤم يجب استئصاله .

وذمّ ابوبكر بعض المدن التى لم ترقه لسوء أهلها ، وذمّ أهلها ونسب إليهم أحطّ الصفات ، كقوله [من الوافر]

فإن أسكن ببلدة ابن شهرٍ ** فإنّ البدر ينزل فى الظلامِ
أصغرِّها وإن عظمت ولكن ** لها أهلون ليسوا بالعظامِ
وفرسان ولكن فى الحشايا ** وأجواد ولكن بالكلامِ
صغارٌ بالمطالب والسجايا ** وإن كانوا كباراً بالعظامِ [1]

يبدوا أنّهم لم يوفوه حقه من إكرامٍ فلجأ إلى الملام ، والوصف بأوصاف اللئام ، وأنهم كرام ولكن بالكلام ، وعظام ولكن بالأشكال لا بالأفعال .

وقد سُقي الخوارزمى من الكأس نفسه التي أذاق بها النّاس ذماً وهجاءاً ، ومنهم الصّاحب بن عبَّاد ولىُّ نعمته الذى سرعان ما انقلب عليه . فقال فيه بعد أن وصله نبأ موته :

سألتُ بريداً من خراسان جائيا ** أمات خوارزميكمُ قال لي نعم
فقلت اكتبوا بالجصِّ من فوق قبره ** ألا لعن الرحمن من كفر النّعم [2]

بل يصل به الحد أحياناً أن سبّ سباباً قبيحاً ، يصل أحياناً إلى التعرض للمحارم . ومن ذلك قوله فى طاهر السُّجزي : [من الوافر]

ألا يا سائلى بأبى حسينٍ ** وفى التجريب علمٌ مستفادُ
هو ابن سمية والطاء عينٌ ** وشبه وكنية والسين صادُ

ولا يخفى رميه إياه بأنَّ أمَّه عاهر ، فالعاهر لا تلد إلاّ ابن زنا ...

---

[1] المصدر السابق والصفحة .

[2] ديوان الصاحب بن عباد ، ص ٢٨٥ .

المبحث الخامس

الوصف:

أبوبكر الخوارزميّ رُغم قلّة وفائه ، وبوار بضاعته فى سوق الودّ المتّصل ، إلاّ أنّه كان مرهفُ الحسِّ دقيقُ الملاحظةِ ، واسعُ الخيالِ ، متمكِّن من التّصوير والتّعبير .

فقد أحسّ بجمال الطبيعة حوله و رسمٍ لها صورة حسية رائعة ، وقد صوّرها تصويراً معنوياً يدلُ على البراعة فى وصف مظاهر الطبيعة ، وعمق الإحساس بالجمال .

وقد صوّر ابوبكر حزنه فى صورة معنوية غير أنّه يجعلنا نحسُ به إحساس المحسوسات فهو يقول [من الطويل]

أرقُّ من الشّكوى وأدجى من النّوى ** وأضعف من قلب المحبِّ المتيَّم

فهذه المشاعر : الشّكوى والبعد وقلب المحب محسوسات في ثوب المعنويات ، تعيش فى أعماق كل النّاس .

ومن أوصافه الرّقيقة الدقيقة التي تنم عن فهمٍ عميق وإحساس مُفعم بالطبيعة ، ما وصف به شعره وتشخيصه فى صورة بديعة . فقد جعله نسيماً موشاً فيه من ابداع كل بلد ومصر ما تنتجه قرائحهم من روعة وجمال . يقول [من البسيط]

فسوف تأتيك مني كل شاردة ** لها من الحسن والإحسان نسجان

الوشي من أصبهان [1] كان مجتلبا** فاليوم يهدي إليها من خراسان [2]

ومن أوصافه الطّريفة التي حاكي بها استاذه المتنبي وضمّنها قصيدة بعث بها الي الصّاحب ابن عبّاد وهو– أي الخوارزميّ– وهو مازال بأرجان [1]

---

[1] مدينهة عظيمة ومشهورة ، يمرُّ بها نهر زندروز ، فتحت فى عهد عمر رضى الله عنه سنة ٢٣هـ (معجم البلدان ، ٢١٠/١) .

[2] اليتيمة ، ٤ ، ٢٤٦ .

ولو أبصرت في أرجان نفسي ** عليها من ابي يحيي[٢] ذمام
ولو من أم ملدم[٣] كل يوم ** ضجيج لا يلذ له مقام
مقبلة وليس لها ثنايا ** معانقة وليس لها التزام
كأن لها ضرائر من غذائي ** فيغضبها شرابي والطّعام
إذا ما صافحت صفحات وجهي ** غدا ألفا وأمسي وهو لام
إذاً لرأيت عبدك والمنايا ** تصيح به تنبه كم تنام

فهو يصف آثار الحمي وما أحدثته في جسده ووجهه ، وجعل ألوان الطّعام والشّراب ضرائر لها تغضب اذا مسّ شيئاً منها تعبيراً لما يحسّه من آلام ؛ نتيجة للطّعام والشّراب . وسواء كان الخوارزميّ محتذياً للمتنبئ أم لم يكن كذلك فقد وصف وأجاد وصوّر وجسَّم وزاد من المعاني ما يُؤكِّد مقدرته واستقلاله[٤].

وتباكى الخوارزميّ علي شباب ولىَّ ، وشيبٌ حلَّ ، صوّره كفناً يعادي شَعره قبل أن يواري جسده ويكفنه . صوّر ذلك في قوله من [الخفيف]

وتخطّتني المنون إلي شعري *** فأضحى مكفّناً ببياض[٥]

ومما قَلّد فيه الشُّعراء في المزج بين الطبيعة والخمر وهو تقليد اتبعه الشّعراء منذ عهد أبي نُواس ، ثم خطا الشُّعراء بعده خطوةً جديدة وقصد بعضهم كأبي تمّام[٦] تابعة لها . يقول :

غدونا شطَّ نهر الهند مند *** سكارى آخذي بالدستبند
وراح قهوةٍ صفراء صرفٌ *** شمولٌ قرقفٌ من جهنبند

---

[١] مدينة كثيرة الخير كالنخيل والزيتون ، وتقع قرب شيراز بخراسان . (معجم البلدان ، ١٤٣/١) .

[٢] أبو يحي : كناية عن الموت .

[٣] أم ملدم : كناية عن الحمى .

[٤] ابو بكر الخوارزمي – د/ احمد امين مصطفي ، ص١٢٢

[٥] اليتيمة ج٤ ، ص٢٦٩

[٦] أبو تمّام : حبيب بن أوس بن قيس الطائى . (١٩٠-٢٣٠هـ) . الوفيات (١١/٢) .

وساق شبه دينارٍ أتانا *** يدير الراح فينا كالدرند[1]

وهو وإن كان يتحدث عن قصده نهر (الهند مند) إلاّ أننا نجد في ثنايا هذا الوصف تصويراً للطبيعة والخمر، وهما- أي الطبيعة والخمر - وجودهما معاً يزيدان الخورازميّ نشوة وسعادة مفرطة ثم ينصرف إلي الخمرة وما يتعلّق بها من أوانٍ وسقاة . فيصف السُقاة بالدنانير في ملاحتهم ولمعان كؤوسهم . ونلحظ أنّه تأثّر ببيئته الفارسيّة في ظل الدولتين السامانية والبويهية الفارسيتين ، ومن هنا نجده يستعمل الفاظاً فارسية في أبياته .

وفي وصفه للطبيعة خصّ الأزهار والرّياحين بالوصف ومن خلالها يُعجب بقدرة الخالق الذي ابدعها ، فيصف شكلها ولونها وما عليها من شعيرات دقيقة اجتلاها بعينيه مما يَدلُّ علي دقّة ملاحظته وتأمله .

استمع إليه وهو يصفها قائلاً [من الرجز]

دقّقه صانعه ولطّفهْ
كــأنّه وشم بلا مطرقهْ
أو خطٌّ ورَّاق أدقٍ أحرقهْ
أو زغبات طائر مصففهْ
أو حُلة مخضّرة مفوّفهْ[2]

وفي أُخري يحس الرّائحة الزّكيّة ويجسّمها وأثرها الفعّال علي القلب والجوارح ، ويتجلّي ذلك في وصفه للنّد (نوعٌ من الطّيبِ) [من الوافر]

وطيب لا يخل بكلِ طيبٍ ** يحيّينا بأنفاس الحبيب
يظلُّ الذيلُ يستره ولكن ** تنم عليه أزرار الجيوب
متي يشممه أنف حنّ قلب ** كأنّ الأنف جاسوس القلوب [3]

---

[1] ابو بكر الخوارزمي – احمد امين مصطفي ، ص١٢٧

[2] اليتيمة ج٤ ، ص٢٧٤

[3] اليتيمة ج٤ ، ص٢٧٤

فطيب رائحة النَّد كأنفاس الحبيب والقلب جاسوس الأنف فهو منفعل بما يسري إليه من الأنف .

كما وصف أبو بكر بعض أنواع الخضراوات ، و من أروع ما وصفه وصفه للقثَّاء إذ يقول فيه :

يا رُبَّ قِثَّاءٍ قريب المورد ** در الحشا زمرّد المجرَّد
شختُ[1] الرءوسِ[2] أصَور المقلّد[3] ** مثل ذنابي ريش ديكٍ أعقدِ[4]
قد التوي فوق الثّرى الرطب النّدي ** كما يلوذ أسودٌ[5] بأسودِ
ذي زغبٍ وفيه لين الأجرد ** كالخدِّ بين الملتحي والأمردِ[6] [7]

وهو لم يترك شاردة ولا واردة في وصفة للقثَّاء إلاّ وناله وصفه ، وصف ظاهره وباطنه وما تحته ، ووصف التّواء أغصانه وما عليه من شعيرات دقيقة ، ثم لونه وطراوته وحلاوته ، فباطنه در ، وظاهره زمرد ، ورأسه دقيق وذيله كذيل الديك ، أمّا التّواء جسمه فهو كالحيّة تلاقي حية أُخرى ، وخدّهُ كخدِّ الملتحي و الأمرد ، تجتليه العين قبل اليد ؛ وكأنّه في بياضٍ باطنه وحلاوةٍ طعمه سكر لين أو شهد مُذاب فيه قطعة من الثَّلج[8].

ثم وصف الطبيعة الحيّة وأبدع في وصف السُّلحفاة البحريّة والقنفذ .

قال يصف القنفذ :

ومدجَّج بسلاحه من نفسه ** شاكي الدوابر أعزل الإقبال
يُمسي ويُصبح لم يفارق بيته ** ولقد جرى عدداً من الأميال

---

[1] شخت : ضامر .
[2] أصور : مائل .
[3] المقلَّد : موضع القلادة .
[4] أعقد : ملتوي الذنب .
[5] أسود : العظيم من الحيّات .
[6] الأمرد : من ظهر شاربه ولم تنبت لحيته .
[7] الخوارزمي– د/ احمد امين مصطفي ،ص١٣٤
[8] الخوارزمي – د/ احمد امين مصطفي ، ص١٣٤

وتراه يكمن بعضه في بعضه** فتطيش عنه أسهمِ الأهوالِ

عيناه مثل النقطتين وخطمه ** يحكي ثدي رضاعة الأطفال

فهو ذو سلاح مدجّج به ، غير أنَّ هذا السّلاح من ورائه فقط ، ويصف درعه كأنّه بيتٌ ومكمن له فهو لا يفارقه ؛ غير أنّه بيت متنقل ، ويصف كمونه في بيته أنّه يكون فيه آمناً ، ثم يشبه عيناه بالنقطتين وأنفه من شدة بياضه كأنّه حلمة رضاعة الأطفال .

ثم يمضي ويصف مظهراً آخر من مظادر الطبيعة الحيّة فيصف السُّلحفاة البحريّة بقوله :

بنت ماء بدت لنا من بعيد ** مثل ما قد طوي البحار سفره

رأسها رأس حية وقراها ** ظهر ترس وجلدها جلد صخرة [1]

فهي من الماء وإلي الماء ، ومرآها كأنها بحّار قد طوى أمتعته ، ورأسها كرأس الحيّة وظهرها ترسٌ مدرّع كأنّه صخرة صلدة .

غير أن أوصاف الخوارزمي هنا لا يرى الباحث أنّه جاء فيها بشئ جديد ، ومبهرات للعقول فهو يصف كما يصف أي إنسان شيئاً ما ، لذلك لا نلمح طرافة في تشبيهاته ولا صوره مما يدلّل أنّ الخوارزمي كان يجاري الشُّعراء مجاراةً لا يقصر عنهم في غرض طرقوه لم يطرقه .

ثم أنّه تناول في شعره – علي قلته – أشهر الأبحر الشّعرية ، وقد أكثر من النّظم علي بحر الطويل ثم الوافر فالرّجز فالخفيف فالكامل فالمتقارب والرمل والسّريع ، وقد حاول في هذه الأبحر أيضاً بألاّ يخل بما هو متعارف عليه بين أُدباء عصره ومصره ، وعلي هذا فالخوارزميّ كان يُعنى أكثر ما يُعنى ألاّ يُوصم بالتّقصير في أيّ ناحيّة من نواحي النّظم أو النّثر حتى لا تتخذ ضده جريرة يُرمى بها ويشنَّع .

---

[1] ابو بكر الخوارزمي – د/ احمد أمين مصطفي ، ص ١٣٦ .

الفصل السادس

الخصائص الفنية

مدخل الفصل (الخصائص الفنية)

المبحث الأول: اللغة والأسلوب

المبحث الثاني: الصورة الشعرية

المبحث الثالث: البناء الموسيقي

المبحث الرابع: مكانة الخوارزمي الأدبية

مدخل الفصل

مفهوم الخصائص الفنية

كلف الأدباء في القرن الرابع بالبديع والسّجع[1] أيّما كلف ، واستخدموه بكثرة في أغراضهم نظماً كان أو نثراً .

وقد أوردوا فى هذه الأشعار والنثر نماذج رائعة تدلُّ على افتتانهم بهذه الألوان الأدبية ، ولقد جدَّدوا فى بعض هذه الألوان وبالذات فيما يتعلق باستعمالهم صوراً لم تكن معروفة من قبل .

مما حدا بالباحث أنّ يكشف عن هذه الصور متخذاً من الأديب الأريب أبوبكر الخوارزمي نموذجاً مُحتذاً فى هذا الضرب من الفن .

فما هي هذه الصور؟ وما مفهومها ؟

لنستمع (للدكتور/إبراهيم عبد الرحمن الغنيم) وهو يُحدِّثنا عن مفهوم (الصورة الفنية) . يقول : (الصورة الفنية هي عبارة عن الأشكال البلاغية من تشبيه واستعارة ومجاز ونحوها ، وتقوم على الحقيقة أيضاً ؛ حينما يكون الكلام وصفاً حقيقياً للمناظر والأشياء) .

ثمّ إنّ الصورة لا تنفصل عن العوامل التعبيرية التى تساندها وتعينها على إبراز وظيفتها ؛ كالموسيقا والإيقاع والشعور العام الذى تتلون به القصيدة) [2].

وقد عرّفها أيضاً (الدكتور/عبدالقادر القط) بقوله :(هي عبارة عن الشكل الفني الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أنّ ينظمها الشاعر فى سياق بياني خاص ؛ لتُعبِّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة فى القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكانياتها في الدلالة والإيقاع والتركيب والحقيقية والمجاز ، والترادف والتضاد ، والمقابلة والتجانس ، وغيرها من وسائل التعبير الفني)[3] .

---

[1] السَّجع : هو توافق الكلمة الاخيرة من كل فقرة في الحرف الأخير (تيسير البلاغة) ، ص ٤٥.

[2] الصورة الفنية في الشعر العربي – مثال ونقد ، د / إبراهيم الغنيم ، الشركة العربية للنشر ، ص ١٥ – ١٦ .

[3] الاتجاه الوجداني في الشعر ، د/ عبدالقادر القط ، دار النهضة العربية ، ص ٢٩١ ، العربى المعاصر .

إذاً فالصُّورة الفنية تعتمد أساساً على الملكات الموجودة فى نفسية الأديب التي تحدوه نحو الإبداع فى هذه الصورة ، أو تلك . فتعالوا نتعرف على الصورة الفنية فى أدب أديبنا أبوبكر الخوارزمي .

المبحث الأول

اللغة والأسلوب :

يقول ابن خلدون في مقدمته عن أسلوب الشاعر ما يلي :
(أعلم أنّها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ به ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان) [٤].
كما يقول أبو هلال العسكري عن الشعر : (أنّ الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح)[٥] .
ويجعل مدار الجودة في الكتابة على حسن التأليف الذي يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ، وفي كتابة الشعر أن يجري مجري المنثور في سلاسته ،وسهولته ، واستوائه وقلة ضروراته ٠
وعلي ضوء ما سبق إذا ذهبنا نستقصي أدب الخوارزمي ،فيجد الباحث أن أسلوبه سهل لا تعقيد فيه ،بل إنّ شعره تغلب عليه روح البساطة ،التي تكاد أن تكون ضعفاً في بعض جوانبه وخصوصا عندما يتعلق الأمر بغرضٍ من الأغراض التي يُعنى الخوارزمي أكثر ما يُعنى في مجاراة شعراء العصر لامجرّد الإمتاع الشخصي ٠
ورغم تمكُّن الخوارزمي من اللغة وأدواتها ،إلا أننا نجد في بعض الأحيان أنه يحشد الألفاظ حشداً ويصنعها تصنيعا، وقد كان الخوارزمي متكلِّفاً البديع

---

[٤] المقدمة لابن خلدون ، ص ٥٧٠ .

[٥] كتابة الصناعتين ، لأبى هلال العسكري ، ص (١٦٨-١٧٣) .

كغيره من معاصريه ،مع تأثره بالمتنبي – كما أسلفنا – إلا أنّه كان يأتي بالبديع بتكلُّف يصل أحياناً حد الإغراب في المفردة المستعملة ، ولا بأس عنده أن يورد ألفاظاً أعجمية لتفي بالغرض وتلائم الوزن وأحياناً السجعة .

أمّا عن تطويعه للأسلوب وبالذّات إذا علمنا أنّ (الكلمات عند الشاعر تأتي استجابة لعاطفته)[٦] .

غير أننا نجد الخوارزمي قد نحَّى العواطف والمشاعر جانباً ،وجاء أغلب شعره دائراً مع العطاء والنوال، باذلا في سبيلهما ماء الحياء، بل ماء المحيا.

فهو يندر أنّ يعبِّر عن أحاسيس صادقه في أدبه وشعره ، بل كان يتكلَّف في شعره أيّما تكلُّف ، ونلاحظ ذلك التكلُّف في مدحه للأمراء والوزراء حيث يكونون محطَّ آماله وسُحب تستمطر النوال بين يديه .

وقد كان لما عاناه في مقتبل عمره من ضنك ومشقة أثر في شعره ، فقد كان هجاءاً سباباً لمن تبدر منه أدنى هفوة يرى الخوارزمي فيها حطَّاً من قدره – ولم يكن الخوارزمي بدعا في ذلك وإنما سبقه أستاذه المتنبي – أو انتقاصاً من منزلته ، أو تقصيراً فيما يستحقه ، من نوال وعطاء .

ورغم ذلك فقد تناول الخوارزمي أغلب أوزان الشعر العربي وبحوره ، وحاول أن يكون معقِداً في أسلوبه ، وألفاظه ، وحدا به ذلك لأن يتلاعب بالألفاظ تلاعباً يُسَبِب للباحث المشقّة ؛ وبالذات عند استخدامه اللغة الفارسية .

ونستطيع أنّ نحكم على الخوارزمي من خلال شعره ؛ بأنّ شعره بل ونثره في الغالب كان مصنوعاً مسبوكاً في قوالب من السَّجع والتأنُّق ، وكيف لا ! وهو رائد مدرسة التّصنع في عصره .

وقد اهتم بالصَّنعة اللفظية وانشغل بترف البديع أيّما انشغال، ونسج على هذا الضرب أنماطا متعددة من البديع.

ومن هذا قوله :فى أبيات يمدح عضد الدولة [من الطويل]:

فلا حُرَّ إلاّ وهو عبدٌ لجوده ** ولا عبدَ إلاّ وهو فى عدله حُرُ

---

٦ النقد التطبيقي والموازنات ، محمد الصادق عفيفي ، ص ١٤٤ .

عَجبتُ له لم يلبس الكبر حُلَّةً ** وفينا لأن جزنا على بابه كبرُ [٧]

فلا تخلُ هذه الأبيات من الصناعة ، كالطباق بين (عبدَ) و (حُرَ) و الالتفات في قوله : (لأن جزنا على بابه كِبر) وغير ذلك من أمثلة كلف الخوارزمي بالبديع والتبحُّر فيه .

ثمّ أنّ الخوارزمي أيضاً كان قديراً على ندمه على فراق من كان له أيادٍ عليه ثم انقطع عنه لسبب أو آخر ، فقد صوّر مشاعر – وإن كانت مشاعر تنم عن مصالح – إلاّ أنه صورها مصطرعة فى أعماقه أشدّ الاصطراع .

نقرأ له يصف ندماً حلّ به لمّا تنَّكر لأبى نصر الميكالي ، وفارقه ونأى عنه ، ثم عاد وحنّ إلى أيامه الغُر ، ولياليه الآفلة ،كتب يقول :(من الطويل)

وما كنت في تركيك إلاّ تارك ** يقينا وراضٍ بعده بالتوهم

وقاطن أرض الشرك يطلب توبةً ** ويخرج من أرض الحطيم وزمزم

وذِي علةٍ يأتي عليلاً ليشفي ** به وهو جارٌ للمسيح بن مريم [٨]

وقد مرت بنا مرثيته التي يرثي بها تلميذه (الشبيبي) الذي خبر الخوارزمي أيّما خبرة .

وقد صوّر الخوارزمي في مقدرة فذَّة مشاعر متباينة تصطرع في نفسه . حيث لم يكن (الشبيبي) مجرَّد تلميذ عند الخوارزمي ، بل كان محطّ آماله ومآب تطلعاته ، ثم حدث مع (الشبيبي) ما يحدث مع من يمدحهم الخوارزمي ثم يعود وينقلب عليهم لأدنى هفوة ، (كأن لم تكن بينه وبينهم مودة) ، فوصف هذه المشاعر المتباينة وصفاً دقيقاً قلّما يعبر عنه إلاّ عند من انقطعت دونه آماله وطموحاته [٩].

ثم أنه استوفى غرضاً كالوصف استيفاءاً دقيقاً ،حتى إنّ وصفه يحيط بالموصوف إحاطة تامة ، ونلمس ذلك فى وصفه (للقنفذ والسلحفاة البحرية) ،

---

[٧] اليتيمة ٤/٢٥٥ .

٨ اليتيمة ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ .

٩ المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

وكذلك نراه ماثلاً فى وصفه (للقِثَّاء) حيث أحاط به ظاهراً وباطناً ، وقد أبدع فى هذا الوصف أيّما إبداع .

ثم أنه بالإضافة الى دقه معانيه ، نجد عنده الأغراض المتداولة فى عصره – كما أسلفنا – فمن المدح والوصف والغزل إلى الهجاء والرِّثاء وغيرها .

فهو يمدح الشجاعة ، وأكثر ما يمدح الكرم ، وبالذات عندما يكون محط الكرم شخصه ، وهو كذلك يتحدث عن سكر الهوى ، والمحبوب وتشبيه ريقه بالخمر وما إلى ذلك .

ولحرص الخوارزمي الشديد أن يُجاري أدباء عصره في أغراضهم المختلفة وإن كان التّغزُّل بالمذكر والتَّماجن بذكره .

ولم يكن الخوارزمي عفّ اللسان ؛ ذلك أنّه أطلق للسانه العنان ، وتهتّك وتماجن بل وسخر من عقيدته فى أبيات له – كما أسلفنا – على الرغم من مركزه الأدبي الذى لا يسمح له بهذا التهتُّك ؛ إلاّ أنّ ما يتحدث به لم يقع منه ، فمركزه الأدبي ، وزعامته للكُتَّاب ، وتشيعه المعلن ، أشياء لا تسمح له بهذا التهتك ، وربما قال هذه الأبيات فى شبابه [١٠].

ونحن هنا لا نملك إلاّ أنّ نقر بهذا الأمر ، رغم أنّ الخوارزمي لم يكن ذلك الأديب المثالي الذى يبتغى بأدبه الدعوة إلى المثل العليا والأخلاق الفاضلة ؛ غير أنّ الباحث لا ينكر تأثير البيئة على الخوارزمي ، وكذا المجتمع الذى يطلب مثل هذه الأغراض ، وكأن الخوارزمي قد وجد فى هذا ضالته المنشودة .

---

[١٠] ابوبكر الخوارزمي – د/ أحمد أمين مصطفى ، ص ١٥٣ .

المبحث الثاني

الصورة الشعرية

قبل البدء في دراسة شعر الخوارزمي دراسة فنية ، يرى الباحث أنّه عندما تناول أغراضه الشعرية (موضوعياً) كانت الدراسة الفنية لشعره جزءاً من حديثي .

أمّا عندما نريد أنّ نصدر حكماً على هذا الشعر ؛ فإنّ الباحث يرى نفسه وقد تجردّ من الانحياز والمحاباة . خصوصاً إذا علمنا أنّ الدراسة السابقة[١١] عن أبي بكر الخوارزمي ، لم تخرج عن كونها دراسة متعاطفة كل التعاطف مع الخوارزمي ، ذلك الإنسان الذي عاش شطراً من حياته في بؤس وشقاء وحرمان ، مردُّه ضيق ذات يده ، وعدم وجود عائل أو وارث يستطيع من خلاله إشباع رغبته في كفالة العيش الكريم له .

فهو قد عالج الفقر في صغره ، وخاف أنّ تلازمه تلك الفاقة والحاّجة بقية حياته ؛ فأفنى عمره في جمع المال ، والتكسُّب بأدبه .

وقد كانت دراسته لديوان (المتنبي) بإشراف المتنبئ نفسه أثر فيما عالجه من أغراض في شعره ، خصوصاً في جانب شعر الحكمة ، فقد بثَّ الخوارزمي في أشعاره أبياتاً وأنصاف أبيات في الحكم ، تكشف عن نظرات صائبة ، وإن لم يكن الخوارزمي حكيماً (كالمتنبي) ، حيث لم تكن للخوارزمي فلسفة معيَّنة يدعو إليها ويبُثها في شعره ؛ إنّما هي تأملات وآراء متفرقة ، استخلصها من مواقف معيَّنة كان يبدي رأيه فيها ، كما أنّ الخوارزمي كان سيئ الظن بالنّاس ، وكثيراً ما يدعو إلى توخِّي الحرص في التعامل مع الناس ، كقوله :

(إنّ الأُسوَد تصاد بالخرفان) [١٢]

---

[١١] أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه – د. أحمد أمين مصطفى.

[١٢] ثمار القلوب – الثعالبي ، تحقيق د / محمد أبوالفضل إبراهيم ، ط دار نهضة مصر ، ص ٣٧٢ .

كما أنه كان يدعو إلى (ألا يحفل الإنسان بالمظاهر البراقة والصور الخادعة ، كقوله :[من الخفيف]

لا تغرنَّك هذه الأوجه الغر ** فيا رُبَّ حيّةٍ من رياض [١٣]

وقد أتي بالحكم فى أبياتٍ متتالية ، داعياً فيها إلى القصد والاعتدال ، كتب يقول [من الوافر]

رأيت العقل ينفع وهو قصدٌ ** ويُلقي في المهالك إذ يزيدُ

كمثل الدِّرعِ إن خفَّت أكنَّتْ ** وإن ثَقُلتْ فحاملها جهيدُ

ومثل الماءِ يروي منه قصدٌ ** ويقتل منه بالغرق المزيدُ [١٤]

ونرى من استعراضنا لحكم الخوارزمي وتأملاته ، أنّ النزعة التشاؤمية كانت غالبه عنده من النزعة التفاؤلية ، فقد كان سيئ الظن بالصحاب ، وسيئ الظن بالدهر أيضاً ، حتى أنه يرى إحسان الدهر خطأ منه (ورمية من غير رامٍ) .

وفى ذلك يقول : [من الرجز]

لا تشكر الدهر لخير سبّبهْ ** فإنه لم يتعمد بالهبهْ

وإنّما أخطأ فيك مذهبهْ ** كالسيل إذ يسقي مكاناً خرّبهْ [١٥]

ثمّ إنّ الخوارزمي رغم تطرقه للغزل ؛ إلاّ أننا لم نجد له قصة حُب كانت منطلقاً لغزله ، بل هو مسايرة لغرض من الأغراض التي كانت سائدة فى عصره ، ففي غزله لا نحس العاطفة الصادقة ، ولا معاناة نار الهوى والجوى ، بل هو غزل دعت إليه ضرورة العصر الذى عاش فيه .

لذا فإنّ الخوارزمي لم يكن ليمتلك ذلكم الروح الرومانسي الذى يتمثَل في البحث عن عالم مثالي ، ورؤية الأشياء رؤية فردية متميزة ، طبقاً لأحوال النفس الإنسانية ، وما يطرأ عليها من تغيرات [١٦].

---

[١٣] اليتيمة ، ٤/٢٤٠ .

[١٤] اليتيمة ، ٤/٢٦٢ .

[١٥] اليتيمة ، ٤/٢٧٥ .

[١٦] شعر أبى فراس الحمداني ، ماجدولين وجبة بسيسو ، مطابع الشريف ، ص ٢٩٧ .

يقول (الدكتور/عبدالقادر القط) في تعريفه (لعنصر الذاتية) : (وليس المراد بالذاتية أنّ يقتصر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها – وإن كان ذلك من أهم مظاهر الذاتية – بل يكون للشاعر كيان مستقل ، ونظرة متميزة للحياة والنّاس ، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة ، والنفس الإنسانية) [١٧].

ورغم ما حفلت به حياة الخوارزمي من أحداث مرت عليه فى حداثة سنه ، وإلى بلوغه العقد السادس ، إلاّ إنّ هذه الأحداث والتجارب لم تترك بصماتها على تفكيره ولا ميوله ولا تطلعاته ، بل كان الخوارزمي يساير الموجة ويؤلف حسبما يقتضيه العصر ، فإنّ الباحث يرى عدم توافر عنصر الذاتية عند الخوارزمي .

فما هي الصورة الشعرية في أدب الخوارزمي ؟

ولكي نعرف ما هيّة هذه الصورة الشعرية في أدبه ؛ فلا بدّ لنا أنّ نعرف شيئاً عن الصورة الشعرية[١٨] .

كما يميِّز الدكتور إبراهيم عبد الرحمن بين نوعين من الصور الشعرية في العصر الجاهلي في كتابه "الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية" بقوله : (الأولى، صور جزئية متنوعة يبنيها الشاعر غالباً بناءً تشبيهاً ، ويحشدها حشداً في قصائده ، ليُعبِّر من خلال هذا الحشد من الصور التشبيهية عن معنى بعينه يتكرر في أبيات هذا الجزء ، وذلك من أجزاء القصيدة ، ويرد هذا النوع من الصور التشبيهية ، ويتراكم في تلك الأغراض التقليدية التى يتألف منها بناء القصيدة الجاهلية ؛ وهى الوقوف على الأطلال ، والغزل ووصف الناقة والرحلة ، كما أنه يغلب على نصوص الشعر القديمة على نحو ما نجد في شعر امرئ القيس [١٩]، وغيره من شعراء طبقته .

---

[١٧] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د/عبدالقادر القط ، ص ٣٩٢ .

[١٨] مدخل الخصائص الفنية، ص ١٤٩.

[١٩] امرئ القيس : هو امرؤ القيس بن حُجر الكِندى ، جندح أبوهب، (أدباء العصر – بطرس البستاني) ، ٩٧/١١ .

والأخرى ، صور كلية أو قل لوحات عامة تؤدى فيها هذه الصور التشبيهية الجزئية وظيفة بنائية يعينها ؛ إذ تتحول في هذا البناء إلى لبنات في بناء تصويري متكامل ، أو هذه اللوحة الممتدة في مساحة زمنية ومكانية واسعة – هى لوحات يبينها الشعراء عادة من خلال قص الأحداث وحكاية المواقف ، وهو ما يعرف اصطلاحاً بـــ "صورة الحدث" أو "صورة الموقف" وهو ضرب من التصوير ...) [٢٠]. فالصورة الشعرية عند أبى بكر الخوارزمي هى مزيج من الألفاظ والعبارات ، مستخدماً فيها طاقات اللغة ومن الصورة الذهنية ، والصورة باعتبارها رمزاً ، وقد تعددت الصور الجزئية لترسم في النهاية صورة كلية . يكفي أنّ نقرأ (وصف الخوارزمي) لنلمس مدى تأثر الخيال عند الخوارزمي بالحياة الجديدة ، مع ما اجتمع عنده من دقة الملاحظة ونفاذ النظرة وخصوبة الخيال[٢١] .

يدلُّ على ذلك وصفه (للقِثاء) لنرى مدى الدقة في التّصوير والنظرة الشاملة . ومن وصفه قوله :

يا رُبَّ قِثَّاءٍ قريب المورد ** در الحشا زمرد المجرد
شخت الرؤوس أصور المقلد ** مثل ذنابي ريش ديكٍ أعقد
قد ألتوى فوق الثرى الرطب الندي ** كما يلوذ أسود بأسود
ذي زغب وفيه لين الأجرد ** كالخدِ بين الملتحي والأمْرد [٢٢]

إلى آخر الأبيات ، وفى الأبيات تصوير وانتقال من جزئيات الصورة الفنية وتفاصيلها ، وصولاً إلى الصورة نفسها ، أو اللوحة المتكاملة .

وتبرز دقة الوصف في : الحشا دُرٌ ، والمظهر زُمرُّد . وهنا مصدر الألوان والجمال ، ثم ينتقل في البيت الثاني إلى الرأس الدقيق ، والقوام المنحني ، والشّعيرات التي في طرف القِثّاء ، والزَّغب يكسو الجسم ، ويورد التشبيهات الملائمة ، فيشبه بالدر والزمرد ، ، وريش الديك الأعقد ، والحيَّات (أسود

---

[٢٠] الشعر الجاهلي قضايا فنية وموضوعية ، د/إبراهيم عبدالرحمن محمد ، ص (١٨٢ – ١٨٣) .

[٢١] أبو بكر الخوارزمي حياته وأدبه، ص ١٥٢.

[٢٢] نهاية الإرب ، للنويرى ، ٣٤/١١ .

بأسود) ، والخد اللين ، ونحس هنا استقلال الشاعر ، وعدم اتباعه للسابقين ، ونرى الاهتمام بالشكل واللون ، وأيضاً الإحساس بالروح والجوهر في الخدين بين الملتحي والأمرد ، وفى الأبيات التي تليها تشمل الصورة أو اللوحة ، فيعطى الطعم والرخاوة ، ويحيط بكل الدقائق والتفاصيل ، ليكتمل المشهد وتبرز المعاني الكائنة في هذه اللوحة الأحادية .

وتبرز شخصية الخوارزمي خاصة في الوصف واستقلاله في كثير من تشبيهاته ، ففي وصفه للقنفذ يشبه عينه بالنقطتين ، وأنفه بالثدي الصغير ، وشوكه بالسلاح والأقلام .

وفى رثائه (لأبي سعيد الشبيبي) ، يُشبِّهه بالضرس المتآكل ، في قلعه ألم ، وفى بقائه ألم .

وكان الخوارزمي ممن يتكلف كثيراً في تصويره، رغم شيوع هذا الضرب عند بعض شعراء عصره ، ونادراً ما نلمس هنا التكلف من الخوارزمي ، وقد رأيناه حينما شبّه (أبا على البعلمي) وزير السامانيين بخُفي حنين وجعل الزمان حنيناً [٢٣].

كان دأبه أن يسير بشعره وراء العطاء فلا بد أن يكون وراء مدحه غرضٌ من الأغراض – كعهدنا بالخوارزمي – عندما يكون الهدف عطاء أو نوال يريده الخوارزمي ، فلا بأس من التهويل والمبالغة في الممدوح ، ومن ذلك قوله في الصاحب بن عباد [من الطويل]

وأنت أمرؤ أعطيت ما لو سألته ** إلاهك قال الناس : أسرفت سائلاً [٢٤]

ومن مبالغاته السخيفة أيضاً ، قوله يصف نحوله ودقة عظامه :

ضنيت ولو أدخلت في حلق بُقةٍ ** خريفية من دقتي لم تغص بي [٢٥]

وهى صورة لا يتقبلها الخيال ، بل يمجها الذّوق السليم ، كما أننا لا نحس صدق شعور الشاعر في التعبير .

---

[٢٣] اليتيمة ، ٢٢٤/٤ .

[٢٤] اليتيمة ، ٢٥٧/٤ .

[٢٥] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي ، ص ٣٩٨ .

ونلمس الرمز أيضاً عند أبى بكر كما في قوله : [من الوافر]

علام ابتعتم فرساً عتيقاً ** وليس لديكم علفاً عتيدُ

وفيم حبستم في البيت بازاً ** تحيصُ الطير عنه أو تحيدُ [٢٦]

(فالفرس والباز) ما هما إلاّ رمز لأبى بكر الخوارزمي نفسه ، ونادراً ما نرى التصوير الساخر كما في قوله :

والله لا فارقت كفي قفاه ولم ** تنسج أبو قُلمون في نواحيه [٢٧]

و(أبو قلمون) ثوب متعدد الألوان ، ويشبّه ما تركه كفه من آثار على قفا خصمه كالرقم على هذا الثوب .

وإلى غير ذلك من الصور التي أجاد الخوارزمي في تصويرها ، ووضع بصمته عليها وصفاً دقيقاً وتأملات رقيقة ، هذا في الوصف خاصةً ، لانطلاقه عن نفسه راغبة في الإبداع ، ممتلكة لأدواته ، ممسكة بناصيته .

وفى ختام هذا المبحث لا بدّ لنا أنّ نشير الى رؤية قلّما نجدها عند الخوارزمي ، وهذه الرؤية تنبع من نظرته إلى الأدب والأديب ، وكيف يكون الأديب شاعراً ، كتب يقول : (من روى حوليات زهير ، وإعتذارات النابغة ، وأهاجي الحطيئة ، وهاشميات الكميت ، ونقائض جرير ، وخمريات أبى نواس ، وتشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبى العتاهية ، ومراثي أبى تمام ، ومدائح البحتري ، وروضيات الصنوبري ، ولطائف كشاجم ، ولم يخرج إلى الشعر ، فلا شيَّب الله قرنه "يدعو أنّ يموت شاباً") [٢٨].

---

[٢٦] اليتيمة ، ٢٣٧/٤ .

[٢٧] المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

[٢٨] خاص الخاص ، للثعالبي ، ص ١٩٠ ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت .

المبحث الثالث

البناء الموسيقي:

الموسيقى هي الأساس الأول الذي يقوم عليه الشعر ، وصياغة المفردة في الشعر تختلف عن صياغتها في أي لون آخر من ألوان الأدب .

والموسيقي عبارة عن جرس تألفه الأُذن وتلذ به النفس ، وهو ما يمكن أن ننعته بروح القصيدة ، أو جو القصيدة الذي يسيطر عليها ونحسه يجري في كياننا وجهات أنفسنا عندما نقرؤها بتؤدة وإمعان ، وهو يمثل الحالة النفسية التي عاناها الشاعر ، ويضّطرد في تناسب صوتي مع معانيه ، فيحس القاريء أو السامع حالة الرضا أو الغضب ، الصخب والهدوء ، الحزن والفرح ، تلامس وجدانه وتهدهد عواطفه فيستجيب لها دون ان يستطيع لها تعليلا او تحليلا ...)[٢٩]

وهذه المشاعر والأحاسيس هي التي تصبغ الشاعر وتترك اثأراً علي انفعالاته وأحاسيسه فما ينفك عنها بحال من الأحوال فيجد نفسه وقد عبر عنها بقالب مسبوك من روائع النظم (والموسيقي هي لغة العواطف والوجدان ولنغماتها درجات من الشدة والضعف ، واللين والقوة ، والسرعة والبطء ،ونحو ذلك من من الصفات التي تصحبها آثار وجدانية وألوان عاطفية من نشاط او فتور ، وحزن او سرور ، ثبات او اضطراب ، الي غير ذلك من ألوان اليقظة النفسية التي تجيء عن طريق حاسة السمع والحواس الاخري تتصل بها وتتاثر بمؤثراتها وتدور في فلكها ...) [٣٠]

فالشاعر لا بد له من أدوات حتي يتسنّى ضبط إيقاع الأبيات ، وفق وزن موسيقي منتظم ، لتتسق المقطوعة الموسيقية اتساقا ليس فيه مجال للنشاز .

(فالشاعر لا ينطق كلامه– في الشعر – عاديا بل ينطقه موزونا)[٣١].

---

[٢٩] النقد التطبيقي والموازنات – محمد صادق عفيفي –مطبعة الخانجي ،ص٢٥١

[٣٠] الأصول الفنية للأدب لعبد الحميد حسن– مكتبة الانجلو مصرية –ص٢٣

[٣١] في النقد الادبي – د/ شوقي ضيف– دار المعارف ، ص٩٩

وتحدث (الدكتور إبراهيم أنيس) عن (موسيقى الشعر) ، فقال : (للشعر نواح عدّة للجمال أسرعها إلي نفوسنا ما فيها من جرس الألفاظ وانسجام في توال المقاطع ، وتردد بعضها بعد قدر معين ، وكل هذا ما نسميه موسيقى الشعر)

وتنقسم الموسيقى الي قسمين :

أ- موسيقى خارجية : و يُقصد بها الأوزان وترتيبها بحسب البحور الشعرية ثم بحسب القافية .

ب- موسيقي داخلية : وهي تتعلق بالنواحي البلاغية (من بديع ومحسِّنات وغيرهما)[٣٢]

وقد حافظ الخوارزمي علي الشكل التقليدي للقصيدة العربية ، والواقع ان الشعر العربي حافظ علي الأوزان الجاهلية ، وحافظ أيضاً علي القافية . إلاّ أشكالاً محددة ظهرت في (العصر العباسي) كالمربعات والمخمسات [٣٣]

وقد أخذ الخوارزمي بحظ ضئيل من هذا التجديد في القالب الشعري – وقد ورد لأبي بكر أبيات من المخمسَّات : من (الرجز)

وقينة أحسن من لقياها ** تملي كتاب الحسن مقلتاها
ونقطة وشكلة خداها ** إذا اجتلاها اللحظ أنشدناها
(واهاً لريّا ثم واهاً واها)

المصراع لأبي النجم

يروي بعده :

هي المني لو أننا نلناها ** ياليت عيناها لنا وفاها
بثمن نرضي به أباها ** إن أباها وأبا أباها
(قد بلغا في المجد غايتاها)[٣٤]

---

[٣٢] موسيقي الشعر د/ ابراهيم انيس دار صادر ،ص٨-٩

[٣٣] المربعات ان تتفق اربع شطرات في قافية واحدة والمخمسات ان تتفق خمس شطرات في قافية واحدة (الخوارزمي حياته وادبه ،ص١٦٢)

[٣٤] اليتيمة ٤/٢٤٤

كان الخوارزمي ربما يتلاعب أحياناً بألفاظ العروض ، كما في قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة : [من الوافر]

وعشت وناقص رزقي فاضحى ** مفاعلتن مفاعلتن فعولن[٣٥]

ويبدو أنّه يعني ان رزقه صار سريعا متلاحقا منطلقا لان هذا الوزن المسمي ب(الوافر) خفيف علي السمع يولد موسيقي راقصة سريعة التوقيعات)[٣٦]

وموسيقي الشعر عند الخوارزمي تعلو حتي تكاد ان تكون صاخبة وتُهمس حسب الموقف الذي يُعبِّر عنه .

ولم يكن يلجأ في شعره الي الضرورات القبيحة وإنما تاتي عنده (الزحافات والعلل) التي يسمح بها (علم العروض) .

وكان ربما لجأ أحياناً إلي (الضرورات) التي نراها أحياناً تتمثَّل في قطع همزة الوصل ووصل همزة القطع ومن الأول قوله :

ولن يسع الدِّست اللطيف لعالم ** فقد وسعت اسم الإله قراطس[٣٧]

فهمزة (اسم) همزة وصل ، استعملها هنا همزة قطع .

ومن الثاني قوله :

لو أنّك قد أبصرت (تاشاً وفائقاً) *** علي ظهر بخت أدبر الظهر رازم[٣٨]

وهمزة إن همزة قطع استعملها الشاعر كهمزة وصل .

وقد وردت قصيدة لأبي بكر الخوارزمي وفيها (إقواء) وهو (اختلاف حركة الروي أي اختلاف الحركة في آخر الأبيات) ، فبعض الأبيات مكسورة الآخر، وبعضها مضموم . ولسنا في حاجة للحديث عن الصحة اللغوية في أشعاره لا سيِّما أنّ أبابكر الخوارزمي كان عالماً من علماء العربية .

---

[٣٥] اليتيمة ٢٥٦/٤

[٣٦] الخوارزمي – حياته وأدبه – ص١٦٣

[٣٧] يتيمة الدهر ٢٥٠/٤

[٣٨] يتيمة الدهر ٢٤٧/٤

أمّا عن موسيقاه الداخلية فإنّ المجتمع في القرن الرابع الهجري كان قد كلف بالمحسنات البديعية [٣٩] أيّما كلف ولذلك من النادر ان تجد شاعر لا يوردها في كتاباته أو أشعاره .

والخوارزمي كان أحد هؤلاء الذين كلفوا بالأسلوب المسجوع ، وكان الرؤساء والأمراء يشجعون عل هذا اللون من الأدب ، ويُذكر عن (الصاحب بن عبَّاد) وهو احد مشاهير الوزراء والكتاب أنّه كان مولعاً بالسجع والمحسّنات يتكلفها ولو أفسدت المعني [٤٠].

ورسائل الخوارزمي يسيطر عليها الأسلوب المسجوع ، حتي أننا نرى أنّه من النادر أن تجد جملتين غير مسجوعتين ، فالسجع عنده ضرورة لازمة ، وقد كان يتفنن في هذا السجع ويأتي بالبدائع والأعاجيب ، وغالباً ما يأتي بهذا السجع في جمل قصيرة مختصرة كقوله من رسالة إلي تلميذ (بلغني أنّك ناظرت ، فلما توجهت عليك الحجة كابرت)[٤١]

وقد تصل السجعات أحياناً الي تسع ن كقوله من رسالة الي ابي محمد العلوي (علي حالة نحكي وجهه ضياء ، وخلقه سناء ، ومجلسه بهاء ، وقدره علا ، وعقله صفاء ، وقلبي له نقاء ، وودي له بقاء ، ونيتي فيه استواء ، وتراب لشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء) وقد تطول الجملتان المسجوعتان ولكن الكاتب يراعي تماثل الجملتين في منتصفهما واشتراكهما في حرف واحد . كقوله من رسالة إلي أبي علي البلعمي : (وليعلم ان المسلم كريم الظفر إذا نال أقال ، وأنّ اللئيم لئيم الظفر إذا نال استطال)[٤٢] وهاهنا جملتان طويلتان ختمتا بحرف اللام. وقد عمد الكاتب إلي إتقان الجملتين في منتصفهما في حرف واحد هو "الراء" ، لتبدو الجملتان قصيرتين فتزداد الموسيقى وضوحاً .

---

[٣٩] المحسِّنات البديعية : ضربٌ من ضروب البلاغة ، تعتمد على الالفاظ والمعاني في مدلولاتها ، وتنقسم إلى : لفظية ومعنوية (تيسير البلاغة ، ص ١٣٢) .

[٤٠] الخوارزمي – حياته وأدبه ، ص٢٤٨

[٤١] رسائل الخوارزمي ، ص١٩٨

[٤٢] رساءل الخوارزمي – ص٩٤

وقد كان الخوارزمي يهتم أيضاً بـــ(المزاوجة) بين الجمل إلي جانب اهتمامه بالسجع والمزاوجة اتفاق الجملتين في النغم الموسيقي [٤٣].

وتبدو هذه المزاوجة في النصين السابقين وتكثر في نثر الخوارزمي ، وهي أي "المزاوجة" تضفي علي كتاباته موسيقى ووقعاً يشنف الآذان ويطرب النفس ، ويقول أبو بكر في رسالة إلي تلميذ له (أظلم الفراق إذا شكوته ، واتعنف الدهر إذا هجوته)[٤٤].

وقد كان الخوارزمي كلف بمختلف ألوان البديع ، ويكثر من الطباق والجناس (الجناس إن يتطابق اللفظان في النّطق ويختلفان في المعني)[٤٥] .

(والطباق : هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام) [٤٦].

ونلمح هذا الجناس والطباق في رسالة كتبها الي الحاجب ابن اسحق يقول فيها : (ولا رسول أسرع من دهر ، ولا مستحث أوحى من يسر بلا عسر) وهذا طباق وجناس بين يسر وعسر .وقد يأتي بجمل متعاقبة فيها الطباق .

(والمقابلة :هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك علي الترتيب)[٤٧] كقوله من رسالة الي والي نيسابور ردا علي رسالة منه (ووافقت مني فلبا معمورا بل خربا بالهم ، وجسماً معضلاً بل مكدودا بالسقم).

وهكذا يهتم الخوارزمي بالمحسنات البديعية في رسائله وقد طرق منها كل مطرق من جناس وطباق ومقابلة واستطراد واقتباس وغيرها من أغراض .

وهذا من جانب ، ومن جانب اخر فقد اكثر الخوارزمي من هذه المحسنات البديعية في شعره وأورد شواهد كثيرة تدل علي براعته وتمكنه رغم قلة بضاعته في هذا الضرب من الأدب .

---

[٤٣] تلخيص البلاغة – للقزويني – ط دار السؤال – دمشق ن ص٥٦٣

[٤٤] رسائل الخوارزمي – ص١٠

[٤٥] تيسير البلاغة ، ص ١٣٨ .

[٤٦] تيسير البلاغة ، ص ١٤١ .

[٤٧] تيسير البلاغة ، ص ١٦٤ .

وقد اهتم أكثر ما اهتم في شواهده الشعرية بإيراد نتفا يسيرة من احد فنون البديع الشائعة في عصره وهو التضمين (هو تزيين الشعر بشيء من شعر غيره مع التنبيه علي الأصل)[٤٨].

وقد أكثر فى هذا الضرب إكثاراً ، لكن الباحث يورد نتفاً من هذه التضمينات الرشيقة ، وهى مبثوثة فى يتيمة الثعالبي .

ومن هذه التضمينات التي (كانت رشيقة ، وطريقة أنيقة ، يضعها ف مواضعها ، ويقعها أحسن مواقعها ، ويفصح بها عن اتساع روايته ، وكثرة محفوظاته ، فمنها قوله من قصيدة في عضد الدولة : [من الوافر]

ولمّا أكثر الحساد فيه ** وقالوا قد تغضنت الخدود

أجاب الفضل عنه حاسديه ** (لأمر ما يسود من يسود)

"المصراع" لبلعام بن قيس الكناني .

ومن قصيدة في الصاحب [من الطويل]

ومن نصر التوحيد والعدل فضله ** وأيقظ نوَّام المعالي شمائله

ومن ترك الاخبار ينشد أهله ** (أجل أيها الربع الذى خفَّ أهله)

"المصراع" لأبي تمام [٤٩] (صدر مطلع لأبى تمام – وعجزه [لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله])[٥٠].

ومن أخرى في شمس المعالي [من الطويل]

شموسٌ لهنّ الخدر والبدر مغرب ** فطالعها بالبين والهجر غارب

ولكنّما شمس المعالى خلافها ** مشارقه ليست لهن مغارب

فما لقبوه الشمس إلاّ وقد رووا ** (بأنك شمس والملوك كواكب)

المصراع الأخير من بيت النابغة [٥١] .

---

[٤٨] تيسير البلاغة ، ص ١٤١ .

[٤٩] أبو تمام : هو حبيب بن أوس الطائي (١٩٠-٢٣٠هـ) ، وفيات الأعيان ، (١١/٢) .

[٥٠] اليتيمة ، ٢٤٥/٤ .

[٥١] النابغة : هو أبو ليلي حسّان بن عبدالله الجعدى العامرى ، المتوفى عام ٥٨هـ ، (جواهر الأدب) ١٣٢/٢ .

أمّا عن بقية المحسِّنات ؛ فكانت يأتي بها مقبوله مستساغة ، مقبولة فى الذوق والخيال ، ومن أمثلة ذلك قوله : [من الكامل]

والشعر أمسي يسكن الشعري [٥٢]

وهنا جناس ناقص بين الشعر والشعري .

وقد أتى بالطباق وكرره فى بيت واحد ، إذ يقول : [من الوافر]

فلا أدري أأضحك أم أبكي ** وتهدمني المنية أم تشيد[٥٣]

وهنا طباق بين (أضحك وأبكى) ، وطباق بين (تهدم وتشيد) . ولكنه طباق غير ممجوج ولا مستهجن .

ونرى من المحسِّنات التي طرقها فى أشعاره كذلك ما يسمى بـــ(حسن التعليل) "وهو أن ينكر الأديب علة الشئ المعروفة ، ويأتي بعلة طريفة من ابتكاره ، تناسب الغرض الذي يقصد إليه ، بشرط أن يكون تعليله مقبولاً ، وابتكاره حسناً جميلاً "[٥٤].

ونرى حسن تعليله جليًّاً في مدح أبي نصر الميكالي وتفضيله على النّاس ، يقول فيها : [من الوافر]

وإنك منهم وكذاك أيضاً ** من الماء الفرائد واللآلي

وتسكن دارهم وكذاك سكنى ** الحجارة والزمرد فى الجبال [٥٥]

إلى غير ذلك من المحسنات التى برع فيها وبزَّ فيها أدباء عصره خصوصاً ، وقد جاءت هنا على السليقة غير متكلفة ولا ممجوجة .

---

[٥٢] المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

[٥٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦١ .

[٥٤] تيسير البلاغة ، ص ١٧١ .

[٥٥] اليتيمة ، ٢٥٨/٤ .

المبحث الرابع

مكانة الخوارزمي الأدبية

ذكر الباحث طرفاً من هذا الموضوع عندما تحدث عن الذين عاصروا الخوارزمي وكتبوا عنه [٥٦].

غير أنهم جميعاً لم يذكروا شيئاً ذا بال يمكن من خلاله أن نرسم صورة واضحة عن هذا الأديب البارع – أبى بكر الخوارزمي – غير أنّ مكانته الأدبية ، وسبقه الفني ، أشار إليه أحد تلاميذه المعاصرين ، الذين أخذوا بأسلوبه الرائع الرائق ، فما كان منه إلاّ أن كال له النعوت ، وحشد فيه جيوشاً جرارة من المآثر، وكأنه يتحدث عن شخص آخر سوى أديبنا الخوارزمي .

استمع إليه وهو يقول عنه : "باقعة الدهر ، وبحر الأدب ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف ، كان يجمع بين الفصاحة العجيبة ، والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتي بكل فقرة وحدة ، ويبلغ فى محاسن الأدب كل مبلغ ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ،وملاحة عبادته ،ونعمة نعمته ،وبراعة جده ،وحلاوة هزله ،وديوان كل رسائله مخلد سائر،وكذلك ديوان شعره .

ويقول عنه ابن خلكان[٥٧] (احد الشعراء المجيدين الكبار كان إماماً في اللغة والأنساب ...) .

أمّا عن كتب التراجم والرجال ، فلم تذكر عنه سوى نتفاً كثيرة من التعريفات لا تحيط بقدم راسخ فى الأدب كالخوارزمي ، عنه يقول الإمام شمس الدين الذهبي : "شاعر وقته الأديب محمد بن العباس الخوارزمي ، ... له ديوان نظمٍ ، وديوان ترسُّل ومُلح ونوادر" [٥٨].

---

[٥٦] الفصل الثانى ، المبحث الخامس .

[٥٧] وفياة الأعيان ، ابن خلكان (١٩٧/٤) .

[٥٨] بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي ، ٢٢٦/١٦ .

فابن خلكان لم يذكر عنه سوى أنّه أمام في اللغة والأنساب ،ولم يتطرق الا لما نقله عن الثعالبي فى يتيمته ، رغم شهادته له بعلو كعبه في اللغة ، غير انه ماساق براهيناً وأدلة على مايقول .

أما ياقوت الجموي فهو عندما تحدث عنه لم يزد عن قوله فى الخوارزمي (نقلا عن الحاكم فى التاريخ) كان اوحد عصره فى حفظ اللغة والشعر ،وكان يذاكرني بالأسماء والكنى حتى يحيّرني من حفظه ..... " [٥٩].

فهو قد أثنى على حفظه الأسماء والكنى ،وكذلك ضروب اللغة والشعر .

وعند كتاب الطبقات من اللغويين والنحاة لم يجد الخوارزمي حظه من الذكر ونصيبه من البحث ، فعنه يقول جلال الدين السيوطي : ("نقلاً عن الحاكم النسابوري أيضاً" كان واحد عصره فى حفظه اللغة والشعر ، وكانت قريحته تقصر على حفظه ...) [٦٠].

وفى مرآة الجنان : "العلامة المشهور فى اللغة والأنساب ، من الشعراء المجيدين الكبار ..." [٦١]

أمّا إذا يممنا صوب الأدباء المعاصرين فإنهم أيضاً لم يضيفوا شيئاً يذكر على سابقيهم ، ومن هؤلاء (آدم متز) المستشرق (السويسري) ، يقول عنه : "كان أبوبكر الخوارزمي المتوفى (٣٨٣هـ - ٩٩٣م) أشهر كتَّاب الرسائل الاخوانية ، وقد ظلّ زماناً طويلاً أشهر كتاب العرب ... ، كانت رسائله توجه للأمراء والوزراء والقضاة والعمال ، والعلماء و اللغويين ، وكان موضوعها ما يرد عادة : بالتهنئة بالأعياد ، وبارتفاع المنصب ، وبالنجاة من الشر ، والتعزية بالوفاة ... " [٦٢].

---

[٥٩] معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ٢٥٤٣/٦ .

[٦٠] بغية الوعاة فى طبقات اللغويين النحاة ، جلال الدين السيوطى ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، ١٢٥/١.

[٦١] مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لأبي عبدالله عبدالله بن أسعد اليافعي اليمني (تـ ٧٦٨هـ) ، ط مؤسسة الأعلمي ، ٧٠/٢ .

[٦٢] الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ، آدم متز ، ترجمة / محمد أبو ريدة –دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ٩٠/١ .

أمّا عمن اهتموا بدراسة أدبه حديثاً ؛ فهو أيضاً – أى الخوارزمي – لم يجد عنده ما وجده معاصره بديع الزمان الهمذاني مثلاً .

فقد أشار إليه إشارة عابره / جورجي زيدان في كتابه تأريخ آداب اللغة العربية . فعنه يقول : " ... لم يصل إلينا من آثار أبوبكر الخوارزمي إلاّ مجموعة رسائل تعرف بإسمه ، وهي مطبوعة فى مصر[٦٣] ، وفى الاستانة ١٢٩٧هـ ، وفى بومباي ١٣٠١هـ ، ومنها نسخ خطيّ ة في : برلين ، فينا ، وليدن ، وفي الجزء الرابع من اليتيمة " [٦٤].

ولعله يشير إلى نماذجه الشعرية التي أوردها الثعالبي فى الجزء الرابع من اليتيمة ، نتفاً من رسالته فى موضوعات مختلفة .

وممن تكلّم عن مكانته الأدبية – وإنْ كانت السياق سياق تراجم – فقد ترجم له صاحب كتاب أعيان الشيعة) للسيد محسن الأمين ، وقال : "أبوبكر محمد بن عبّاس هكذا بغير (ال) الخوارزمي ، ابن أخت محمد بن جرير بن رستم[٦٥] الطبري ، وهو غير محمد بن جرير الطبري ، له ديوان رسائل وشعر ، ثم ذكر نتفاً من أشعاره [٦٦].

أمّا (الدكتور / زكي مبارك) ، فى كتابه (النثر الفتي فى القرن الرابع) ، فهو أكثر من أسهب فى دراسة الخوارزمي وأدبه ، وأورد شيئاً من آثاره الأدبية ، كالنظم والنثر ، وكذلك علّق على مناظرته للهمذاني ، بل قد شكك فى المناظرة أصلاً ، وذلك لأنّه يرى أنّ إيرادها من طرف الهمذاني دون الخوارزمي يجعلها عرضة للغرض والكيد . وقد أفرد له الدكتور/أحمد أمين مصطفى كتاباً كاملاً أحاط فى جوانب كثيرة بكثيرٍ من آثاره وحياته ، إلاّ أنّه قصّر فى

---

[٦٣] وهي النسخة التي اعتمد عليها الباحث فى رسالته (تحقيق الشيخ / محمد قطعة العدوي) .

[٦٤] تأريخ آداب اللغة العربية ، جرحي زيدان ، ٥٨٢/١ .

[٦٥] أعيان الشيعة ، ١٩٠/١٤ .

[٦٦] النثر الفنى فى القرن الرابع ، ١٣٠/١ .

جوانب تميّز بها الخوارزمي بين أقرانه ، وبالذات ما يختص بجانب الصنعة [٦٧].

ثم أشاد به الدكتور / شوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في النثر العربي) وأشار أنّه يعتبر من رواد مدرسة (التّصنّع والتّصنيع) ، وذكر طرفاً من فرائد هذا الفن الذي انفرد به الخوارزمي ، وبزَّ فيه أقرانه [٦٨]، وما سوى ذلك فما وجد الباحث من يقتل هذا الموضوع بحثاً ؛ لنجد مادة علمية ثرة نستطيع من خلالها سبر أغوار هذه الموهبة الفذة ، والروح الشاعرة ، وصولاً إلى ما يحيط بصاحب قلم غرّب بعد أن شرّق ، وافتن أجناساً من الفنون الأدبية قلّما يوجد لها نظير في عصره .

---

[٦٧] الخوارزمي حياته وأدبه ، د/ أحمد أمين ، ص ١٣٤ .

[٦٨] الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د/شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، تـــ ١٩٦٠م ، ص ٩ وما بعدها .

الخاتمة

حاولت فيما مضى من حديث أن أستعرض كل ما يتعلق بأبي بكر الخوارزمي ، إبتداءاً من مولده حتى وفاته . وما صاحب ذلك من أحداث لعبت دوراً بارزاً في تكوين شخصية الشاعر الشعرية ، وشخصيته النثرية ، من خلال رسائله ومكاتباته ومساجلاته .

وقد آليت على نفسي أن تكون دراستي موضوعية – قدر الإمكان – بعيدة عن الاندفاع العاطفي أو الحماس للشاعر ، متوخياً الحقيقة كل الحقيقة ، ولكن فى بعض اللحظات أجد نفسي متحاملاً عليه ، مدفوعاً بقناعاتي الشخصية ، وما يصطدم بها من لامبالاته في الخوض في أعراض النّاس ؛ وأيّ ناس ! كالصحابة وأمهات المؤمنين الذين هم قمم سامية ، وهامات عالية يربأ الباحث أن ينال منهم مثل أبي بكر الخوارزمي ، وإن كان من باب التكسُّب لا الاعتقاد كما لمسنا .

ورغم ذلك فقد كنت أحاول كبح جماح نفسي ، وهكذا كان ، فما السر في ذلك ؟

– أولاً : حاولت استعراض ودراسة كل ما كتب من آراء حول أبي بكر الخوارزمي تقريباً ، فوجدتها تتخلص في الآتي :

أولاً : رأي قديم مثل رأي (الثعالبي) و(الصّاحب بن عبّاد) اللذان مدحا شعره ابتداء ، ولا يخفى على الباحثين أنّ الثعالبي والصّاحب لم يجاملا على حساب الأدب ، وجرت كلماتهما مجرى الأمثال لكل من جاء بعدهما ، يريد أن يعطي رأياً حول الشاعر وشعره ، وكأنّ كلمات الثعالبي أصبحت ككلمات التسبيح عند الكُتّاب ، إذ دائماً ما نسمعهم يقولون : "بدأ الشعر بملك ، وخُتم بملك" ، ويقصدون امرئ القيس وأبا فراس ، ويظهر أن إيجاد الكلمة جعلها تسري مسري الأمثال ، واكتفيا بهذا الإيجاز ، ولم يحاولا أن يبينا وجهة نظريهما على شرح وتحليل ما قصداه من ذلك .

ثم من جاء بعدهما نقلوا آراءهما دون التعليق عليها ، مثل : ابن خِلّكان .

– ثانياً : لم يحظ الخوارزمي عند علماء الأدب والبلاغة بالاهتمام المطلوب ، حيث أنّ جلّهم كانوا عالةً على الثّعالبي في (يتيمته) ، ولم يكن له حظ فى جل هذه الكتب إلاّ بضع أسطر لا تغنِي ولا تسمن من جوع .

– ثالثاً : معظم الكُتَّاب الذين كتبوا عن الخوارزمي ركَّزوا على مناظرة الهمذاني إيّاه ، وأعلنوها صراحةً ، وكأنهم كانوا يريدون أن ينال الهمذاني من الخوارزمي وقد تحقق لهم ما أرادوا .

عاش الخوارزمي في بيئات مختلفة أثرت أدبه ، ورفعت من شأنه أدبياً ، حيث تنوعت أغراضه حسبما تقتضيه حال حِله وترحاله .

تأثر الخوارزمي بأستاذه المتنبي تأثراً كبيراً ، حتى أننا نلحظ اتفاقاً كبيراً فى جانب قلة الوفاء ، وكساد تجارة الإخاء عند كليهما .

أمّا أكثر الموضوعات التي تناولها الخوارزمي وانفرد فيها فهي الهجاء ، بل الهجاء المقذع ، كيف لا ! وهو في كل يوم له أمر وحدث ، متقلب الطبائع والأهواء .

وعلى هذا نكون قد أحطنا ببعض جوانب من حياة وآثار هذا العلم من أعلام الأدب في القرن الرابع ، بل في الأدب العربي ككل .

النتائج

توصل الباحث من خلال هذه الرسالة إلى النتائج الآتية:

١. كان الخوارزمي متشيّعًا، وقد أكثر في أشعاره ورسائله من إظهار كونه شيعيا ملتزما، إلا أن هذا التشيع شابته أغراض أخر من: جري وراء مصالح دنيوية من أمراء وحكام عصره، الذين كانوا يتخذون التشيع مذهبا كذلك، فعزف الخوارزمي على هذا الوتر الحساس وناله ما ناله من عطائهم ونوالهم.

٢. ادعى الخوارزمي أن خاله محمد بن جرير الطبري، واكتشف الباحث أن هذا الادعاء لا يسنده الواقع، ذلك أن خال أبي بكر الخوارزمي اسمه: محمد بن جرير بن رستم الطبري، فهو إذن ليس صاحب التفسير والتاريخ المشهور، وإنما دلس الخوارزمي في هذا النسب.

٣. يعتبر أبو بكر الخوارزمي من رواد مدرسة (الصنعة) وقد عني الأدباء في عصره بالتزويق اللفظي، وتصنيع العبارات ورصها في قوالب مسبوكة من المحسنات البديعية، وقد بزّ الخوارزمي أقرانه في هذا الضرب.

٤. الخوارزمي الناثر اشتهر أكثر من كونه شاعرا، وذلك لضياع معظم تراثه الشعري. والمحفوظ من شعره في (اليتيمة) لا يعطينا حكما صحيحا عن تراثه الشعري.

٥. تميزت رسائل الخوارزمي بأن معظمها يدور حول الأغراض الإخوانية: كالتعازي، والتهاني، والعتاب وغيرها.

٦. أكثر الخوارزمي في رسائله من الاقتباس والتضمين؛ حيث اقتبس من آي القرآن والسنة النبوية في رسائله، كما لم ينس أن يجاري أدباء عصره فيكثر من (السرقات الأدبية).

٧. تأثر الخوارزمي بالمتنبي الشاعر؛ وهو قد درس عليه ديوانه وبإشرافه، وأخذ عنه نظرته التشاؤمية للمجتمع، وهجاءه المقذع لمن انقلب عليه.

٨. افتنّ الخوارزمي بالتصوير الفني؛ وجاء تصويره بارعا في وصف مظاهر الطبيعة، وقد جسد المعنوي في صورة محسوسة مما أكسب أسلوبه روعة وتفردا

٩. تفوّق الخوارزمي تفوقاً كبيراً فى جنس من الأجناس الأدبية وهو (التّرسُّل) وبالذات فى مقام المناظرة ، رغم كسف باله فى مناظرة شهيرة بينه وبين بديع الزمان الهمذاني ولا أن سبب ذلك يعود إلى كبر سنه ، ومكر وخديعة بديع الزمان.

١٠. أكثر الخوارزمي من الصنائع البديعية والصّور اللفظية في أدبه ، وحاز قصب السبق فى كل مجال طرقه ، وأبدع فى الوصف أيّما إبداع.

١١. ورغم هذا ما زال الباحثُ يصر على أنّ المحفوظ لنا من شعره في (اليتيمة) لا يجعلنا نطلق حكماً صحيحاً صريحاً عليه ، غير أنّ ما خلّفه من تراث نثري أفتنّ فيه عكس جانباً من جوانب براعته في الكتابة ؛ وإن كان في ضربٍ آخر غير الشعر، ولعله قد سدّ جانباً من جوانب حياته الأدبية.

التوصيات

يوصي الباحث في خاتمة هذا البحث بالآتي:

١. هنالك العديد من الأدباء في عصور مختلفة حالهم حال الخوارزمي؛ لم ينالوا حظهم من الاهتمام، والباحث يرى أن دراسة آثارهم من الأهمية بمكان.

٢. الاهتمام بالنثر دراسة وتنقيبا وعدم الانصراف الكلي إلى الشعر فحسب.

٣. أدب الرسائل من المجالات الخصبة للبحث والدراسة، لم ينل حظه من الدراسات والموجود – على قلته – يتناول هذا الضرب إجمالا لا تفصيلا.

الملاحق

ملحق تصنيف رسائل الخوارزمي،وفقاً للموضوعات والأنواع

***ثمرة هذا الملحق أنه يقوم بتحديد موضوع كل رسالة من رسائل الخوارزمي ،إلى جانب تحديد نوع الرسالة ،من حيث الأغراض.**

رقم	المُرسِل	المُرسَل إليه	موضوع الرسالة	نوع الرسالة	رقم الصفحة بالمصدر[1]
١.	أبوبكرالخوارزمي	الحاجب أبواسحق	مواساة	إخوانيّة	صفحة٢
٢.	أبوبكرالخوارزمي	كثيربن أحمد لمّاهرب من الأميرأبي الحسن.	تهنئة	إخوانيّة	صفحة٨
٣.	أبوبكرالخوارزمي	محمدالعلويّ.	مواساة	إخوانيّة	ص٩
٤.	أبوبكرالخوارزمي	الى تلميذ له.	عتاب	إخوانيّة	ص١٠
٥.	أبوبكرالخوارزمي	الى تلميذ له قطع في مجلس أدب،وكابرواختلط.	نصح وعتاب	إخوانيّة	ص١٢
٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي عمرالمنكدري وزير صاحب جرجان.	استجداء	إخوانيّة	ص١٢
٧.	ابوبكرالخوارزمي	صاحب ديوان الحضرة.	اعتذار	إخوانيّة	ص١٣
٨.	ابوبكرالخوارزمي	رئيس طوس[3]	تعزية	إخوانيّة	ص١٥
٩.	ابوبكرالخوارزمي	أبوالحسن الطرجودي بندار طوس.	مواساة	إخوانيّة	ص١٦
١٠.	ابوبكرالخوارزمي	وزير قابوس بن وشمكير.	تهنئة	إخوانيّة	ص١٧
١١.	ابوبكرالخوارزمي	رئيس هراة[4]	تعزية	إخوانيّة	ص١٨
١٢.	ابوبكرالخوارزمي	إلى صديق له جواباً على كتابه.	مدح	إخوانيّة	ص٢١
١٣.	ابوبكرالخوارزمي	إلى حاكم نسا[5]	شكر	إخوانيّة	ص٢١

[1] – المصدر يعني كتاب(رسائل الخوارزمي).

[2] – مدينة بخراسان ،بينهاونيسابور عشرة فراسخ،فتحها سيدنا عثمان بن عفان.(معجم البلدان٤٩١٤)

[4] هراة مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان.(٣٩٦١٥)

[5] –نسا مدينة بخراسان،بينها ونيسابورستة أيام.(معجم البلدان٢٨٢١٥)

١٤.	ابوبكرالخوارزمي	إلى نائب الوزيرابن عبّاد بأصفهان*	عتاب	إخوانيّة	ص٢١
١٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الحسين الحكمي.	اعتذار	إخوانيّة	ص٢٢
١٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى صاحب ديوان الخراج بالحضرة.	عتاب	إخوانيّة	ص٢٣
١٧.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الحسن بن دامة.	عتاب	إخوانيّة	ص٢٤
١٨. ** ٨	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الحسن الحكمي.	مواساة	إخوانيّة	ص٢٥
١٩.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الفرج لمّا قُلّد خلافة البندار طوس.	تهنئة	إخوانيّة	ص٢٦
٢٠.	ابوبكرالخوارزمي	إلى وزير خوارزم شاه	مواساة	إخوانيّة	ص٢٧
٢١.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي علي البلعمي	اعتذار	إخوانيّة	ص٢٩
٢٢.	ابوبكرالخوارزمي	إلى محمد العلوي	اشتياق	إخوانيّة	ص٣١
٢٣.	ابوبكرالخوارزمي	إلى تلميذ له	رداً على رسالة له.	إخوانيّة	ص٣٦
٢٤.	ابوبكرالخوارزمي	إلى حاجب ابن عبّاد	عتاب	إخوانيّة	ص٣٧
٢٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى محمد بن حمزة رئيس خوارزم.	مدح	إخوانيّة	ص٣٩
٢٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى كاتب الرئيس بنيسابور.	اشتياق	إخوانيّة	ص٤٠
٢٧.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الحسن الحاكم بن أبي حاتم.	تهنئة	إخوانيّة	ص٤٢
٢٨.	ابوبكرالخوارزمي	إلى وكيل الوزيرابن عبّاد.	وصيّة	إخوانيّة	ص٤٤
٢٩.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي القاسم الداودي.	مدح	إخوانيّة	ص٤٦
٣٠.	ابوبكرالخوارزمي	إلى صديق كتب إليه رسالة وقصيدة.	مواساة	إخوانيّة	ص٤٨
٣١.	ابوبكرالخوارزمي	إلى رئيس سرخس[٧]	اعتذار	إخوانيّة	ص٥٠

[٧] مدينة عظيمة من نواحي خراسان بين نيسابور و مرو(معجم البلدان ٢٠٨\٣)

٣٢.	ابوبكرالخوارزمي	صاحب البريد بالري[٨]	اشتياق	إخوانيّة	ص٥٢
٣٣.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أردهل	مواساة	إخوانيّة	ص٥٣
٣٤.	ابوبكرالخوارزمي	إلى يزيد صاحب سمرقند	عتاب	إخوانيّة	ص٥٤
٣٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى الوزير ابن عبّاد لماقدم لقتال قابوس.	تحريض وفخر	إخوانيّة	ص٥٦
٣٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى كثير بن أحمد	تعزية	إخوانيّة	ص٥٨
٣٧.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي محمد العلوي	تهنئة	إخوانيّة إخوانيّة	ص٥٩
٣٨.	ابوبكرالخوارزمي	إلى كاتب.	اعتذار	إخوانيّة	ص٦٢
٣٩.	ابوبكرالخوارزمي	إلى وزير صاحب خوارزم.	مدح	إخوانيّة	ص٦٤
٤٠.	ابوبكرالخوارزمي	إلى صاحب الديوان بالحضرة.	استجداء	إخوانيّة	ص٦٤
٤١.	ابوبكرالخوارزمي	إلى ابن سهل سعيد بن عبدالله الكاتب .	اعتذار	إخوانيّة	ص٦٦
٤٢.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي القاسم المزني	مواساة	إخوانيّة	ص٦٨
٤٣.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي أحمد الرازي بندار نيسابور.	تهنئة	إخوانيّة	ص٦٩
٤٤.	ابوبكرالخوارزمي	إلى صاحب الديوان يوم المهرجان.	تهنئة	إخوانيّة	ص٧٠
٤٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي سعيد أحمد بن شبيب.	اشتياق	إخوانيّة	ص٧١
٤٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى تلميذ له أورد إليه كتاب نابٍ.	نصح وإرشاد	إخوانيّة	ص٧٢
٤٧.	ابوبكرالخوارزمي	إلى حاجب ركن الدولة بالريّ.[٩]	دعاء	إخوانيّة	ص٧٣
٤٨.	ابوبكرالخوارزمي	إلى شيخه أبي عبدالله النحوي الخطيب بالري.	اشتياق	إخوانيّة	ص٧٤
٤٩.	ابوبكرالخوارزمي	إلى قاضي الري أبي الحسن بن شادان.	عتاب	إخوانيّة	ص٧٦
٥٠.	ابوبكرالخوارزمي	إلى صاحب ديوان الحضرة.	اشتياق	إخوانيّة	ص٧٧

[٨] الري مدينة من أمهات البلاد،بينها ونيسابور مائة وستون فرسخاً(معجم البلدان١١٦\٣)

٩الري:مدينة مشهورة،بينها ونيسابور مائة و ستون فرسخا،معجم البلدان(١١٦\٣)

٥١.	ابوبكرالخوارزمي	إلى الوزير ابن عبّاد	عتاب	إخوانيّة	ص٧٩
٥٢.	ابوبكرالخوارزمي	إلى بندار نيسابور.	تهنئة	إخوانيّة	ص٨٢
٥٣.	ابوبكرالخوارزمي	إلى حكّام الرساتيق.	شكوى	إخوانيّة	ص٨٦
٥٤.	ابوبكرالخوارزمي	إلى فقيه بلاد قومس[١٠]	مرحباً بابنه تلميذاً له.	إخوانيّة	ص٨٨
٥٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي القاسم بن أبي الفرج.	مواساة	إخوانيّة	ص٨٩
٥٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي علي الشلغمي.	عتاب	إخوانيّة	ص٩٠
٥٧.	ابوبكرالخوارزمي	إلى تلميذ له من فقهاء نيسابور.	اشتياق	إخوانيّة	ص٩١
٥٨.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي علي البلعمي	عتاب	إخوانيّة	ص٩٢
٥٩.	ابوبكرالخوارزمي	إلى ابن سمكة القُميّ	فخر وشكر	إخوانيّة	ص٩٣
٦٠.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أحمد بن شبيب	نصح وشكر	إخوانيّة	ص٩٥
٦١.	ابوبكرالخوارزمي	إلى وزير خوارزم شاه	مواساة	إخوانيّة	ص٩٨
٦٢.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي العباس محمد بن إبراهيم.	مدح	إخوانيّة	ص١٠١
٦٣.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الحسن عبدالعزيز.	تهنئة و استجداء	إخوانيّة	ص١٠٢
٦٤.	ابوبكرالخوارزمي	فقيه هراة[١١]	مواساة	إخوانيّة	ص١٠٤
٦٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة.	استجداء	إخوانيّة	ص١٠٨
٦٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي نصر الميكالي	شكر	إخوانيّة	ص١١٤
٦٧.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الفرج خليفة الوزير بنيسابور.	استجداء	إخوانيّة	ص١٢٠
٦٨.	ابوبكرالخوارزمي	إلى مؤدب أمير خوزستان[١٢]	مدح	إخوانيّة	ص١٢٣
٦٩.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي سعيد رجاء بن	مدح	إخوانيّة	ص١٢٤

١٠قومس:تقع في ذيل جبال طبرستان ،وهي بين الري و نيسابور.معجم البلدان(٤١٤\٤)

[١١] هراة:من مدن خراسان.معجم البلدان(٣٩٦\٥)

[١٢] خوزستان:اسم بلاد الخوز،و هي بلاد أشبه ببلاد العراق.معجم البلدان(٤٠٤\٤)

		الوليد الأصفهاني.			
٧٠.	ابوبكرالخوارزمي	إلى جماعة من الشيعة بنيسابور.	تحريض	إخوانيّة	ص١٢٥
٧١.	ابوبكرالخوارزمي	إلى خوارزم شاه	استجداء	إخوانيّة	ص١٣٩
٧٢.	ابوبكرالخوارزمي	إلى فقيه قومس	نصح	إخوانيّة	ص١٤٠
٧٣.	من كاتب.	إلى أبي بكر الخوارزمي.	تعزية	إخوانيّة	ص١٤١
٧٤.	ابوبكرالخوارزمي	إلى ابن العميد الكاتب.	تهنئة	إخوانيّة	ص١٤٢
٧٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي بكر بن شيمرد	مدح	إخوانيّة	ص١٤٧
٧٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى الملك خوارزم شاه	مواساةو شكوى	إخوانيّة	ص١٥٥
٧٧.	ابوبكرالخوارزمي	إلى فقيه في تعهّد مسجد.	تحضيض	إخوانيّة	ص١٥٧
٧٨.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي شجاع بن محمد كاتب ابن فراتكين.	هجاء	إخوانيّة	ص١٥٨
٧٩.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي طاهر وزير أبي علي بن إلياس.	تعزية	إخوانيّة	ص١٦٠
٨٠.	ابوبكرالخوارزمي	إلى قاضي القضاة	تهنئة	إخوانيّة	ص١٦٣
٨١.	ابوبكرالخوارزمي	إلى رئيس دامغان[١٣]	اشتياق	إخوانيّة	ص١٧٨
٨٢.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي سعيد أحمد بن شبيب.	ترحيب	إخوانيّة	ص١٨٠
٨٣.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي الحسن البديهي.	هجاء	إخوانيّة	ص١٨٤
٨٤.	ابوبكرالخوارزمي	إلى حسام الدولة أبي بكر بن عبدوس.	مواساة	إخوانيّة	ص١٩٨
٨٥.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي محمد محمدبن عبدالرحمن بن أحمد.	مدح	إخوانيّة	ص٢٠٢
٨٦.	ابوبكرالخوارزمي	إلى أبي القاسم الحسن بن علي.	اعتذار	إخوانيّة	ص٢٠٥

١٣دامغان:بلد كبير بين الري ونيسلبور،وهي قصبة قومس.معجم البلدان(٤٣٣\٢)

الأعلام

الرقم	الاسم	الصفحة
١ـ	ابن العميد، محمد بن الحسن بن محمد	٢٢
٢ـ	ابن عبّاد: إسماعيل عبّاد أبو القاسم الطالقاني	٢٢
٣ـ	أبو فراس: الحارث بن سعيد بن حمدان	٢٢
٤ـ	المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الكندي لكوفي	٢٢
٥ـ	ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين بن خالويه الهمذاني	٤٤
٦ـ	أوس بن حجر بن عتاب الأسدي النميري	١٠٤
٧ـ	أبو الشيص: أبو جعفر محمد بن عبد الله بن رزين بن سليمان الخزاعي	١١١
٨ـ	النابغة: أبو ليلى حسان بن عبد الله الجعدي العاهري	١٢٣
٩ـ	الشبيبي: أبو سعيد أحمد بن شبيب	١٣٤
١٠ـ	اللحام: أبو الحسن علي بن الحسن الحراني	١٣٦
١١ـ	أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي	١٤٢
١٢ـ	امرؤ القيس بن حجر الكندي	١٥٧
١٣ـ	بديع الزمان: أحمد بن الحسين بن الحسين الهمذاني	٢٢
١٤ـ	قابوس بن وشمكير بن زيار الجبلي	١٢٢
١٥ـ	مزرّد بن ضرار التغلبي (يزيد)	١٠٤

البلدان

الرقم	البلد	الصفحة
١-	أصبهان	١٤١
٢-	أرجان	١٤١
٣-	خراسان	١٤١
٤-	طوس	١٧٦
٥-	هراة	١٧٦
٦-	نسا	١٧٦
٧-	سرخس	١٧٧
٨-	الريّ	١٧٧
٩-	قومس	١٧٩
١٠-	خوزستان	١٧٩
١١-	دامغان	١٨٠

المصادر والمراجع

الرقم المرجع

١. القرآن الكريم .

٢. الجامع الصحيح – محمد بن إسماعيل بن بردذبة البخاري – طبع دار المعارف – مصر – تأريخ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٣. ابو الطيب المتنبي – دراسة فى التاريخ الأدبى د/ ريجيس بلاشير – ترجمة د. إبراهيم الكيلاني – الطبعة الثانية – دار الفكر – دمشق – تاريخ الطبع ١٤٠٥هـ– ١٩٨م.

٤. أبو فراس الحمداني – احمد ابو حاقة – الهيئة المصرية للكتاب – ١٩٧٣م

٥. أبوبكر الخوارزمي – حياته وأدبه – د/ أحمد أمين مصطفى الهيئة المصرية للكتاب – بتاريخ ١٩٨٥م

٦. ابوبكر الصولي – أحمد جمال العمري – الهيئة المصرية للكتاب – تاريخ ١٩٧٣م .

٧. أحكام صنعة الكلام فى فنون النثر ومذاهبه فى المشرق والأندلس – لذى الوزارتين / أبى القاسم محمد بن عبد الغفورالكلاعي الاشبيلي – تحقيق / محمد رضوان الداية – عالم الكتب – بيروت الطبعة الثانية – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٨. أخبار الراضي بالله والمتقي لله – او تاريخ الدولة العباسية من (٣٢٢هـ – ٣٣٣هـ لأبي بكر محمد بن يحي الصولي (٣٣٥هـ) عني بنشره / ج – هيورث – دن– دار المسيرة – بيروت – بتاريخ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٩. اخبار الدولة المنقطعة – تاريخ الدولة العباسية الشيخ / جمال الدين ابى الحسن على بن الفقيه ابى منصور ظافر بن الحسين بن غازى الحلبى الازدى (٥٦٧– ٦١٣هـ) تحقيق / محمد بن مسفر الزهراني تاريخ الطبع ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – مطبعة المدني – المدينة المنورة .

الرقم المرجع

١٠. أسرار البلاغة – الجرجاني – تحقيق محمد رشيد رضا – مطبعة المنار – القاهرة – بدون تاريخ .

١١. أسس النقد عند العرب الدكتور أحمد أحمد أمين دار النهضة مصر .

١٢. أصول النقد الأدبي – أحمد الشايب – الطبعة الخامسة – دار مكتبة النهضة – بتاريخ ١٩٥٥م .

١٣. أعيان الشيعة – للامام السيد/ محسن الأمين – تحقيق حسن الأمين ، المجلد الرابع عشر – الطبعة الخامسة – طبع دار التعارف للمطبوعات – طهران – ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

١٤. الاتجاه الوجداني فى الشعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط – الطبعة الثانية – تاريخ الطبع ١٤٠١هـ – ١٩٨١م دار النهضة العربية – مصر.

١٥. الأدب العربي – الموسوعة الثقافية العامة – فواز الشعار دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولي – بتاريخ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

١٦. الأدب والنصوص – للصف الثاني الثانوي (وزارة التربية السودانية تأليف / محمد عثمان محمد موسي وآخورون – طبع مؤسسة التربية الطبعة العاشرة – ١٩٩٨م .

١٧. الأدب الفارسي فى العصر الغزنوي د. على الشابي – دار النشر تونس – تاريخ الطبع ١٩٦٥م

١٨. الاساليب النثرية –د/محمد نبيه حجاب– الطبعة الفنية الحديثة الطبعة الاولى– بتاريخ ١٣٨٥هـ–١٩٦٥م.

١٩. الأسس الجمالية في النقد الأدبي – عز الدين اسماعيل – دار الفكر العربي بدون تاريخ .

٢٠. الأصول الفنية للأدب – عبد الحميد حسن – الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الثانية – بتاريخ ١٢٩٧هـ .

٢١. الإعجاز والإيجاز – لأبي منصور الثعالبي – دار الرائد العربي – بيروت الطبعة الثانية – بتاريخ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

الرقم	المرجع

٢٢. الأعلام – تأليف خير الدين الزركلي – طبع دار العلم للملايين – الطبعة الرابعة – بدون تاريخ – بيروت .

٢٣. الإمام الشافعي أديبا – أحمد البدوي الشيخ – اشراف بروفسير عبد الله بريمة فضل بتاريخ ١٩٩٨م

٢٤. الإمتاع والمؤانسة – ابي حيان التوحيدي – شرح أحمد أمين – دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان –بدون تاريخ .

٢٥. البحث الأدبي – طبيعته، مناهجه ،أصوله ، مصادره ، د. شوقى ضيف – الطبعة السادسة – دار المعارف – القاهرة ١٩٧٢م.

٢٦. البداية و النهاية – للحافظ أبى الفداءاسماعيل بن كثير الدمشقى – الجزء الحادى عشر ،الطبعة الثانية طبع دار المعارف – بيروت –تاريخ الطبع ١٩٧٧م.

٢٧. البيان و التبيين – لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق / د. عبد السلام محمد هارون .الطبعة الرابعة – المجمع العربي العلمي والاسلامي – بيروت – لبنان .

٢٨. التبيان فى شرح الديوان – بشرح ابى البقاءالعكبري – ضبط وتصحيح ، مصطفى السقا – إبراهيم الأنباري – عبد الحفيظ شلبي – الجزء الأول – دار المعرفة – بيروت – تاريخ الطبع ١٩٨٠م.

٢٩. التشبيه والكناية بين النظير البلاغي والتوظيف – طبع مكتبة الشباب – القاهرة – بتاريخ ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ م

٣٠. التلخيص فى علوم البلاغة– للامام القزوينى– الطبعة الربعة دارالسؤال بدمشق– بتارخ ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

٣١. التوجيه الادبى– طه حسين– أحمدأمين واخرون– دار المعارف– مصر.

٣٢. الجاحظ– ا د/احمد محمد الجونى– سلسلة دراسات فى الادب الطبعة الربعة– بتاريخ ١٣٨٤هـ–١٩٨١م.

الرقم	المرجع
٣٣.	الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة فى الاسلام – تأليف آدم متز– نقله إلي العربية / محمد عبد الهادى أبو ريدة – الجزء الاول – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
٣٤.	الدويلات الإسلامية في المشرق – الدكتور محمد علي حيدر – عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ .
٣٥.	الدويلات الاسلامية فى المشرق د.محمدعلى حيدر – عالم الكتب.
٣٦.	الرسائل الأدبية – من القرن الثالث الى القرن الخامس للهجرة – صالح رمضان منشورات كلية الآداب جامعة منوبة – سلسلة آداب المجلد ٤٧ – بتاريخ ٢٠٠١ تونس .
٣٧.	الصاحب بن عبّاد – حياته وشعره – العوض عبد الله صديق اشراف بروفسير عبدالله بريمة فضل – بتاريخ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٣٨.	الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي – تحقيق / مصطفي السقا – محمد شتا دار المعارف – القاهرة مصر
٣٩.	الصبح المنبي عن حيثية المتنبي – يوسف البديعى – عبدو زيادة – مصطفى السقا – سلسلة ذخائر العرب ٣٦ – دار المعارف – القاهرة – تاريخ الطبع ١٩٦٣ .
٤٠.	الصورة الفنية – ابراهيم بن عبد الرحمن الغنيم – الشركة العربية للنشر – ١٤١٦هـ.
٤١.	الصورة الفنية – دعبل بن علي الخزاعي – تحقيق الدكتور ابراهيم أبو زيد – دار المعارف – مصر – تاريخ الطبع ١٩٨٣م
٤٢.	الصورة الفنية فى النقد الأدبي الحديث – د.محمد غنيمى هلال .
٤٣.	العالم الاسلامي فى العصر العباسي الثاني – د.ابراهيم الشريف د. حسن احمد محمود – دار الفكر العربى – الطبعة الخامسة .
٤٤.	الفخري فى الآداب السلطانية و الدول الإسلامية . محمد بن طباطبا – المعروف بابن الطقطقا – دار صادر– بيروت –١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.

الرقم	المرجع
٤٥.	الفخرى فى الآداب السلطانية و الدول الاسلامية لمحمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا – دار صادر – بيروت – ١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦ م.
٤٦.	الفن ومذهبة فى النثر العربى- د/ شوقى ضيف دار المعارف- مصر- الطبعة الثانية – بتاريخ ١٩٦٠م .
٤٧.	الفهرست – ابن النديم – تحقيق / د. شعبان خليفة ،وليد محمد العوزة ج١ العربى للنشر – القاهرة – ت ط ١٩٩١م.
٤٨.	الكشف عن مساوئ شعر المتنبي – د.الصاحب اسماعيل بن عبّاد تحقيق / محمد حسن آل ياسين – الطبعة الاولى – تاريخ الطبع ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م – مكتبة النهضة – بغداد.
٤٩.	اللباب فى تهذيب الأنساب – للامام عز الدين بن الاثير الجزري – تاريخ الطبع ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م دار صادر – بيروت .
٥٠.	المتنبي – دراسة عامة – جورج غريب – دار الثقافة – بيروت – تاريخ الطبع ١٩٦٨م .
٥١.	المتنبى – رسالة فى الطريق الى ثقافتنا – محمود محمد شاكر – تاريخ الطبع ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م مطبعة المدنى – مصادر – دار المدنى –جدة .
٥٢.	المعجم الأدبي – جبور عبد النور – دار العلم للملايين – بيروت – يناير ١٩٨٤م.
٥٣.	الممتع فى صنعة الشعر- عبد الكريم النهشلى القيرونى تحقيق-د/ محمد زغلول سلام- منشاة المعارف- الاسكندرية.
٥٤.	المناظرات اللغوية والأدبية – في الحضارة العربية الإسلامية دار رحيم جبر أحمد الحسناوي – الطبعة الأولي – دار اسامة – عمان بتاريخ ١٩٩٩م
٥٥.	النثر الفارسي منذ النشأة فى العصر القاجاري – د. السباعى محمد السباعى – تاريخ الطبع ١٩٨٣م – دار الثقافة للنشر والتوزيع .
٥٦.	النثر الفني فى القرن الرابع – د. زكي مبارك – الجزء الاول الطبعة الثانية – المكتبة التجارية الكبرى – مصر .

الرقم	المرجع

٥٧. النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة – جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكي – الجزء الثانى والثلاثون – المؤسسة المصرية العامة

٥٨. النقد الأدبي – أصوله ومناهجه – سيد قطب – دار الشروق – مصر – بدون تاريخ .

٥٩. النقد الادبي– أحمد أمين– دار النهضة المصرية– الطبعة الرابعة بتاريخ ١٤٠١–١٩٨١م.

٦٠. النقد الأدبي الحديث – دكتور محمد غنيمي هلال – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٧٣م

٦١. النقد التطبيقي والموازنات – محمد الصادق عفيفي – مؤسسة الخانجي – مصر – ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

٦٢. أمراء البيان – محمد كرد علي – الجزء الثاني – الطبعة الثانية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – بتاريخ ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م

٦٣. بديع الزمان الهمذانى– مارون عبود– دار المعارف القاهرة– الطبعة الرابعة.

٦٤. بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة – جلال الدين السيوطي تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان.

٦٥. بلدان الخلافة الشرقية – د.كى لسترنج / ترجمة بشير فرنسيس – كوركيس عواد – الطبعة الثانية – تاريخ الطبع ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ – طبع مؤسسة الرسالة – بيروت .

٦٦. تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعى – دار الكتاب العربى – بيروت – الجزء الثالث – ١٣٩٤م – ١٩٧٤م.

٦٧. تاريخ آداب اللغة العربية – تاليف دكتور جرجي زيدان – الجزء الثاني – دار مكتبة الحياة الجديدة – بيروت.

٦٨. تاريخ الادب العربى – د.عمر فروخ – الاعصر العباسية الجزء الثانى – الطبعة السادسة – تاريخ الطبع ١٩٩٧م دار العلم للملايين – بيروت .

الرقم	المرجع
٦٩.	تاريخ الادب العربى –د/عمر فروخ – الجزء الثانى– طبع– دار العلم للملايين – الطبعة السادسة– التاريخ يوليو ١٩٩٣م.
٧٠.	تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام – للحافظ / شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى تحقيق / د. عبد السلام هارون – الطبعة الثانية – دار الكتاب العربي – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
٧١.	تاريخ التراث العربي – المجلد الثاني الجزء الرابع – فؤاد ستركيز – نقله الى العربية / د. عرفة مصطفى – ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٧٢.	تاريخ الترسل النثرى عند العرب فى الجاهلية –د/محمد المقداد– الطبعة الاولى– بتاريخ ١٤١٣هـ–١٩٩٣م–دار الفكر–دمشق.
٧٣.	تاريخ الشعر العربى د/محمد عبد العزيز الكفراوى– الجزء الثانى مكتبة نهضةمصر –تاريخ ١٩٦٤م.
٧٤.	تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربي – أنيس المقدسي – دار العلم للملايين – الطبعة السابعة – ابريل ١٩٨٢م.
٧٥.	ثمار القلوب فى المضاف و المنسوب لابى منصور الثعالبى تحقيق / محمد أبي الفضل إبراهيم تاريخ الطبع ١٣٨٤هـ–١٩٦٥م دار النهضة – مصر.
٧٦.	جمع الجواهر فى الملح والنوادر – لأبي إسحق إبراهيم بن على الحصرى (طبع باسم ذيل زهر الآداب) الطبعة الاولى – تاريخ الطبع ١٣٧٢هـ– ١٩٥٣م دار احياء الكتب العربية – بيروت .
٧٧.	دراسة في البلاغة والشعر – دكتور محمد محمد ابو موسى – مكتبة نهضة مصر – ١٤٠٠هـ
٧٨.	رسوم دار الخلافة – أبو الحسن هلال بن عبد المحسن الصابر / تحقيق ميخائيل عواد – دار الرائد العربى – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م .
٧٩.	رسوم دار الخلافة – ابى الحسين هلال بن المحسن الصابى – تحقىق / ميخائيل عواد – الطبعة الثانية– دار الرائد العربى – بيروت – تاريخ الطبع ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

الرقم المرجع

٨٠. زهر الآداب وثمر الألباب - لأبي إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى المتوفى عام ٤٥٣هـ – شرح د. زكى مبارك - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – ج١ ، ط٥ ، تاريخ الطبع ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م دار الجيل بيروت.

٨١. سير أعلام النبلاء – للامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى – تحقيق / شعيب الارناؤط و أكرم البوشى – الجزء السادس عشر الطبعة السابعة – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٨٢. شاعر بن حمدان – احمد احمد بدوى – الطبعة الثانية – تاريخ الطبع ١٩٥٢ – مكتبة الانجلو المصرية – مصر .

٨٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب – للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن محمد بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي – منشورات دار الأفاق الجديدة – الجزء الثالث – بيروت .

٨٤. صناعة الكتابة – د. فكتور الكك – د. أسعد احمد على - الطبعة الرابعة – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م – دار السؤال - دمشق

٨٥. صناعة الكتاب–د/فكتور الكك–دار اسعد على.

٨٦. ظهر الاسلام – احمد امين – الطبعة الخامسة – تاريخ الطبع ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م – دار الكتاب – العربى – بيروت .

٨٧. على بن الجهم– حياتة شعرة – د/عبد الرحمن باشا – طبع دار المعارف– القاهرة.

٨٨. فن المقامات بين المشرق والمغرب – د.يوسف عوض ، مكتبة الطالب الجامعى – مكة المكرمة – الطبعة الثانية – ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م.

٨٩. فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين – د.مصطفى الشكعة – تاريخ الطبع /١٩٨١م عالم الكتب – بيروت – لبنان.

٩٠. فى النثر العربي – قضايا وفنون ونصوص د.محمد يونس عبد العال – الشركة المصرية العالمية للنشر تاريخ الطبع ١٩٩٦م.

الرقم المرجع

٩١. فى النثر العربى و فنون الكتابة د. توفيق أبو الرس – الطبعة الثانية دار الامل للنشر والتوزيع – الاردن .

٩٢. فى النقد الادبى– د / شوقى ضيف– الطبعة الثانية– دار المعارف مصر– ١٩٦٢م.

٩٣. فى تاريخ الامم الاسلامية – الدولة العباسية الشيخ / محمد الخضرى بك – المكتبة التجارية الكبرى مصر – تاريخ الطبع ١٩٧٠م.

٩٤. قضايا ومواقف من العصر العباسى دراسة فى الأحوال السياسية وبعض مظاهر الحضارة د.هاشم عبد الراضى محمد عيسى الطبعة الثانية – تاريخ الطبع ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٩٥. كتاب الصناعين– الكتابة والشعر/ تصنيف ابى هلال الحسن بن عبد اللة بن سهل العسكري– تحقيق وتعليق – د/محمد مفيد قميحة– دار الكتب العلمية بيروت– الطبعة الثانية – بتاريخ ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٩٦. كتاب خاص الخاص – للثعالبي قدم له / حسن الأمين منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت .

٩٧. كتاب رسائل الخوارزمي – تصحيح الشيخ محمد قطعة العدوي الطبعة الأولي – مطبعة عبد الرحمن رشدي بك – بتاريخ ١٢٩٧هـ

٩٨. كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان – الشيخ/ابراهيم افندى حدب الطرابلسى.

٩٩. لباب الآداب – لأبي منصور الثعالبي – حققه احمد حسن لبج – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي – بتاريخ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

١٠٠. لباب الألباب فى تحرير الأنساب – جلال الدين السيوطي – تحقيق / محمد احمد عبد العزيز – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٠١. لسان العرب – للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى – المجلد الثامن – دار صادر بيروت – ١٤١٠ه – ١٩٩٠م.

الرقم المرجع

١٠٢. محيط المحيط – بطرس البستانى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٩٧٧م

١٠٣. مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان – تأليف أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي المكي اليمني – مؤسسة الأعلمى – بيروت – الطبعة الثانية – الجزء الثاني.

١٠٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبى الحسن على بن الحسن بن على المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ– تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد ج٤ /ط٤ / تاريخ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م بمطبعة السعادة مصر.

١٠٥. مطبع العصر العباسى الثانى –الاتجاهات السياسية والحضارة فى خلافة المتوكل على الله (٢٣٢هـ–٢٤٧هـ)–دار نادية صقر– الطبعة الاولى دار الشروق– ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

١٠٦. مطلع العصر العباسي الثاني – الاتجاهات السياسية والحضارية فى خلافة المتوكل على الله (٢٣٢هـ – ٢٤٧هـ) – د. نادية حسن صقر – الطبعة الاولى – تاريخ الطبع ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م طبع فى دار الشروق – مصر

١٠٧. مطلع العصر العباسي الثاني الاتجاهات السياسية والحضارية فى خلافة المتوكل على الله (٢٣٢– ٢٧٤هـ) د. نادية حسن – دار الشروق .

١٠٨. مع المتنبئ – دكتور طه حسين – مكتبة نهضة مصر – ١٩٦٣م .

١٠٩. معجم الأُدباء– إرشاد الاديب الى معرفة الاديب – ياقوت الحموي – تحقيق د.إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي– بيروت – الطبعة الاولى ١٩٩٣م.

١١٠. معجم البلدان – للإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادي (٦٢٦ –١٢٢٨ه) المجلد الأول – تاريخ الطبع ١٣٧٦ هـ– ١٩٥٧م دار صادر – بيروت .

١١١. معجم متن اللغة – للعلامة دكتور/ احمد رضا – منشورات مكتبة الحياة الجديدة – بيروت لبنان – ١٣٧٨ه – ١٩٥٩م.

١١٢. مهيار الدليمي – علي الفلال – الهيئة المصرية للكتاب – ١٩٧٣م .

الرقم المرجع

١١٣. نزهة الالباء فى طبقات الادباء – لابى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانبارى – تحقيق / محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة المدنى .
١١٤. هدية العارفين واسماء المؤلفين واثار المصنفين – المؤلف اسماعيل باشا البغدادى – دار العلوم الحديثة – استانبول ١٩٨١م.
١١٥. يتيمةالدهر فى محاسن أهل العصر–أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري– شرح وتحقيق د.مفيد محمد قميحة–الطبعة الاولي – دار الكتب العلمية بيروت – ١٤٠٣هـ–١٩٨٣.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الاستهلال	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
مستخلص الدراسة باللغة العربية	د
مستخلص الدراسة باللغة الإنجليزية	هـ
المقدمة	و - ي
التمهيد	ك
الفصل الأول **عصر الخوارزمي**	
مدخل الفصل	١
المبحث الأول: الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني	٣
المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني	١٤
المبحث الثالث: الحياة الثقافية في العصر العباسي الثاني	٢٧
الفصل الثاني **شخصية الخوارزمي**	
مدخل الفصل (الخوارزمي في عصره)	٣٩
المبحث الأول: مولد الخوارزمي و نسبه	٤١
المبحث الثاني: تعلمه وثقافته	٤٥
المبحث الثالث: رحلاته	٥٢
المبحث الرابع: تلاميذه	٦٤
المبحث الخامس: الذين كتبوا عن الخوارزمي	٧٠
الفصل الثالث **الصنعة عند الخوارزمي**	
مدخل الفصل (الصنعة)	٧٨
المبحث الأول: معنى الصنعة	٧٩
المبحث الثاني: نشأة الصنعة	٨٤
المبحث الثالث: أثر الصنعة في أدب الخوارزمي	٩٢
الفصل الرابع **آثاره الأدبية**	
مدخل الفصل (الخوارزمي ناثر أم شاعر؟)	٩٩
المبحث الأول: رسائل الخوارزمي ومكاتباته	١٠١
المبحث الثاني: مساجلاته وردوده	١١١
المبحث الثالث: كلمات له تجري مجرى الأمثال	١٢١

الفصل الخامس **شعر الخوارزمي**	
مدخل الفصل (شعر الخوارزمي)	١٢٥
المبحث الأول: المديح	١٢٧
المبحث الثاني: الغزل والنسيب	١٣٣
المبحث الثالث: الرثاء	١٣٨
المبحث الرابع: الهجاء	١٤٢
المبحث الخامس: الوصف	١٤٧
الفصل السادس **الخصائص الفنية**	
مدخل الفصل (الخصائص الفنية)	١٥٢
المبحث الأول: اللغة والأسلوب	١٥٣
المبحث الثاني: الصورة الشعرية	١٥٧
المبحث الثالث: البناء الموسيقي	١٦٣
المبحث الرابع: مكانة الخوارزمي الأدبية	١٧٠
الخاتمة	١٧٤
النتائج	١٨١
التوصيات ملاحق الرسائل	١٨٣
الأعلام	١٨٤
البلدان	١٨٥
المصادر والمراجع	١٨٦
فهارس المحتويات	١٩٨